٧

٣

١ الجلد الاوّل

٣

١ الجلد الاوّل

١٢٤٤٥
کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
جمهوری اسلامی ایران
کتاب کشاف زمخشری
مؤلف
مترجم
شمارهٔ قفسه ١٥٥١٨
شماره ثبت کتاب ٩١٠٦٤

الجلد الاوّل

وقوله تعالى وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اى ان يستقيلوا ربهم لم يقلهم اى لم يردهم الى الدنيا قاموس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى انزل القرآن كلاما مؤلفا منظما ونزله بحسب المصالح منجما
وجعله بالتحميد مفتتحا وبالاستعاذة مختتما واوحاه على قسمين متشابها ومحكما
وفصله سورا وسوره ايات وميز بينهن بفصول وغايات وما هى الا صفات
مبتدئ ومبتدع وسمات منشئ مخترع فسبحان من استأثر بالاولية والقدم
ووسم كل شئ سواه بالحدوث عن العدم انشاه كتابا ساطعا تبيانه قاطعا
برهانه وحيا ناطقا ببينات وحجج قرآنا عربيا غير ذى عوج مفتاحا للمنافع الدينية
والدنياوية مصداقا لما بين يديه من الكتب السماوية معجزا باقيا دون كل
معجز على وجه كل زمان دائرا من بين سائر الكتب على كل لسان فى كل مكان
افحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء وابكم به من تحدى به من
مصاقع الخطباء فلم يتصد للاتيان بما يوازيه او يدانيه واحد من فصحائهم
ولم ينهض لمقدار اقصر سورة منه ناهض من بلغائهم على انهم كانوا اكثر من
حصى البطحاء واوفر عددا من رمال الدهناء ولم ينبض منهم عرق العصبية
مع اشتهارهم بالافراط فى المضادة والمضارة والقائهم الشراشر
على المعادة والمعارة ولقائهم دون المناضلة عن احسابهم الخطط
وركوبهم فى كل ما يرومونه الشطط ان اتاهم احد بمفخرة اتوه بمفاخر
وان رماهم بمأثرة رموه بمآثر وقد جرد لهم الحجة اولا والسيف اخرا
فلم يعارضوا الا السيف وحده على ان السيف القاضب مخراق لاعب
ان لم تمض الحجة حده فما اعرضوا عن معارضة الحجة الا لعلمهم ان البحر
قد زخر فطم على المكاكى وان الشمس قد اشرقت فطمست نور الكواكب
والصلوة على خير من اوحى اليه حبيب الله ابى القسم محمد بن عبد الله بن عبد
المطلب بن هاشم ذى اللواء المرفوع فى بنى لؤى ذى الفرع المنيف فى عبد
مناف بن قصى المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل
النبى الامى المكتوب فى التورية والانجيل وعلى اله الاطهار وخلفائه من
الاختان والاصهار وعلى جميع المهاجرين والانصار اعلم ان متن كل علم

وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية واقدام الصناع فيه
متقاربة او متساوية ان سبق العالم العالم لم يسبقه الا بخطى
يسيرة او تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة وانما الذى
تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب ووقع فيه الاستباق والتناضل
وعظم فيه التفاوت والتفاضل حتى انتهى الامر الى امد من الوهم متباعد
وترقى الى ان عد الف بواحد ما فى العلوم والصناعات من محاسن
النكت والفقر ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر ومن غوامض
اسرار محتجبة وراء استار لا يكشف عنها من الخاصة الا اوحدهم
واخصهم والا واسطتهم وفصهم وعامتهم عماة عن ادراك حقائقها
باحداقهم عناة فى يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم واطلاقهم
ثم ان املأ العلوم بما يغمر القرائح وانهضها بما يبهر الالباب القوارح
من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات اسرار يدق سلكها علم التفسير
الذى لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذى علم كما ذكر الجاحظ فى كتاب
نظم القرآن فالفقيه وان برز على الاقران فى علم الفتاوى والاحكام
والمتكلم وان بز اهل الدنيا فى صناعة الكلام وحافظ القصص و
الاخبار وان كان من ابن القرية احفظ والواعظ وان كان من الحسن
البصرى اوعظ والنحوى وان كان انحى من سيبويه واللغوى وان علك
اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم احد لسلوك تلك الطرائق
ولا يغوص على شئ من تلك الحقائق الا رجل قد برع فى علمين مختصين
بالقرآن علم المعانى وعلم البيان وتمهل فى ارتيادهما آونة وتعب
فى التنقير عنهما ازمنة وبعثته على تتبع مظانهما همة فى معرفة لطائف
حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد ان يكون اخذا
من سائر العلوم بحظ جامعا بين امرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات
طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع اليه ورد ورد عليه فارسا فى علم
الاعراب مقدما فى حملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها
مشتعل القريحة وقادها يقظان النفس دراكا للمحة وان لطف

تفسير كشاف در سوره فاتحه

ان النفا[illegible] الدنيا بلا عدد وليس فيها [illegible]
[illegible] [illegible] في [illegible]
[illegible] كالداء والكل [illegible]

تفسير الكشاف

شانها مستنها على الرمزة وان جمح لها لا كزا جاسيا ولا غليظا جافيا
متصرفا ذا دربة باساليب النظم والنثر مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات
الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف ينظم ويرصف طالما دفع
الى مضايقه ووقع في مداحضه ومزالقه ولقد رايت اخواننا في الدين من
افاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والاصول الدينية
كلما رجعوا الي في تفسير آية فابرزت لهم بعض الحقايق من الحجب افاضوا
في الاستحسان والتعجب واستطيروا شوقا الى مصنف يضم اطرافا من ذلك
حتى اجتمعوا الي مقترحين ان املي عليهم الكشف عن حقايق التنزيل
وعيون الاقاويل في وجوه التاويل فاستعفيت فابوا الا المراجعة
والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد والذي حداني على
الاستعفاء على علمي انهم طلبوا ما الاجابة اليه علي واجبة لان الخوض فيه
كفرض العين ما ارى عليه الزمان من رثاثة احواله وركاكة رجاله وتقاصر
هممهم عن ادنى عدد هذا العلم فضلا ان تترقى الى الكلام المؤسس على
علمي المعاني والبيان فامليت عليهم مسئلة في الفواتح وطائفة من
الكلام في حقايق سورة البقرة وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب
طويل الذيول والاذناب وانما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وان كثرة
يكون لهم منارا ينتحونه ومثالا يحتذونه فلما صمم العزم على معاودة
جوار الله والاناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة وجدت في مجتازي
بكل بلد من فيه مسكة من اهلها وقليل ما هم عطشى الاكباد الى العثور على
ذلك المملى متطلعين الى ايناسه حراصا على اقتباسه فهز ما رايت من عطفي انقطع التشوق
وحرك الساكن من نشاطي فلما حططت الرحل بمكة اذا انا بالشعبة السنية
من الدوحة الحسنية الامير الشريف الامام شرف آل رسول الله ابي الحسن
علي بن حمزة بن وهاس ادام الله مجده وهو النكتة والشامة في
بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم اعطش الناس كبدا والهبهم
حشى واوفاهم رغبة حتى ذكر انه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي
عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاق بقطع الفيافي وطي المهامه

والوفادة

والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة هذا الغرض فعلت
فقد ضاقت على المستفتح وعيت به العلل ورايتني قد اخذت
مني السن وتقعقع الشن وناهزت العشر التي سمتها العرب
دقاقة الرقاب فاخذت في طريقة اخصر من الاولى مع ضمان التكثير
من الفوايد والفحص عن السراير ووفق الله وسدد ففرغ منه
في مقدار مدة خلافة ابي بكر رضي الله عنه وكان يقدر تمامه في اكثر
من ثلثين سنة وما هي الا آية من آيات هذا البيت المحرم وبركة
افيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم اسأل الله تعالى ان يجعل
ما تعبت فيه منه سببا ينجيني ونورا لي على الصراط يسعى بين يدي
وبيميني ونعم المسؤول **سورة فاتحة الكتاب** مكية وقيل مكية
ومدنية لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى وتسمى ام القرآن لاشتمالها
على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله بما هو اهله ومن التعبد
بالامر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك
وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة وسورة الصلوة
لانها تكون فاضلة او مجزية بقراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية
وهي سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد انعمت عليهم دون التسمية
ومنهم من مذهبه على العكس بسم الله الرحمن الرحيم قراء المدينة
والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست باية من الفاتحة
ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها
كما بدئ بذكرها في كل امر ذي بال وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله ومن
تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقراء مكة والكوفة
وفقهاؤهما على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي
واصحابه ولذلك يجهرون بها وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف
مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا انها من
القرآن لما اثبتوها وعن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة واربع
عشرة آية من كتاب الله تعالى فان قلت بم تعلقت الباء قلت بمحذوف

تقديره باسم الله اقرأ او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقروّ
كما ان المسافر اذا حلّ او ارتحل فقال باسم الله والبركات
باسم الله احلّ وباسم الله ارتحل وكذا الذابح وكل فاعل يبدأ في
فعله بسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف
متعلق الجار قوله عز وجل في تسع آيات الى فرعون وقومه اي اذهب
في تسع آيات الى فرعون وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس
بالرفاء والبنين وقول الاعرابي باليمن والبركة بمعنى اعرست
او نكحت ومنه قوله فقلت الى الطعام فقال منهم فريق يحسد الانس
الطعاما فان قلت لم قدرت المحذوف متاخرا قلت لان الاهم
من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لانهم كانوا يبدؤون باسماء
آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب ان يقصد الموحد
معنى اختصاص اسم الله عز وعلا بالابتداء وذلك بتقديمه وتاخير الفعل
كما فعل في قوله اياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة للاختصاص
والدليل عليه قوله باسم الله مجراها ومرساها فان قلت فقد قال اقرأ
باسم ربك فقدم الفعل قلت هناك تقديم الفعل اوقع لانها اول
سورة نزلت وكان الامر بالقراءة اهم فان قلت ما معنى تعلق
اسم الله بالقراءة قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بها تعلق
القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على ان المؤمن لما اعتقد ان
فعله لا يجئ معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر
اسم الله لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر الا
كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب
بالقلم والثاني ان يتعلق به تعلق الدهن بالانبات في قوله تعالى
تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرأ وكذلك قول الداعي
للمعرس بالرفاء والبنين معناه اعرست ملتبسا بالرفاء والبنين
وهذا الوجه اعرب واحسن فان قلت كيف قال الله تعالى متبركا باسم
الله اقرأ قلت هذا مقول على السنة العباد كما يقول الرجل الشعر

وتجوز في تنبت الدهن في اول سورة المؤمنين اي بالدهن في موضع حال اي تنبت وفيها الدهن

على لسان

على لسان غيره وكذلك الحمد لله رب العالمين الى آخره وكثير من القرآن
على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف
يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه فان قلت من حق حروف المعاني
التي جاءت على حرف واحد ان تبنى على الفتحة التي هي اخت السكون
نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال
لام الاضافة وبائها بنيتا على الكسر قلت اما اللام فللفصل بينها
وبين لام الابتداء واما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم
احد الاسماء العشرة التي بنوا اوائلها على السكون فاذا نطقوا بها
مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن اذ كان دأبهم
ان يبتدؤوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة
وبشاعة ولوضعها على غاية من الاحكام والرصانة واذا وقعت
في الدرج لم تفتقر الى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها
بتحريك الساكن فقال سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه
وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم واصله سمو بدليل تصريفه
كاسماء وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لان التسمية تنويه
بالمسمى واشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر
وهو رفع الصوت والنبز قشر النخلة الاعلى فان قلت فلم حذفت
الالف في الخط واثبتت في قوله باسم ربك قلت قد اتبعوا في حذفها
حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال
وقالوا طولت الباء تعويضا من طرح الالف وعن عمر بن عبد العزيز
انه قال لكاتبه طول الباء واظهر السينات ودور الميم والله
اصله الاله قال معاذ الاله ان يكون كظبية ونظيره الناس اصله
الاناس قال ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا فحذفت
الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع
كما يقال يا اله والاله من اسماء الاجناس كالرجل والفرس اسم يقع
على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم

لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على
الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود
بالحق لم يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق تأله وأله واستأله
كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة والحجر فان قلت
اسم هو او صفة قلت بل اسم غير صفة الا تراك تصفه ولا تصف به
لا تقول شيء اله كما لا تقول شيء رجل وتقول اله واحد صمد كما تقول
رجل كريم خير وايضا فان صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري
عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها
وهذا محال فان قلت هل لهذا الاسم اشتقاق قلت معنى الاشتقاق
ان ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة
قولهم اله اذا تحير ومن اخواته وله وعله ينتظمهما معنى التحير والدهشة
وذلك ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك
ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح فان قلت
هل تفخم لامه قلت نعم قد ذكر الزجاج ان تفخيمها سنة وعلى ذلك
العرب كلهم واطباقهم عليه دليل انهم ورثوه كابرا عن كابر
والرحمن فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر
وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي
الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا
والآخرة ورحيم الدنيا ويقولون ان الزيادة في البناء لزيادة
المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلئ غضبا ومما طن على
اذني من ملح العرب انهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف
وهو مركب خفيف ليس في محامل العراق فقلت في طريق الطائف
لرجل منهم ما اسم هذا المحمل اردت المحمل العراقي فقال اليس ذاك
اسمه الشقدف قلت بلى قال فهذا اسمه الشقنداف فزاد في بناء
الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق
والصعق لم يستعمل في غير الله عز وجل كما ان الله من الاسماء الغالبة

الغالبة واما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمان اليمامة وقول شاعرهم فيه
وانت غيث الورى لا زلت رحمانا فباب من تعنتهم
في كفرهم فان قلت كيف تقول الله رحمان اتصرفه ام لا قلت اقيسه
على اخواته من بابه اعني نحو عطشان وغرثان وسكران فلا اصرفه
فان قلت قد شرط في امتناع صرف فعلان ان يكون فعلان فعلى
واختصاصه بالله يحظر ان يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف قلت
كما حظر ذلك ان يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة فاذن لا عبرة
بامتناع التأنيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع الى الاصل
قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره فان قلت ما معنى وصف
الله بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على
ما فيها قلت هو مجاز عن انعامه على عباده لان الملك اذا عطف
على رعيته ورق لهم اصابهم بمعروفه وانعامه كما انه اذا ادركته الفظاظة
والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه فان قلت فلم قدم ما هو
ابلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى
كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض قلت لما قال
الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها واصولها اردفه الرحيم
كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف الحمد والمدح اخوان
وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل
على انعامه وحمدته على حسبه وشجاعته واما الشكر فعلى النعمة خاصة
وهو بالقلب واللسان والجوارح قال افادتكم النعماء مني
ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده وهو
احدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلام الحمد رأس الشكر ما
شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله رأس الشكر لان ذكر النعمة باللسان
والثناء على موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد وآداب
الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف
عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه

عن كل

والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء
وخبره الظرف الذي هو لله واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم
باضمار فعله على انه من المصادر التي تنصبها العرب بافعال مضمرة
في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما اشبه ذلك ومنها
سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة افعالها ويسدون بها مسدها
ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة
والعدول بها عن النصب الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى
واستقراره ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني
للدلالة على ان ابراهيم صلوات الله عليه حياهم بتحية احسن من
تحيتهم لان الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده
وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك نعبد واياك
نستعين لانه بيان لحمدهم له كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك
نعبد فان قلت ما معنى التعريف فيه قلت هو نحو التعريف في
ارسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما
يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من اجناس الافعال
والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرا الحسن
البصري الحمد لله بكسر الدال لاتباعها اللام وقرا ابراهيم بن
ابي عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعها الدال والذي جسرهما
على ذلك والاتباع انما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل
ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة كلمة لكثرة استعمالهما مقترنتين
واشف القراءتين قراءة ابراهيم حيث جعل الحركة البنائية
تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن الرب
المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من
قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه
فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر
للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده

وهو

في غيره على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة
وقوله تعالى ارجع الى ربك انه ربي احسن مثواي وقرا زيد بن علي
رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كانه
قيل نحمد الله رب العالمين العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين
وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض فان قلت لم جمع
قلت ليشمل كل جنس مما سمي به فان قلت فهو اسم غير صفة وانما
تجمع بالواو والنون صفات العقلاء او ما في حكمها من الاعلام
قلت ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم قرئ
ملك يوم الدين ومالك وملك بتخفيف اللام وقرا ابو حنيفة رحمه الله
ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرا ابو هريرة رضي الله عنه
مالك يوم الدين بالنصب وقرا غيره ملك وهو نصب على المدح ومنهم
من قرا مالك بالرفع وملك هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين
ولقوله تعالى لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك
يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة
ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا فان قلت
ما هذه الاضافة قلت هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق
الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار
والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله
لمن الملك اليوم فان قلت فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية
فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة قلت
انما تكون غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال او الاستقبال فكان
في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا فاما اذا قصد معنى
الماضي كقولك هو مالك عبده امس او زمان مستمر كقولك زيد مالك
العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في
مالك يوم الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله
ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة

ابي حنيفة رضي الله عنه ملك يوم الدين وهذه الاوصاف التي اجريت على الله سبحانه
من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته
ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق
ومن كونه مالكا للامر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد
الدلالة على اختصاص الحمد به وانه به حقيق في قوله الحمد لله دليل
على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء
عليه بما هو اهله ايا ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه
من الكاف والهاء والياء في قولك اياك واياه واياي لبيان
الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف
في ارايتك وليست باسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه
المحققون واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل
الستين فاياه وايا الشواب فشيء شاذ لا يعول عليه وتقديم
المفعول لقصد الاختصاص كقوله قل افغير الله تامروني اعبد
قل اغير الله ابغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب
المعونة وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة و
التشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل الغنوي فهياك
والامر الذي ان تراحبت موارده ضاقت عليك مصادره
والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة
اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم يستعمل الا
في الخضوع لله لانه مولي اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية
الخضوع فان قلت لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب
قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب
ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في
الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا
فسقناه وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة ابيات
تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة

كليلة

كليلة ذي العائر الارمد وذلك من نبإ جاءني وخبرته عن ابي الاسود
وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام اذا
نقل من اسلوب الى اسلوب كان احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا
للاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد
ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات
العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع
والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات
فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك
ولا نستعينه ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي
لا تحق العبادة الا به فان قلت لم قرنت الاستعانة بالعبادة
قلت ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون
اليه من جهته فان قلت فلم قدمت العبادة على الاستعانة قلت لان
تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة اليها فان قلت
لم اطلقت الاستعانة قلت ليتناول كل مستعان فيه والاحسن ان
تراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة ويكون قوله اهدنا
بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط
المستقيم وانما كان احسن لتلاؤم الكلام واخذ بعضه بحجزة بعض
وقرا ابن حبيش نستعين بكسر النون هدى اصله ان يتعدى
باللام او بالى كقوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وانك
لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى
قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح
الالطاف كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وعن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة الامر
والدعاء واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان في الرتبة
وقرا عبد الله ارشدنا السراط الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه
لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط

من قلب السين صادا لاجل الطاء كقولك مصيطر في مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاء وقرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام ويجمع سرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين انعمت عليهم كما قال للذين استضعفوا لمن آمن منهم فان قلت ما فائدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين انعمت عليهم قلت فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والاشعار بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المستقيم ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه واكده كما تقول هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للاكرم الافضل فجعلته علما في الكرم والفضل وكانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين انعمت عليهم هم المؤمنون واطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس هم اصحاب موسى قبل ان يغيروا وقيل هم الانبياء وقرأ ابن مسعود صراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم بدل من الذين انعمت عليهم على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال فان قلت كيف صح ان يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وان اضيف الى المعارف قلت

المسلمين

ولا الضالين

والذين

يستتبع

الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني ولان المغضوب عليهم ولا الضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير اذن الابهام الذي يابى عليه ان يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله عم وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل انعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل فان قلت ما معنى غضب الله قلت هو ارادة الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته فان قلت اي فرق بين عليهم الاولى والثانية قلت الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية فان قلت لم دخلت لا في ولا الضالين قلت لما في غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول انا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك انا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلي رض انهما قرآ وغير الضالين وقرأ ايوب السختياني ولا الضألين بالهمزة كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن وهذه لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد شأبة ودأبة آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما ان رويد وحيهل وهلم اصوات سميت بها الافعال التي هي امهل واسرع واقبل وعن ابن عباس سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا وعن النبي عم لقنني جبرئيل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل انه لم يثبت في المصاحف وعن الحسن لا يقولها الامام لانه الداعي وعن ابي حنيفة رح مثله والمشهور عنه وعن اصحابه انه

[margin: كما جوز في سورة النمل ... ولقد ... عمرو بن عبيد ... قوله هنالك ... تبدا ... والصحيح ... مذكور في سورة بني اسرائيل]

يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الشافعي يجهر بها وعن وائل بن حجر ان النبي عم كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن رسول الله عم انه قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي عم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

بسم الله الرحمن الرحيم الم اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم سمي به ضه من ضرب اذا تهجيته وكذلك را با اسمان لقولك ره به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي ان المسميات لما كانت الفاظا كاساميها وهي حروف وحدان والاسامي عدد حروفها مرتق الى الثلاثة اتجه لهم طريق الى ان يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ايداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحوقلة والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها العوامل ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفة كاسماء الاعداد فيقال الف لام ميم كما يقول واحد اثنان ثلاثة فاذا

وليتها

[illegible]

وليتها العوامل ادركها الاعراب كقولك هذه الف وكتبت الفا ونظرت الى الف وهكذا الحكم في كل اسم قصدت الى ذاته وحده قبل ان يحدث فيه بدخول العوامل شيء من تاثيراتها فحقك ان تلفظ به موقوفا الا ترى انك اذا اردت ان تلقي على الحاسب اجناسا مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها اغفالا من سمة الاعراب فتقول دار غلام جارية ثوب بساط ولو اعربت ركبت شططا فان قلت لم قضيت لهذه الالفاظ بالاسمية وهلا زعمت انها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين قلت قد استوضحت بالبرهان النير انها اسماء غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف الى التسامح وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الاسماء التي لا تقدح اشكال في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف مستعملين الحرف في معنى الكلمة وذلك ان قولك الف دلالته على اوسط حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص فما يرجع الى التسمية بين الدلالتين الا ترى ان الحرف ما دل على معنى في غيره وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه ولانها متصرف فيها بالامالة كقولك با تا وبالتفخيم كقولك يا ها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد والاضافة وجميع ما للاسماء المتصرفة ثم اني عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسال اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول باكاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال اقول كه به وذكر ابو علي في كتاب الحجة في ياسين وامالة يا انهم قالوا يا زيد في النداء فاما لوا وان كان حرفا قال فاذا كانوا قد اما لوا ما لا يمال من الحروف من اجل الياء

لا بألفاظها فإن قلت من أي قبيل هي من الأسماء أمعربة أم مبنية قلت بل هي أسماء
معربة وإنما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الأسماء حيث لا يمسها إعراب
لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على أن سكونها وقف وليس ببناء أنها لو بنيت وموجبه ٣
لحذي بها حذو كيف وأين وهؤلاء ولم يقل صادْ وقافْ ونونْ مجموعا فيها
بين الساكنين فإن قلت فلم لفظ المتهجي بما آخره ألف منها مقصورا فلما أعرب
مد فقال هذه باء وياء وهاء وذلك يخيل أن وزانها وزان قولك لا مقصورة
فإذا جعلتها اسما مددت فقلت كتبت لاء قلت هذا التخييل يضمحل بما لخصته
من الدليل والسبب في أن قصرت متهجاة ومدت حين مسها الإعراب أن حال التهجي خليقة
بالأخف الأوجز واستعمالها فيه أكثر فإن قلت قد تبين أنها أسماء حروف
المعجم وأنها من قبيل المعربة وأن سكونها فالإعجاز عند التهجي لأجل الوقف فما وجه
وقوعها على هذه الصورة فواتح السور قلت فيه أوجه أحدها وعليه إطلاق الأكثر
أنها أسماء السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف
بباب أسماء السور وهي في ذلك على ضربين أحدهما ما لا يتأتى فيه إعراب نحو كهيعص أي وكونها أسماء السور
والمر والثاني ما يتأتى فيه الإعراب وهو إما أن يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون
أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحاميم وطاسين وياسين فإنها موازنة
لقابيل وهابيل وكذلك طاسين ميم يتأتى فيها أن تفتح نونها وتصير ميم مضموما
إلى طاسين فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد فالنوع الأول محكي ليس إلا وأما النوع اسم سلطان فارس
الثاني فسائغ فيه الأمران الإعراب والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن أوفى شريح
العبسي يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم فأعرب حاميم ومنعها

العلمية والتأنيث والحكاية أن تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الأولى
كقولك دعني من تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرأت سورة أنزلناها
وقال وجدنا في كتاب بني تميم أحق الخيل بالركض المعار وقال ذو الرمة
سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا وقال
الآخر تنادوا بالرحيل غدا وفي ترحالهم نفسي وروي منصوبا ومجرورا
وتقول أهل الحجاز في استعلام من يقول رأيت زيدا من زيدا وقال سيبويه
سمعت من العرب من يقول لا من أين يا فتى فإن قلت فما وجه قراءة من قرأ صادَ
وقافَ ونونَ مفتوحات قلت الوجه أن يقال ذاك نصب وليس بفتح وإنما
لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر
وقد أجاز سيبويه مثل ذلك في حاميم وطاسين وياسين لو قرئ به وحكى أبو سعيد
السيرافي أن بعضهم قرأ ياسينَ ويجوز أن يقال حركت لالتقاء الساكنين
كما قرأ من قرأ ولا الضألّين فإن قلت هلا زعمت أنها مقسم بها وأنها نصبت
نصب قولهم نعم الله لأفعلن أي والله لأفعلن على حذف حرف الجر وإعمال
فعل القسم قال ذو الرمة ألا رب من قلبي له الله ناصح وقال الآخر فذاك أمانة
الله الثريد قلت إن القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت
ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا ذلك قال
الخليل في قوله عز وجل والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر
والأنثى إن الواوين الأخريين ليستا بمنزلة الأولى ولكنهما الواوان اللتان
تضمان الأسماء إلى الأسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والأولى بمنزلة الباء

وبحر في آخر الكلام رضاه بالقسم ٣
فكأنه وجد العرب يحلفون بأمانة الله فجعله يمينا في العرب أمانة الله الصمد العادل

والتاء قال سيبويه قلت للخليل فلم لا يكون الأخريان بمنزلة الأولى
فقال إنما أقسم بهذه الأشياء على شيء ولو كان انقضى قسمه بالأول
على شيء لجاز أن يستعمل كلاما آخر فيكون كقولك بالله لأفعلن تالله
لأخرجن اليوم ولا يقوى أن تقول وحقك وحق زيد لأفعلن والواو
الآخرة واو قسم لا يجوز إلا مستكرها قال وتقول وحياتي ثم حياتك لأفعلن
فثم ههنا بمنزلة الواو وهذا ولا سبيل فيما نحن بصدده إلى أن تجعل الواو للعطف
لمخالفة الثاني الأول في الإعراب فإن قلت فقدرها مجرورة بإضمار الباء
لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لأفعلن مجرورا ونظيره قولهم لاهِ أبوك غير
أنها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو للعطف حتى
تستتب لك المصير إلى نحو ما أشرت إليه قلت هذا لا يبعد عن الصواب
ويعضده ما روي عن ابن عباس أنه قال أقسم الله بهذه الحروف فإن قلت
فما وجه قراءة بعضهم صادِ وقافِ بالكسر قلت وجهها ما ذكرت من
التحريك لالتقاء الساكنين والذي يبسط من عذر المحرك أن الوقف لما استمر
بهذه الأسماء شاكلت لذلك ما اجتمع في آخره ساكنان من المبنيات
فعوملت تارة معاملة الآن وأخرى معاملة هؤلاء فإن قلت هل
تسوغ لي في المحكية ما سوغت لي في المعربة من إرادة معنى القسم قلت لا
عليك في ذلك أن تقدر حرف القسم مضمرا في نحو قوله عز وجل حم والكتاب
المبين كأنه قيل أقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين إنا جعلناه

وأما قوله عليه الصلاة والسلام حم لا ينصرون فيصلح أن يقصد به الجر والنصب جميعا على حذف
الجار وإضماره فإن قلت فما معنى تسمية السور بهذه الألفاظ خاصة قلت كأن المعنى
في ذلك الإشعار بأن الفرقان ليس إلا كلما عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الألفاظ
كما قال عز وجل قرآنا عربيا فإن قلت فما بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف أنفسها
لا على صور أساميها قلت لأن الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة
متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت أن يلفظ بالأسماء وتقع في
الكتابة الحروف أنفسها عمل على تلك الشاكلة المألوفة في كتابة هذه الفواتح وأيضا
فإن شهرة أمرها وإقامة ألسن الأسود والأحمر لها وأن اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى السن ٣
بطائل منها وأن بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده أمنت
وقوع اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي بني عليها
علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ الحفظ
وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبيد الله بن درستويه في كتابه المترجم
بكتاب الكتاب المتمم في الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لأنه سنة
وخط العروض لأنه يثبت فيه ما أثبته اللفظ ويسقط عنه ما أسقطه والوجه
الثالث أن يكون ورود هذه الأسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالإيقاظ
وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر في أن هذا المتلو
عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم
النظر إلى أن يستيقنوا أن لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن
أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم أمراء الكلام وزعماء الحوار

وبهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان
في القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بذت بلاغة
كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم تتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء
ولم يقع وراء مطامح اعين البصراء الا لانه ليس بكلام البشر وانه كلام
خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل وناصر
على الاول ان تقول ان القرآن انما نزل بلسان العرب مصبوبا في اساليبهم
واستعمالاتهم والعرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم احد منهم
بمجموع ثلاثة اسماء واربعة وخمسة والقول بانها اسماء السور حقيقة
يخرج الى ما ليس في لغة العرب ويؤدي ايضا الى صيرورة الاسم والمسمى واحدا
فان اعترضت عليه بقول الناس تقول على وجه الدهر وانه لا اصل
المارده اجابك بان له محملا سواه يتشبث به فيه انه نظير قول الناس فلان
يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ما قرأت فيقول
الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله في اولادكم والله
نور السموات والارض وليس بهذه محمل بان يجعل هذه القصائد وهذه السور والآي
وانما تعني رواية القصيدة التي ذاك استهلالها وتلاوة السورة والآي
التي تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على اسلوب من يقصد التسمية واستفيد منها
ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة
وللمجيب عن الاعتراضين على الوجه الاول ان يقول التسمية بثلاثة
اسماء فصاعدا مستنكرة لعمري وخروج عن كلام العرب ولكن اذا

جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت فاما غير مركبة منثورة نثر اسماء العدد
فلا استنكار فيها لانها من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية كما سموا تأبط شرا وبرق
نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق او بهيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه
بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من اسماء حروف المعجم دلالة قاطعة
على صحة ذلك واما تسمية السورة كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا لانها تسمية
مؤلف بالمؤلف والمؤلف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين مضمومين
اليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث كان الاسم مؤلفا
والمسمى مفردا والوجه الثالث ان ترد السور مصدرة بذلك ليكون اول ما يقرع الاسماع
مستقلا بوجه من الاغراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان النطق بالحروف انفسها
كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب بخلاف النطق باسامي
الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرأ وخالط اهل الكتاب وتعلم منهم وكان
مستغربا مستبعدا من الامي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال عز وجل
وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون فكان حكم
النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيئا من اهله حكم الاقاصيص
المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الاحاطة بها في
ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة ان يتكلم بالرطانة من غير
ان يسمعها من احد واعلم انك اذا تأملت ما اورده الله عز سلطانه في الفواتح
من هذه الاسماء وجدتها نصف اسامي حروف المعجم اربعة عشر سواء وهي الالف
واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء و
السين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم

اذا نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على انصاف اجناس الحروف بيان
ذلك ان فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء
ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف
ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء
والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف
واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء و
النون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف
واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين و
والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم اذا استقريت
الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التي القى الله تعالى ذكرها من هذه الاجناس المعدودة
مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت ان
اي مغلوبة بالكثرة
معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكأن
الله عز اسمه عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت
لهم والزام الحجة اياهم ومما يدل على انه تعمد بالذكر من حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف واللام
لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران
والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابراهيم وهود ويوسف
والحجر فان قلت فهلا عددت باجمعها في اول القرآن وما لها جاءت مفرقة على السور
قلت لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد اوصل
الى الغرض واقر له في الاسماع والقلوب من ان يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء
في القرآن مطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقرره فان قلت فهلا جاءت على وتيرة
واحدة ولم اختلفت اعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف وطه

وطس ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة احرف والمص والمر
اربعة احرف وكهيعص وحم عسق على خمسة احرف قلت هذا على عادة افتنانهم
في اساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب وكما ان ابنية كلماتهم
على حرف وحرفين الى خمسة احرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك
فان قلت فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها قلت اذا
كان الغرض هو التنبيه والمبادي كلها في تأدية هذا الغرض سواء لا مفاضلة
كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض اولاده زيدا
والآخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو لان الغرض
هو التمييز وهو حاصل اية سلك وكذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك
بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود
فان قلت فما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض قلت هذا علم توقيفي
لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور اما الم فآية حيث وقعت من السور المفتتحة بها
وهي ست وكذلك المص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في سورها
البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة
الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية و
يونس وابراهيم وهود ويوسف والحجر الشعراء والقصص
حم آية في سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية واحدة وص وق
ون ثلاثتها لم تعد آية هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها آية
فان قلت فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة آية قلت كما عد الرحمن وحده ومدهامتان
وحدها آيتين على طريق التوقيف فان قلت ما حكمها في باب الوقف قلت
يوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده
وذلك اذا لم تجعل اسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت
وحدها اخبار ابتداء محذوف كقوله عز وجل الم الله اي هذه الم ثم

وترتيبها وترتيب الآي
واما اختصاصها بثلثين
جزء ا علم ... الراجح
٣

ابتدأ افعا الله لا اله الا هو فان قلت هل لهذه الفواتح محل من الاعراب قلت نعم لها محل فيمن جعلها اسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء والاعلام فان قلت ما محلها قلت يحتمل الاوجه الثلاثة اما الرفع فعلى الابتداء واما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسورة لم يتصور ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعددة فان قلت لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمتقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما يقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا به فان قلت لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة قلت لا اخلو من ان اجعل الكتاب خبره او صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجرى عليه في التأنيث في قولهم من كانت امك وان جعلته صفته فانما اشير به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبياني نبئت نعمى على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري فان قلت اخبرني عن تأليف ذلك الكتاب مع الم قلت ان جعلت الم اسما للسورة ففي التأليف وجوه ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه الذي يستأهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية

وقد مر عدم رضاه بالقسم بها كما فسر

ذلك الكتب

الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل والكتاب صفة والخبر ما بعده او قدر مبتدأ محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرأ عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتأليف هذا ظاهر والريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمأنينة اي فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه ومنه انه مر بظبي حاقف فقال لا يربه احد بشيء فان قلت كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت ما نفى ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله فما ابعد وجود الريب منهم وانما عرفهم الطريق المزيل للريب وهو ان يحزروا انفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة ام تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها غول قلت لان القصد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو اولى الظرف لقصد الى ما يبعد عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه الريب

لا ريب فيه

لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كانه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرأ ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف من ان ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى لا ضير وقول العرب لا بأس وهي كثيرة في لسان اهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه فيه هدى الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته قال الله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ويقال مهدي في موضع المدح كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى اصله الا ترى الى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر واشباه ذلك فان قلت فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون قلت هو كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو انه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس رضي الله عنه اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالا ومنه قوله تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي صائرا الى الفجور والكفر فان قلت فهلا قيل هدى للضالين قلت لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم و

هدى للمتقين

ان يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وايضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القرآن واول المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابه ضلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شيء يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك واختلف في الصغائر وقيل الصحيح انه لا يتناولها لانها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل الا على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدأ اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب عن هذه المحال صفحا وان يقال ان قوله الم جملة برأسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من اعضاده ثم نفي عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا

ويسمى العطف بالحرف عطف نسق [illegible]

بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض
العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم اخبر عنه
بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد ان رتبت
هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى
الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة
وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي
هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين زادنا الله
اطلاعا على اسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه الذين يؤمنون بالغيب
اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني
الذين يؤمنون او هم الذين يؤمنون واما مقطوع عن المتقين مرفوع بالابتداء
مخبر عنه باولئك على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام
واذا كان منقطعا كان وقفا تاما فان قلت ما هذه الصفة اواردة بيانا
وكشفا للمتقين ام مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها ام جاءت
على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية عليه تمجيدا قلت يحتمل ان ترد على
البيان والكشف لاشتمالها على ما اسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات
وترك السيئات اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو اساس الحسنات ومنصبها
وذكر الصلوة والصدقة لان هاتين اما العبادات البدنية والمالية وهما العيار
على غيرهما الم تر كيف سمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل
بين الكفر والاسلام ترك الصلوة وسمى الزكوة قنطرة الاسلام وقال الله تعالى وويل
للمشركين

للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شانهما استجرار
سائر العبادات واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصارا وكان الاستغناء عن
عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي اذا وجد لم تتوقف اخواته ان تقترن
به مع ما في ذلك من الافصاح عن فضل هاتين العبادتين واما الترك فكذلك الا ترى
الى قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل ان لا يكون بيانا للمتقين وتكون
صفة برأسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل
ان يكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء
الزكوة بالذكر اظهارا لانافتها على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات
والايمان افعال من الامن يقال امنته وآمنته غيري ثم يقال آمنه اذا صدقه
وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة واما تعديته بالباء فلتضمينه معنى اقر واعترف
واما ما حكى ابو زيد عن العرب ما آمنت ان اجد صحابة اي ما وثقت فحقيقته صرت
ذا امن به اي ذا سكون وطمانينة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب اي
يعترفون به او يثقون بانه حق ويجوز ان لا يكون بالغيب صلة للايمان وان يكون في
موضع الحال اي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته متلبسين بالغيب كقوله
الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني لم اخنه بالغيب ويعضده ما روي
ان اصحاب عبد الله ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وايمانهم فقال ابن مسعود ان امر محمد
كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من ايمان بغيب ثم قرأ
هذه الآية فان قلت فما المراد بالغيب ان جعلته صلة وان جعلته حالا

قلت ان جعلته صلة كان بمعنى الغائب تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا
كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن
من الارض غيبا وعن النضر بن شميل شربت الابل حتى وارت غيوب كلاها يريد
بالغيب الخمصة التي تكون في موضع الكلية اذا بطنت الدابة انتفخت واما ان
يكون فيعلا فخفف كما قيل قيل في قيّل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء
الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه ولهذا
لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما
يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وان جعلته حالا
كان بمعنى الغيبة والخفاء فان قلت ما الايمان الصحيح قلت ان يعتقد الحق ويعرب عنه
بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة
فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق ومعنى اقامة الصلوة تعديل اركانها وحفظها من
ان يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها من اقام العود اذا قومه او الدوام عليها والمحافظة
عليها كما قال الله تعالى الذين هم على صلوتهم دائمون والذين هم على صلوتهم يحافظون من قامت
السوق اذا نفقت واقامها قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا
قميطا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي يتوجه اليه الرغبات ويتنافس فيه
المحصلون واذا عطلت واضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه او التجلد و
التشمر لادائها وان لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالامر وقامت
الحرب على ساقها وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثبط او اداؤها
فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع
و

ويقيمون الصلوة

وبالسجود وقالوا سبح اذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا انه كان من المسبحين والصلوة
فعلة من صلى كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين
لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره كفر اليهودي اذا طأطأ رأسه وانحنى عند
تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكاذتين وهما الكافرتان وقيل للداعي مصل تشبيها في تخشعه
بالراكع والساجد واسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستاهل ان
يضاف الى الله ويسمى رزقا منه وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف و
التبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض المال
الحلال بالتصدق به وجاز ان يراد به الزكوة المفروضة لاقترانه باخت الزكوة وشقيقتها
وهي الصلوة وان تراد هي وغيرها من النفقات في سبيل الخير لمجيئه مطلقا يصلح ان يتناول
كل منفق وانفق الشيء وانفده اخوان وعن يعقوب نفق الشيء ونفد واحد و
كل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك اذا تاملت
فان قلت والذين يؤمنون اهم غير الاولين ام هم الاولون وانما وسط العاطف
كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله الى الملك القرم وابن الهمام
وليث الكتيبة وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب قلت
يحتمل ان يراد هؤلاء مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه من الذين آمنوا
فاشتمل ايمانهم على كل وحي انزل من عند الله وايقنوا بالآخرة ايقانا زال معه ما
كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا
اياما معدودات واجتماعهم على الاقرار بالنشأة الآخرة واعادة الارواح في الاجسام
ثم افتراقهم فرقتين منهم من اجرى حالها في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب

ومما رزقناهم ينفقون

وجرياته الدنيا ودفعه آخرون فزعموا ان ذلك انما احتيج اليه في هذه الدار من
اجل نماء الاجسام ولمكان التوالد والتناسل واهل الجنة مستغنون عنه
فلا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور
واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف في المعطوف عليه يحتمل ان يراد
وصف الاولين ووسط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه
فان قلت فاذا اريد بهؤلاء غير اولئك فهل يدخلون في جملة المتقين ام لا
قلت ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا وكانت صفة التقوى
مشتملة على الفريقين من مؤمني اهل الكتاب وغيرهم وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا
وكأنه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما انزل اليك فان قلت قوله
بما انزل اليك ان عني به القرآن بأسره والشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت ايمانهم
فكيف قيل بما انزل بلفظ الماضي وان اريد المقدار الذي سبق انزاله وقت ايمانهم
فهو ايمان ببعض المنزل واشتمال الايمان على الجميع لفظ ومرتبته واجب قلت
المراد المنزل كله وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا
للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب فيقال
انا وانت فعلنا وانت وزيد فعلتما ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه
منتظر النزول جعل كأنه قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله تعالى انا سمعنا كتابا
انزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا
ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم به شر الا وهو نادر ولا
تريد بهذا الماضي منه فحسب دون الآتي لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه

بماضيه

بماضيه وقرأ يزيد بن قطيب بما انزل اليك وما انزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله
وفي تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من
اثبات امر الآخرة على خلاف حقيقته وان قولهم ليس بصادر عن ايقان وان اليقين
ما هم عليه اي بما انزل اليك وما انزل من قبلك واليقين اتقان
العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه والآخرة تانيث الآخر الذي هو نقيض الاول
وهي صفة الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا
وعن نافع انه خففها بان حذف الهمزة والقى حركتها على اللام كقوله دابة الارض
وقرأ ابو حية النميري يؤقنون بالهمز جعل الضمة في جار الواو كأنها فيه فقلبها همزة كما يفعل في
وجوه ووقتت ونحوه طلب المؤقدان الى موسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود
اولئك على هدى الجملة في محل الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ والا
فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين انك اذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون
بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستئناف وذلك انه لما قيل هدى للمتقين
فاختص المتقون بان الكتاب لهم هدى اتجه لسائل ان يسأل فيقول ما بال المتقين
مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب الى ساقته كأنه جواب لهذا
السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها
من الله ان يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم اي الذين هؤلاء
عقائدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك احب رسول
الله الانصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه اولئك اهل للمحبة
وان جعلته تابعا للمتقين وقع الاستئناف على اولئك كأنه قيل ما للمستقلين
بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فاجيب بان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان
يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا

وبالفلاح آجلا واعلم ان هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة باعادة اسم من
استؤنف عنه الحديث مثل قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة
باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك
فيكون الاستئناف باعادة الصفة احسن وابلغ لانطوائها على بيان الموجب
وتلخيصه فان قلت هل يجوز ان يجري الموصول الاول على المتقين وان
يرتفع الثاني على الابتداء واولئك خبره قلت نعم على ان يجعل اختصاصهم
بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله وهم
ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم ينالون الفلاح عند الله وفي اسم الاشارة
الذي هو اولئك ايذان بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله اهل لاكتسابه
من اجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم ولله صعلوك ثم عدد له خصالا
فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه وان عاش
لم يقعد ضعيفا مذمما ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم
وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل
وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى
ومعنى هدى من ربهم اي منحوه من عنده واوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي
اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي الى الافضل فالافضل ونكر هدى ليفيد ضربا
مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كأنه قيل على اي هدى كما تقول لو ابصرت
فلانا لابصرت رجلا وقال الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت
على لحم والنون في من ربهم ادغمت بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة ويزيد وورش
في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد غنها الباقون الا ابا عمرو فقد
روي عنه فيها روايتان واولئك هم المفلحون وفي تكرير اولئك تنبيه على انهم

كما ثبتت

ثبتت لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعل كل واحدة من الاثرتين في تمييزهم بها عن
غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها فان قلت لم جاء مع العاطف
وما الفرق بينه وبين قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون
قلت قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثم فانهما متفقان
لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد وكانت الجملة الثانية مقررة لما في الاولى
فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد
وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره او هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة
خبر اولئك ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك
انهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من اهل بلدك فاستخبرت
من هو فقيل زيد التائب اي هو الذي اخبرت بتوبته او على انهم الذين ان حصلت
صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون
تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام
ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز من قائل التنبيه على اختصاص المتقين
بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين و
توسيط الفصل بينه وبين اولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا
وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله
ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة
من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت له
وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بامرك
بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك اخواته في الفاء والعين
نحو فلق وفلذ وفلى لما قدم ذكر اوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي

اهتديهم لاصابة الزلفى عنده وبين ان الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على اثره
بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى
ولا يجدى عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وانذار الرسول وسكوته
فان قلت لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله ان
الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وغيره من الآي الكثيرة قلت ليس وزان
هاتين القصتين وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب
وانه هدى للمتقين وسيقت الثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين
الجملتين تباين في الغرض والاسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف فان قلت
هذا اذا زعمت ان الذين يؤمنون جار على المتقين فاما اذا ابتدأته
وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر في صفة اضدادهم كان مثل
تلك الآي المتلوة فان قلت قد مر لي ان الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله
الاستيناف وانه مبني على تقدير سوال فذلك ادراج له في حكم المتقين وتابع له
في المعنى وان كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف في الذين كفروا
يجوز ان يكون للعهد وان يراد بهم ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة و
اضرابهم وان يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده و
غيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم
سواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما وصف بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء للسائلين بمعنى مستوية و
ارتفاعه على انه خبر لان وأانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع المرتفع به على الفاعلية
كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان فان قلت
الفعل ابدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الاخبار عنه في هذا الكلام قلت هو من جنس الكلام
المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم

ع

مع المعاني ميلا بينا من ذلك قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن
منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل
والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام راسا قال سيبويه
جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة
يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما ان ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء
ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم عنهما لانه قد علم ان احد الامرين كائن اما الانذار
واما عدمه ولكن لا بعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين وفي أانذرتهم ست قراءات بتحقيق الهمزتين
والتخفيف اعرب واكثر وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسيط الف بينهما محققتين
وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء
حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح فان قلت فما تقول فيمن يقلب الثانية
الفا قلت هو لاحن خارج من كلام العرب خروجين احدهما الاقدام على جمع
الساكنين على غير حده وحده ان يكون الاول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو
قوله ولا الضالين وخويصة والثاني اخطاء طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة
المتحرك المفتوح ما قبلها ان تخرج بين بين فاما القلب الفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة
المفتوح ما قبلها كهمزة راس والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي فان قلت
ما موقع لا يؤمنون قلت اما ان يكون جملة مؤكدة للجملة قبلها او خبرا لان والجملة
قبلها اعتراض الختم والكتم اخوان لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه
كتما له وتغطية لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة
من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة فان قلت
ما معنى الختم على القلوب والاسماع وتغشية الابصار قلت لا ختم ولا تغشية ثم على
الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل ان يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل
اما الاستعارة فان تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمائرها من

قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده واسماعهم لانها تمجه وتنبو عن
الاصغاء اليه وتعاف استماعه كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لانها لا
تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها اعين المعتبرين
المستبصرين كانما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الادراك واما
التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الاغراض الدينية التي كلفوها و
خلقوا من اجلها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية
وقد جعل بعض المازنيين الحبسة واللكنة والعي ختما عليه فقال ختم الاله
على لسان عذافر ختما فليس على الكلام بقادر واذا اراد النطق خلت لسانه
لحما يحركه لصقر ناقر فان قلت فلم اسند الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل
على المنع من قبول الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله تعالى عن فعل القبيح علوا
كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما انا بظلام للعبيد
وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يامر بالفحشاء ونظائر
ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد الى صفة القلوب بانها كالمختوم عليها
واما اسناد الختم الى الله تعالى فلينبه على ان هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات
قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي الا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور
عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل اليك وقد وردت الآية
ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم
ويجوز ان تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي
اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته وليس للوادي ولا للعنقاء
عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال
به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم

فما

فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الاغتام التي
هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم او بحال قلوب البهائم انفسها او بحال
قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها
عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز ان يستعار الاسناد في نفس الختم
من غير الله لله فيكون الختم مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير
هذا ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول والمصدر والزمان والمكان
والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء على سبيل المجاز المسمى استعارة
وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جراءته فيستعار
له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر
شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم وليله قائم وفي المكان طريق سائر
ونهر جار واهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بني الامير المدينة وناقة ضبوث وحلوب
وقال اذا رد عافي القدر من يستعيرها فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا
ان الله تعالى لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب
ووجه رابع وهو انهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الآيات
والنذر ولا تجدي عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة ان اعطوها لم يبق بعد استحكام
العلم بانه لا طريق الى ان يؤمنوا طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر والالجاء
واذا لم يبق طريق الا ان يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض
في التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم في التصميم على
الكفر والاصرار عليه الى حد لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء وهي الغاية القصوى في وصف
لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبغي ووجه خامس وهو ان يكون حكاية لما كانت
الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر

ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في التجاهل والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة فان قلت اللفظ يحتمل ان يكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى ايهما يعول قلت على دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولو قفهم على سمعهم من قلوبهم فان قلت اي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم قلت لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والاسماع في تعدية واحدة وحين استجد للاسماع تعدية على حدة كان ادل على شدة الختم في الموضعين ووحد السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك اذا امن اللبس فاذا لم يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وانت تريد الجمع رفضوه ولك ان تقول السمع مصدر في اصله والمصادر لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه جمع الاذن في قوله وفي آذاننا وقر وان تقدر مضافا اي وعلى حواس سمعهم وقرأ ابن عبلة وعلى اسماعهم فان قلت هل منع امالة الابصار وقد قرأ بها قلت لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير كان فيها كسرتين وذلك عون على امالة الالف وان يمال له ما لا يمال والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وكانهما جوهران لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للابصار والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا وولهم عذاب عظيم والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول عذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب

ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله تعالى ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله تعالى اللهم اجرنا من عذابك لا نبتغي بسخطك بدلا من المغفرة ومن الناس افتتح سبحانه بذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم ووافق سرهم علانيتهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا والسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وابطنوا خلاف ما اظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم اليه وامقتهم عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك انزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة واصل ناس اناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الالوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله انسان وأناسي واناس وسموا لظهورهم وانهم يؤنسون اي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول الا ترى الى قولك وزن قه افعل وليس معك الا العين وحدها وهو من اسماء الجمع كرخال وثناء توام اسم من المصغر الا انه على صيغة المكبر والرجال والاناس في جمع ان ولا في انس ولام التعريف فيه للجنس ويجوز ان يكون للعهد والاشارة الى الذين كفروا المار

ذكرهم كانه قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن ابي واصحابه ومن كان في حالهم من اهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام ومن في يقول موصوفة كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال ان جعلت اللام للجنس وان جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي فان قلت كيف يجعلون بعض اولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم قلت الكفر جمع الفريقين معا وصيرهم جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من ان يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات انما تأبى بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية فان قلت لم اختص بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الآخر قلت اختصاصهما بالذكر كشف عن افراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الآخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته وكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا وكفرا موجبا لان قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم واروهم انهم مثلهم في الايمان الحقيق كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر وايضا فقد اوهموا في هذا المقال انهم احاطوا الايمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه واحاطوا باوله وآخره وفي تكرير الباء انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام فان قلت كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والاول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثاني بالعكس قلت القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريقا ادى الى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في

غيره وهو اخراج ذواتهم وانفسهم من ان تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الايمان واذا شهد عليهم بانهم في انفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل القطع والبت ونحوه قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو ابلغ من قولك وما يخرجون منها فان قلت فلم جاء الايمان مطلقا في الثاني وهو مقيد في الاول قلت يحتمل ان يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وان يراد بالاطلاق انهم ليسوا من الايمان في شيء قط لا من الايمان بالله وباليوم الآخر ولا من الايمان بغيرهما فان قلت ما المراد باليوم الآخر قلت يجوز ان يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الاوقات المنقضية وان يراد الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع اذا امر الحارش يده على باب جحره اوهمه اقباله عليه ثم خرج من باب آخر فان قلت كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا ترى الى قوله واستمطروا من قريش كل مخدع وقول ذي الرمة ان الحليم وذا الاسلام يختلب فضحا والنعت بالاخداع ولم يأت بالخدع قلت فيه وجوه احدها ان يقال كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا

يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون

احكامهم عليهم والثاني ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح
خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان بالله تعالى نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته
ولا ان لذاته تعلقا بكل معلوم ولا انه غني عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله ان
يكون الله في زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على
عباده ويخدعهم والثالث ان يذكر الله تعالى والمراد الرسول لانه خليفته في ارضه والناطق
عنه باوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وانما القائل والراسم
وزيره او بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومن يطع الرسول فقد اطاع الله
والرابع ان يكون من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله
وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك
المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه وكذلك ان الذين يؤذون الله
ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد
لا بنفسه لانه كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة وتمهيد لذكر
فضله فان قلت هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح قلت وجهه ان يقال
عني به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للغلبة والمباراة
والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار
لزيادة قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرأ يخدعون الله والذين آمنوا
وهو ابو حيوة ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستأنفا كانه قيل ولم يدعون
الايمان كاذبين وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون فان قلت ما كانوا يخادعون
قلت كانوا يخادعون لما من اغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم واعفاؤهم عن
المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به
المؤمنين من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من

القوم

الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها
الى منابذيهم فان قلت فلو اظهر عليهم حتى لا يحصلوا الا هذه الاغراض بخدعهم
عنها قلت لم يظهر عليهم لما احاط به علما من المصالح التي لو اظهر عليهم لانقلبت
مفاسد واستبقاء ابليس وذريته ومتاركتهم وما هم عليه من اغواء المكلفين
وتلقينهم النفاق اشد من ذلك لكن البعث ما عليه تعالى من المصلحة فان قلت
ما المراد بقوله وما يخدعون الا انفسهم قلت يجوز ان يراد وما يعاملون
تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها
يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه اي دائرة الضرار راجعة
اليه وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة اي انهم في ذلك يخدعون انفسهم
حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم كذلك تمنيهم
وتحدثهم بالاماني وان يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ
وما يخدعون ويخدعون من خدع ويخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدعون
ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا
نفسا ثم قيل للقلب نفس لان النفس به الا ترى الى قولهم المرء باصغريه
وكذلك قيل للروح والدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها
اليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء وحقيقة نفس الرجل بمعنى عين
اصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان يؤامر نفسه اذا تردد في
الامر واتجه له رأيان وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كانهم ارادوا داعيي النفس
وهاجسي النفس فسموهما نفسين والمراد اما الصدر وهاجسا النفس واما
الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه الآمرين له شبهوهما بذاتين فسموهما
نفسين والمراد بالانفس هنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم ان
الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم

يخادعون را

ودواعيهم وآراؤهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر
الانسان حواسه الخمس والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس لكنهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس
له واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة ان يراد
الالم كما تقول في جوفه مرض والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد
والغل والحسد والميل الى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف
وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض
ذلك والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او من الغل والحسد والبغضاء
لان صدورهم كانت تغلي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين غلا
وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله تعالى في قوله قد بدت البغضاء من
افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويتحرقون عليهم حسدا ان تمسسكم حسنة
تسؤهم وناهيك بما كان من ابن ابي وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح
اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق
بذلك ويراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لان قلوبهم كانت
قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن
ولواءه يخفق اياما ثم يقر فضعفت حين ملكها اليأس عند انزال الله على
رسوله النصر واظهار دين الحق على الدين كله واما لجرأتهم وجسارتهم في الحروب
فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة
المسلمين وامداد الله تعالى لهم بالملائكة فزادهم الله مرضا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على
رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكأن الله هو الذي
زادهم ما ازدادوه اسنادا للفعل الى المسبب كما اسنده الى السورة في قوله

فزادتهم

ففي قلوبهم مرض

فزادتهم رجسا لكونها سببا او كلما زاد رسوله نصرة وتبسطا في البلاد ونقصا
من اطراف الارض ازدادوا حسدا وغلا وبغضا وازدادت قلوبهم
ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل ان يراد بزيادة
المرض الطبع وقرأ ابو عمرو في رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون الراء وهم
عذاب اليم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قولهم تحية بينهم
ضرب وجيع وهذا على طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة للمؤلم كما ان الجد للجاد
بما كانوا يكذبون والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه رمز
الى قبح الكذب وسماجته وتخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم ونحوه قوله تعالى
مما خطيئاتهم اغرقوا والقوم كفرة وانما خصت الخطيئات استعظاما لها
وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه وهو قبيح كله واما
ما يروى عن ابراهيم عليه السلام انه كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كان صورته
صورة الكذب سمي به وعن ابي بكر رضي الله تعالى عنه ورويَ مرفوعا اياكم والكذب فانه
مجانب للايمان وقرئ يكذبون من كذبه الذي هو نقيض صدقه او من كذب الذي هو مبالغة
في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدّق ونظيرهما بان الشيء وبيّن وقلص
الثوب وقلّص او بمعنى الكثرة كقولك موتت البهائم وبركت الابل او من قولهم
كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه لان المنافق متردد
في امره ولذلك قيل له مذبذب قال عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة
العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة واذا قيل لهم لا تفسدوا
معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف على يقول آمنا لانك لو قلت ومن
الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا والاول اوجه والفساد خروج الشيء
عن حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة
النافعة والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما في
الارض وانتفاء الاستقامة عن احوال الناس والزروع والمنافع الدينية و

والدينية قال الله تعالى وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث
والنسل أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت
بين طي حرب الفساد وكان من فساد المنافقين في الأرض أنهم كانوا يمالئون الكفار
ويمالئونهم على المسلمين بإفشاء أسرارهم إليهم وإغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي
إلى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا إلى الفساد قيل لهم لا تفسدوا
كما قيل للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار إذا أقدم على ما هذه
عاقبته وإنما لقصر الحكم على شيء كقولك إنما ينطلق زيد أو لقصر الشيء على حكم كقولك
إنما زيد كاتب ومعنى قالوا إنما نحن مصلحون أن صفة المصلحين خلصت لهم و
تمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد وألا مركبة
من همزة الاستفهام وحرف النفي لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها
والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقا كقوله أليس ذلك بقادر ولكونها
في هذا المنصب من التحقيق لا يكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم وأختها
التي هي أما من مقدمات اليمين وطلائعها أما والذي لا يعلم الغيب غيره أما والذي
أبكى وأضحك رد الله تعالى ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ رد وأدله
على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما في كلمتي ألا وإن
من التأكيدين وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله ولكن لا يشعرون وإذا
قيل لهم آمنوا كما آمن الناس من تمام النصيحة من وجهين أحدهما تقبيح ما
كانوا عليه لبعده من الصواب وجره إلى الفساد والفتنة والثاني تبصيرهم لطريق
الأسد من اتباع ذوي الأحلام ودخولهم في عدادهم والكلام في جوابهم أنهم سفهوهم
لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من
الجهلة فإن قلت كيف صح أن يسند قيل إلى لا تفسدوا وآمنوا وإسناد
الفعل إلى الفعل مما لا يصح قلت الذي لا يصح هو إسناد الفعل إلى معنى الفعل

وهذا إسناد له إلى لفظه كأنه قيل وإذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو نحو قولك ألف
ضرب من ثلاثة أحرف ومنه زعموا مطية الكذب وما في كما يجوز أن تكون كافة مثلها في
ربما ومصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد أي كما آمن رسول الله
ومن معه وهم ناس معهودون أو عبد الله بن سلام وأشياعه لأنهم من جلدتهم و
من أبناء جنسهم أي كما آمن أصحابكم وإخوانكم أو للجنس أي كما آمن الكاملون في الإنسانية
أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين
الحق والباطل والاستفهام في قوله قالوا أنؤمن في معنى الإنكار واللام في كما آمن
السفهاء مشار بها إلى الناس كما تقول لصاحبك إن زيدا قد سعى بك فيقول
أو قد فعل السفيه ويجوز أن تكون للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم
لأنهم عندهم أعرق الناس في السفه فإن قلت لم سفهوهم واستركوا عقولهم و
هم العقلاء المراجيح قلت لأنهم لجهلهم وإخلالهم بالنظر وإنصاف أنفسهم اعتقدوا
أن ما هم فيه هو الحق وأن ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولأنهم
كانوا في رياسة وسطة في قومهم ويسار وكان أكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال
كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشأنهم أو أرادوا عبد الله
ابن سلام وأشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من إسلامهم وفت في أعضادهم
قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم أنهم من السفه بمعزل و
السفه سخف في العقل وخفة في الحلم فإن قلت لم فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي
قبلها بلا يشعرون قلت لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على
الحق وهم على الباطل يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة وأما
النفاق وما فيه من البغي المؤدي إلى الفتنة والفساد في الأرض فأمر دنيوي مبني على
العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التغاور
والتناحر والتحارب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولأنه قد ذكر السفه وهو جهل

وإذا لقوا الذين آمنوا

فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له فإن قلت هذه الآية مع ما سبقت له أول قصة
المنافقين فليس بتكرير لأن تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان
ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم
بوجوه المصادقين وإيهامهم أنهم معهم فإذا فارقوهم إلى شطارهم صدقوهم
ما في قلوبهم وروي أن عبد الله بن أبي وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم
نفر من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عبد الله انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء
عنكم فأخذ بيد أبي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني
رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي
الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد علي فقال
مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال
لأصحابه كيف رأيتموني فعلت فأثنوا عليه خيرا فنزلت ويقال لقيته ولاقيته إذا
استقبلته قريبا منه وهو جاري وملاقي ومراءي وقرأ أبو حنيفة وإذا
لاقوا وإذا خلوا من خلوت بفلان وإليه إذا انفردت معه ويجوز أن يكون من
خلا بمعنى مضى وخلاك ذم أي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به
إذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه وإذا أنهوا السخرية
بالمؤمنين إلى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول أحمد إليك فلانا وأذمه إليك وشياطينهم
الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع
من كتابه أصلية وفي آخر زائدة والدليل على أصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن
إذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط إذا بطل إذا جعلت نونه زائدة ومن أسمائه الباطل قالوا
إنا معكم إنا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم فإن قلت لم كانت مخاطبتهم المؤمنين
بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بإن قلت ليس ما خاطبوا به المؤمنين
جديرا بأقوى الكلامين وأوكدهما لأنهم في ادعاء حدوث الإيمان منهم ونشئه من قبلهم لا

المصادقين

في ادعاء أنهم أوحديون في الإيمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك إما لأن أنفسهم لا تساعدهم
عليه إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن أريحية وصدق
رغبة واعتقاد وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه
ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والأنصار الذين مثلهم في التوراة
والإنجيل ألا ترى إلى حكاية الله قول المؤمنين ربنا إننا آمنا وأما مخاطبة إخوانهم
فهم فيها أخبروا عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من أن يزلوا
عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم
متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد فإن قلت أنى تعلق قوله إنما نحن مستهزئون
بقوله إنا معكم قلت هو توكيد له لأن قوله إنا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله إنما
نحن مستهزئون رد للإسلام ودفع له منهم لأن المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع
لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته أو بدل منه لأن من حقر الإسلام
فقد عظم الكفر أو استئناف كأنهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم إنا معكم فقالوا
إن صح أنكم معنا فما لكم توافقون أهل الإسلام فقالوا إنما نحن مستهزئون والاستهزاء
السخرية والاستخفاف وأصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على
المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت لأهزأن على مكاني وناقته تهزأ
به أي تسرع وتخف فإن قلت لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لأنه متعال عن القبيح والسخرية
من باب العيب والجهل ألا ترى إلى قوله قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من
الجاهلين فما معنى استهزائه بهم قلت معناه إنزال الهوان والحقارة بهم لأن المستهزئ
غرضه الذي يرميه طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وإدخال الهوان والحقارة
عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله بالكفرة والمراد
به تحقير شأنهم وازدراء أمرهم والدلالة على أن مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون
ويضحك الضاحكون ويجوز أن يراد به ما مر في كادعون من أنه يجري عليهم أحكام المسلمين

في الظاهر وهو مبطن بأضداد ما يراءونهم وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله و
جزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فإن قلت
كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت هو استئناف
في غاية الجزالة والفخامة وفيه أن الله تعالى هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم
إليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل
وفيه أن الله هو الذي يستهزئ بهم ويتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين
أن يعارضوهم باستهزاء مثله فإن قلت فهلا قيل إن الله مستهزئ بهم ليكون طبقا
لقوله إنما نحن مستهزئون قلت لأن يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت
وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم أولا يرون أنهم يفتنون في
كل عام مرة أو مرتين وما كانوا يخلون في أكثر أوقاتهم من تهتك أستار وتكشف
أسرار ونزول في شأنهم واستشعار حذر من أن ينزل فيهم يحذر المنافقون أن
تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون ويمدهم
في طغيانهم من مد الجيش وأمده إذا زاده وألحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وأمدها
زادها ما يصلحها ومددت السراج والأرض إذا استصلحتهما بالزيت والسماد
ومده الشيطان في الغي وأمده إذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد
انهماكا فيه فإن قلت لم زعمت أنه من المدد دون المد في العمر والإملاء والإمهال قلت كفاك
دليلا على أنه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع
وإخوانهم يمدونهم على أن الذي بمعنى أمهله إنما هو مد له مع اللام كأملى له فإن قلت كيف جاز أن
يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعل الشيطان ألا ترى إلى قوله وإخوانهم يمدونهم
في الغي قلت إما أن يحمل على أنهم لما منعهم الله ألطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم
بسبب كفرهم وإصرارهم عليه بقيت قلوبهم يتزايد الرين والظلمة فيها تزايد
الانشراح والنور في قلوب المؤمنين فسمي ذلك التزايد مددا وأسنده إلى الله سبحانه لأنه مسبب

أي لا يبالي

الرين الطبع والدنس صح

منعهم ألطافه بسبب كفرهم وإما على منع القسر والإلجاء وإما على أن يسند فعل الشيطان
إلى الله تعالى لأنه بتمكينه وإقداره والتخلية بينه وبين إغواء عباده فإن قلت فما
حملهم على تفسير يمدهم في الطغيان بالإمهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت
استجرهم إلى ذلك خوف الإقدام على أن يسندوا إلى الله ما أسندوا إلى الشياطين ولكن
المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته وإلا كان منه بمنزلة الأروى من النعام ومن حق
مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة
على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح فإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من
تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم يتمادون
وأن هؤلاء من أهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو وقرأ زيد
بن علي رضي الله عنهما في طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان
فإن قلت أي نكتة في إضافته إليهم قلت فيها أن الطغيان والتمادي
في الضلالة مما اقترفته أنفسهم واجترحته أيديهم وأن الله بريء منه ردا لاعتقاد
الكفرة القائلين لو شاء الله ما أشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند إسناد
المد إليه لو لم يضف الطغيان إليهم أن الطغيان فعله فلما أسند المد إليه على الطريق
الذي ذكر أضاف الطغيان إليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع في صدر من يلحد في صفاته ومصداق
ذلك أنه حين أسند المد إلى الشياطين أطلق الغي ولم يقيده بالإضافة في
قوله وإخوانهم يمدونهم في الغي يعمهون والعمه مثل العمى إلا أن العمى في البصر والرأي
والعمه في الرأي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري أين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه
أي الذين لا رأي لهم ولا دراية بالطرق وسلك أرضا عمهاء لا منار بها اشتروا
الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة لأن
الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر ومنه أخذت بالجمة رأسا أزعرا وبالثنايا
الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم إذ تنصرا ومنه
قال عز وجل فيما يعيب بني إسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتغون

الزعر قلة الشعر

الدنيا بعمل الآخرة فإن قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى
وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه وإعراضهم له كأنه في أيديهم فإذا تركوه
إلى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولأن الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس
عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلال الجور عن القصد وفقد الاهتداء
يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين فما
ربحت تجارتهم الربح الفضل على رأس المال ولذلك سمي الشف من قولك أشف
بعض ولده على بعض إذا فضله ولهذا على هذا شف والتجارة صناعة التاجر و
هو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كأنها من حسنها وسمنها تبيع نفسها و
قرأ ابن عبلة تجاراتهم فإن قلت كيف أسند الخسران إلى التجارة وهو لأصحابها
قلت هو من الإسناد المجازي وهو أن يسند الفعل إلى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له
كما تلبست التجارة بالمشترين فإن قلت هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الإسناد
المجازي قلت نعم إذا دلت الحال وكذلك الشرط في صحة رأيت أسدا وأنت تريد المقدام
إن لم تقم حال دالة لم يصح فإن قلت هب أن شراء الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى
الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثم مبايعة على الحقيقة قلت هذا من الصنعة
البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى بأشكال
لها وأخوات إذا تلاحقن لم تر كلاما أحسن منه ديباجة وأكثر ماء ورونقا وهو المجاز
المرشح وذلك نحو قول العرب في البليد كأن أذني قلبه خطلاوان جعلوه كالحمار ثم
رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه أذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا
البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه ولما رأيت النسر
عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم
بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم في أمه فما أم الردين
وإن أدلت بعالمة بأخلاق الكرام إذا الشيطان قصع في قفاها تنفقناه
بالحبل التؤام أي إذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى

تصغير درص ولد الفأرة

المحكم يريد إذا حردت وأساءت الخلق اجتهدنا في إزالة غضبها وإماطة ما يسوء من خلقها
استعار التقصيع أولا ثم ضم إليه التنفق ثم الحبل التؤام فكذلك لما ذكر سبحانه الشراء
أتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه إليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته
فإن قلت ما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين قلت معناه أن الذي يطلبه
التجار في متصرفاتهم شيئان سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين
معا لأن رأس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في أيديهم إلا
الضلالة لم يوصفوا بإصابة الربح وإن ظفروا بما ظفروا به من الأغراض الدنيوية لأن
الضال خاسر دامر ولأنه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق
التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها
بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الأمثال واستحضار
العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ورفع الأستار
عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه
شاهد وفيه تبكيت للخصم الألد وقمع لسورة الجامح الأبي ولأمر ما أكثر الله في
كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله وفشت في كلام رسول الله وكلام الأنبياء والحكماء
قال الله تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ومن سور
الإنجيل سورة الأمثال والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل
ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل
ولم يضربوا مثلا ولا رأوه أهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول إلا قولا
فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير فإن قلت ما معنى مثلهم كمثل
الذي استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه
أحد المثلين بصاحبه قلت قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام للحال أو الصفة
أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذي
استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون أي فيما قصصنا عليك من

التي قصته الجنة العجيبة ثم اخذ في بيان عجايبها ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي
له شان من العظمة والجلالة مثلهم في التورية اي صفتهم وشانهم المتعجب منه ولما في
المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشان فان قلت
كيف مثلت الجماعة بالواحد قلت وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا
والذي سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا
نحوه من الصفات امران احدهما ان الذي لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة
وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه
بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في اسماء الفاعلين والمفعولين
والثاني ان جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون انما ذلك علامة لزيادة الدلالة
الا ترى ان سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد او قصد جنس المستوقدين
او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد نارا على ان المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات
المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل
الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله ينظرون اليك نظر
المغشي عليه من الموت ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها في اخواته وقد دل
اذ اصعد وعلا والنار جوهر لطيف مضي حار محرق والنور ضوءها وضوء كل نير
وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا
والنور مشتق منها والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله هو الذي جعل الشمس
ضياء والقمر نورا وهي في الاية متعدية ويحتمل ان يكون غير متعدية مسندة
الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء
ويعضده قراءة ابن ابي عبلة ضاءت وفيه وجه وهو ان يستتر في الفعل ضمير النار
ويجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة
في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف وتاليفه للدوران والاطافة وقيل للعام حول لانه
يدور فان قلت اين جواب لما قلت فيه وجهان احدهما ان جوابه ذهب الله بنورهم
والثاني انه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وانما جاز حذفه لاستطالة

الكلام

الكلام مع امن الالباس للدال عليه وكان الحذف اولى من الاثبات لما فيه من الوجازة
مع الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من اللفظ في اداء
المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين
متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في احياء النار فان قلت
فاذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق فذهب الله بنورهم قلت يكون كلاما مستانفا
كانهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره اعترض سائل فقال ما بالهم
قد شبهت حالهم بحال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم او يكون بدلا من جملة
التمثيل على سبيل البيان فان قلت قد رجع الضمير في هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه
في الوجه الثاني قلت مرجعه الذي استوقد لانه في معنى الجمع واما جمع هذا الضمير وتوحيده في
حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى فان قلت فما معنى اسناد الفعل الى الله
في قوله ذهب الله بنورهم قلت اذا طفئت النار بسبب سماوي ريح او مطر فقد
اطفاها الله وذهب بنور المستوقد ووجه اخر وهو ان يكون المستوقد في هذا الوجه
مستوقد نار لا يرضاها الله تعالى ثم اما ان تكون نارا مجازية كنار الفتنة و
العداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء
الا ترى الى قوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقية اوقدها
الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق
العبث فاطفاها الله وخيب امانيهم فان قلت كيف صح في النار المجازية
ان توصف باضاءة ما حول المستوقد قلت هو خارج على طريقة المجاز المرشح فاحسن
تدبره فان قلت هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما اضاءت قلت ذكر
النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم
الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا
الا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه
وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا يتراءى

فوهم
فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون فان قلت فلم وصفت بالاضاءة قلت هذا على مذهب
لكل ضوء له ثم يضمحل وراح الضلالة عقيبه تحفتا ونار العرفج تروى كل طامح
والفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به
اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه فلما ذهبوا به اذن لذهب
كل اله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما يمسك الله
فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وقرأ اليماني اذهب الله نورهم وترك بمعنى طرح وخلى اذا
علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير
فيجري مجرى افعال القلوب كقول عنترة فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله وتركهم
في ظلمات اصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزئين والظلمة عدم النور وقيل عرض
ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد
البصر وتمنع الرؤية وقرأ الحسن ظلمات بسكون اللام وقرأ اليماني في ظلمة بالتوحيد والمفعول
الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من
قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير متعد اصلا نحو يعمهون في قوله ويذرهم في طغيانهم
يعمهون فان قلت فيم شبهت حالهم بحال المستوقد قلت في انهم غب الاضاءة خبطوا
في ظلمة وتورطوا في حيرة فان قلت واين الاضاءة في حال المنافق وهل هو ابدا الا
حائر خابط في ظلماء الكفر قلت المراد ما استضاؤا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة
على السنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم الى ظلمة
سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز ان يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على
اسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والاوجه ان
يراد الطبع لقوله صم بكم عمي وفي الاية تفسير اخر وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا
الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة
ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه
اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم صم بكم عمي كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا

عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا
بعيونهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها
للاحساس والادراك كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم
اذنوا اصم عما ساءه سميع اصم عن الشيء الذي لا اريده واسمع فاصممت عمرا و
اعميته عن الجود والفخر يوم الفخار فان قلت كيف طريقته عند علماء البيان قلت
طريقته قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا ان هذا في الصفات وذاك في
الاسماء وقد جاءت الاستعارة في الاسماء والصفات والافعال جميعا تقول
رايت ليوثا ولقيت صماما عن الخير ودجا الاسلام واضاء الحق فان قلت هل
يسمى ما في الاية استعارة قلت مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا
لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق
حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه
والمنقول اليه لولا دلالة الحال او فحوى الكلام كقول زهير لدى اسد شاكي
السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كانهم يتناسون
التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له
حاجة في السماء ولبعضهم لا تحسبوا ان في سرباله رجلا ففيه غيث وليث مسبل
مشبل وليس لقائل ان يقول طوي ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدا فاتسلق بذلك الى
تسميته استعارة لانه في حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج اسد علي وفي الحروب
نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر وهم لا يرجعون انهم لا يعودون الى الهدى بعد ان
باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين
الذين بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون
وكيف يرجعون الى حيث ابتدؤا منه ثم ثنى الله سبحانه في شانهم بتمثيل اخر
ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا غب ايضاح وكما يجب على البليغ في مظان
الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والاشباع

اى وجدته اعمى

ان يفصل ويشبع الا ترى الى الجاحظ يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي
الملاحظ خيفة الرقباء ومما ثني من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الاعمى والبصير
ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات الا
ترى الى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته اذاك ام نمش بالوشي اكرعه اذاك
ام خاضب بالسي مرتعه فان قلت قد شبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد
نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا
شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق قلت لقائل
ان يقول شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيى به حيوة الارض وما يتعلق من
شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة
من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق والمعنى او
كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها
ما لقوا فان قلت هذا تشبيه اشياء باشياء فاين ذكر المشبهات وهلا
صرح به كما في قوله وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات
ولا المسيء وفي قول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها
العناب والحشف البالي قلت كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن
الاستعارة كقوله وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج
ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل والصحيح الذي عليه علماء
البيان لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة
لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل
بيانه ان العرب تاخذ اشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم ياخذ
هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن وتشبه
كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا
واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية الغرض تشبيه

حال اليهود في جهلها بما معها من التورية وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من
اسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار
لا يشعر من ذلك الا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحيوة
الدنيا كماء انزلناه من السماء والمراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فاما
ان يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا
فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة
شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في
ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق
فان قلت الذي كنت تقدره في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك او
كمثل ذوي صيب هل تقدر مثله في المركب قلت لولا طلب الراجع في قوله يجعلون
اصابعهم في آذانهم ما يرجع اليه لما كنت مستغنيا عن تقديره لاني اراعي الكيفية
المنتزعة من مجموع الكلام فلا علي اولي حرف التشبيه مفرد يتاتى التشبيه به ام لم يله
الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا الآية كيف ولي الماء الكاف وليس الغرض
تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد وما الناس
الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع لم يشبه الناس بالديار وانما شبه
وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول اهل الديار فيها ووشك نهوضهم
عنها وتركها خلاء خاوية فان قلت اي التمثيلين ابلغ قلت الثاني لانه ادل على فرط الحيرة
وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخروه وهم يتدرجون في نحو هذا من الاهون الى الاغلظ
فان قلت لم عطف احد التمثيلين على الآخر بحرف الشك قلت او في اصلها
لتساوي شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك
وذلك قولك جالس الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيان في استصواب
ان تجالس ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا اي الآثم والكفور متساويان
في وجوب عصيانهما فكذلك قوله او كصيب معناه ان كيفية قصة المنافقين
مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وان القصتين سواء في استقلال
كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها

بهما جميعا فكذلك الصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب
ايضا قال الشماخ واسحم دان صادق الرعد صيب وتنكير صيب لانه نوع من المطر
شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول وقرئ او كصائب والصيب ابلغ و
السماء هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف فان قلت قوله من السماء ما
الفائدة في ذكره والصيب لا يكون الا من السماء قلت الفائدة فيه انه جاء بالسماء
معرفة فنفى ان يتصوب من سماء اي من افق واحد من بين سائر الآفاق لان كل افق
من آفاقها سماء كما ان كل طبقة من الطباق سماء في قوله واوحى في كل سماء امرها و
الدليل عليه قوله ومن بعد ارض بيننا وسماء والمعنى انه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء
وكما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير امد ذلك
بان جعله مطبقا وفيه ان السحاب من السماء ينحدر ومنها ياخذ ماءه لا كزعم من يزعم انه ياخذه
من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد فان قلت بم ارتفع
ظلمات قلت بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من
السحاب كان اجرام السحاب تضطرب وتنتقض وترتعد اذا اخذتها الريح فتصوت عند ذلك من
الارتعاد والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اذا لمع فان قلت قد
جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو من ان يراد به السحاب او المطر فايهما اريد فما ظلماته
قلت اما ظلمات السحاب فاذا كان اسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما
ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال الغمام
مع ظلمة الليل فان قلت كيف يكون المطر مكانا للرعد والبرق وانما مكانهما السحاب
قلت اذا كانا في اعلاه ومصبه ملتبسين في الجملة فهما فيه الا تراك تقول
فلان في البلد وما هو منه الا في حيز يشغله جرمه فان قلت هلا جمع الرعد والبرق اخذا
بالابلغ كقول البحتري يا عارضا متلفعا ببروده يختال بين بروقه ورعوده
وكما قيل ظلمات قلت فيه وجهان احدهما ان يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين
في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعي حكم اصلهما بان ترك جمعهما
والثاني ان يراد الحدثان كانه قيل وارعاد وابراق وانما جاءت هذه الاشياء
منكرات

منكرات لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف
وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب
كما قال او هم قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه الا ترى الى حسان كيف
عول على بقاء معناه في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق
السلسل حيث ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستانفا
لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكان قائلا قال فكيف حالهم
مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل
ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم فان قلت رؤوس الاصابع
هي التي تجعل في الاذن فهلا قيل اناملهم قلت هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد
الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وايديكم فاقطعوا ايديهما اراد البعض
الذي هو الى المرفق والذي الى الرسغ وايضا ففي ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر
الانامل فان قلت فالاصبع التي تسد بها الاذن اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام
دون الخاص قلت لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها اولى باداب
القرآن الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة
فان قلت فهلا ذكر بعض هذه الكنايات قلت هي الفاظ مستحدثة لم يتعارفها
الناس في ذلك العهد وانما احدثوها بعد وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون
اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في آذانهم كقولك سقاه من العيمة
والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا
اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها
سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت و
يقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق
ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا وقرا الحسن من الصواقع وليس بقلب
للصواعق لان كلا البنائين سواء في التصرف واذا استويا كان كل واحد بناء على
حياله الا تراك تقول صقعه على راسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته
ونظيره جبذ في جذب ليس بقلبه لاستوائهما في التصرف وبناؤها ...

ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء مبالغة كما في الراوية او مصدرا
كالكاذبة والعافية وقرأ ابن ابي ليلى حذار الموت وانتصب على انه مفعول له
كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض
لا يصح معه احساس معاقب للحيوة واحاطة الله والله محيط بالكافرين مجاز
والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها
والخطف الاخذ بسرعة وقرأ مجاهد يخطف ابصارهم بكسر الطاء والفتح
افصح واعلى وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء واصله
يختطف وعنه يخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي رضي الله عنهما
يخطّف من خطّف وعن ابي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء
لهم استيناف ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق
وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه
من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان
يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا
خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في
قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم واضاء اما متعد بمعنى كلما نور لهم
ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في
مطرح نوره وملقى ضوئه ويعضده قراءة ابن ابي عبلة كلما ضاء لهم والمشي
جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو فان قلت كيف
قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا قلت لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود
من امكان المشي وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف
والتحبس واظلم يحتمل ان يكون غير متعد وهو الظاهر وان يكون متعديا منقولا
من ظلم الليل وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب اظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر
حبيب بن اوس هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب
وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما
يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك
لتوثقهم بروايته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه

ممشى

تتمة ٢

السوق اذا ركدت وقام الماء جمد ومفعول شاء محذوف لان الجواب دل عليه والمعنى ولو شاء الله
ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء واراد
لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب نحو قوله فلو شئت ان ابكي دما
لبكيته وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا لو اراد الله ان يتخذ ولدا
ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق
وقرأ ابن ابي عبلة لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم والشيء ما
صح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري اواخر الكلم من العربية
وانما يخرج التأنيث من التذكير الا ترى ان الشيء يقع على كل ما اخبر عنه من قبل ان يعلم
اذكر هو ام انثى والشيء مذكر وهو اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجسم
والعرض والقديم تقول شيء لا كالاشياء اي معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم
والمحال فان قلت كيف قيل ان الله على كل شيء قدير وفي الاشياء ما لا تعلق
للقادر به كالمستحيل وفعل قادر آخر قلت مشروط في حد القادر ان لا يكون الفعل مستحيلا
فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الاشياء كلها فكأنه قيل على كل شيء مستقيم
قدير ونظيره فلان امير على الناس اي على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وان كان من
جملة الناس واما الفعل بين قادرين فمختلف فيه فان قلت مم اشتقاق القدير قلت
من التقدير لانه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز لما عدد الله
فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف
امورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها
اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله اياك نعبد واياك نستعين وهو
فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما انك اذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما ان
فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك الى
الثالث فقلت يا فلان من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة في مجاري امورك وتستوي على جادة
السداد في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت اصغاءه

مطلب الفرق بين يا ايها الناس ويا ايها الذين آمنوا

الى ارشادك زيادة استدعاء واوجدته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة هزا
من طبعه لا تجده اذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان في الحديث والخروج
فيه من صنف الى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الانفس للقبول و
بلغنا باسناد صحيح عن ابراهيم عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها
الذين آمنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع
في اصله لنداء البعيد وهو صوت يهتف به الرجل بمن يناديه واما نداء القريب فله اي والهمزة
ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة من بعد فاذا نودي به
القريب المفاطن فذاك للتأكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معني به جدا فان قلت
فما بال الداعي يقول في جؤاره يا رب يا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد واسمع به
وابصر قلت هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى
رضوان الله تعالى ومنازل المقربين هضما للنفس واقرارا عليها بالتفريط في جنب الله
مع فرط التهالك على استجابة دعوته والاذن لندائه وابتهاله واي وصلة الى نداء
ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذي وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف
المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلا بد ان يردفه اسم جنس او
ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه حرف النداء هو اي والاسم
التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف الا ان ايا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم
ينفك من الصفة وفي هذا التدرج من الابهام الى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد وكلمة
التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكانفته
بتأكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه اي من الاضافة فان قلت لم كثر في كتاب الله
النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره قلت لاستقلاله باوجه من التأكيد واسباب من المبالغة لان
كل ما نادى الله تعالى له عباده من اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده
واقتصاص اخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما انطق به كتابه امور عظام وخطوب
جسام ومعان عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون
فاقتضت الحال ان ينادوا بالآكد الابلغ فان قلت لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون

متوجها

متوجها الى المؤمنين والكافرين جميعا او الى الكافرين خاصة على ما روي عن علقمة والحسن
فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف امروا بما هم ملتبسون به وهل هو الا كقول
القائل فلو اني فعلت كيت لمن تسأله وهو قائم ان يقوم واما الكفار فلا يعرفون
الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه قلت المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم
منها واقبالهم وثباتهم عليها واما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد منه وهو الاقرار
كما يشترط على المأمور بالصلوة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه
فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر حيث لم ينفعل الا به وكان من لوازمه على ان مشركي
مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فان قلت
فقد جعلت قوله اعبدوا متناولا لشيئين معا الامر بالعبادة والامر بازديادها
قلت الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئا آخر فان قلت ربكم ما المراد به قلت
كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فان خصوا
بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والارض والآلهة التي كانوا يسمونها اربابا و
كان قوله الذي خلقكم صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب للفرق جميعا فالمراد به ربكم
على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوصف في
خطاب الكفرة خاصة لان الاول اوضح وهذا افصح والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء
خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس وقرأ ابو عمرو خلقكم بالادغام وقرأ ابو السميفع
وخلق من قبلكم وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنهما والذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة
ووجهها على اشكالها ان يقال اقحم الموصول الثاني بين الاول وصلته تأكيدا كما اقحم جرير في
قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه وكاقحامهم لام الاضافة بين
المضاف والمضاف اليه في لا ابا لك لعل للترجي او الاشفاق تقول لعل زيدا يكرمني ولعله
يهينني وقال الله تعالى لعله يتذكر او يخشى لعل الساعة قريب الا ترى الى قوله والذين آمنوا
مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الاطماع في مواضع من القرآن ولكن لانه اطماع
من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجري اطماعه مجرى وعده المحتوم وفائه به قال

قال ان لعل بجزئه ولعل لا يكون بجزئه ولكن الحقيقة ما القيت اليك في ايضا في
بيدين الملوك وما عليه وضاع امرهم ويوهم ان تقصروا في مواعيدهم التي يوطنون
انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات او يخيلوا اخالة او يظهر
منهم بالرمزة او الابتسام او النظرة الحلوة فاذا اعثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب
ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملك ذي العز والكبرياء
او يجري على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا ايها الذين آمنوا
توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم فان قلت فلعل التي
في الاية ما معناها وموقعها قلت ليست مما ذكرناه في شيء لان قوله خلقكم لعلكم تتقون
لا يجوز ان يحمل على رجاء الله تقواهم لان الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على ان
يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا ولكن لعل واقعة في الاية موقع المجاز لا الحقيقة لان
الله خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح
العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع في ايديهم زمام الاختيار واراد منهم
الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا ليترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة
والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل وان لا يفعل مصداقه قوله عز وعلا ليبلوكم
ايكم احسن عملا وانما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء
امرهم على الاختيار فان قلت كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من
قبلهم لذلك لم قصره عليهم دون من قبلهم قلت لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على
الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا فان قلت فهلا قيل تعبدون لاجل
اعبدوا او اتقوا لمكان يتقون ليتجاوب طرفا النظم قلت ليس التقوى غير العبادة حتى يؤدي
ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم
للاستيلاء على اقصى غايات العبادة كان ابعث على العبادة واشد الزاما لها واثبت
لها في النفوس ونحوه ان تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يمينك الا لجر الاثقال
ولو قلت لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع قدم سبحانه من موجبات عبادته
وملزمات حق الشكر له خلقهم احياء قادرين اولا لانه اصول النعم ومقدمتها

و

والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم
الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التي
هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه
عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها
اشباه النسل المنتج من الحيوان من الوان الثمار رزقا لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبرا
ومتسلقا الى النظر الموصل الى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم
الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وان شيئا من هذه المخلوقات
كلها لا يقدر على ايجاد شيء منها فيتيقنوا انه لا بد لها من خالق ليس كمثلها
حتى لا يجعلوا المخلوق له اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر في
الموصول مع صلته اما ان يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم او على المدح
والتعظيم واما ان يكون رفعا على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح وقرأ يزيد
الشامي بساطا وقرأ طلحة مهادا او معنى جعلها الذي جعل لكم الارض فراشا وبطاطا
ومهادا للناس انهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم على
فراشه وبساطه ومهاده فان قلت هل فيه دليل على ان الارض مسطحة وليست
كروية قلت ليس فيه الا ان الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت
على شكل السطح او شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع
جرمها وتباعد اطرافها واذا كان متسهلا في الجبل وهو وتد من اوتاد الارض
فهو في الارض ذات الطول والعرض اسهل والسماء بناء مصدر سمي به المبني بيتا
كان او قبة او خباء او طراف وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم
كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا فان قلت وانزل من السماء ماء
فاخرج به ما معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيئته قلت
المعنى انه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو
قادر على ان ينشئ الاجناس كلها بلا اسباب ولا مواد كما انشأ نفوس الاسباب
والمواد ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة
الى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها للملائكة والنظار بعيون الاستبصار

عبادة عبرا وافكارا صالحة وزيادة طمأنينة وسكون الى عظيم قدرته وغرائب حكمته
ليس في ذلك انشاء بغتة من غير تدريج وترتيب من في الثمرات للتبعيض بشهادة
قوله فاخرجنا به من كل الثمرات وقوله فاخرجنا به ثمرات ولان المنكرين اعني ماء ورزقا
يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية كانه قيل وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا
به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السماء
الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز ان يكون للبيان
كقولك انفقت من الدراهم الفا فان قلت فبم انتصب رزقا قلت ان كانت من
للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت مبينة كان مفعولا لاخرج فان قلت
فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار قلت فيه وجهان احدهما
ان يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه يريد ثماره ونظيره
قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وانما هي مدر متلاحق والثاني
ان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات
وثلاثة قروء ويعضد الوجه الاول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد ولكم صفة
جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كانه قيل رزقا
اياكم فان قلت بم تعلق فلا تجعلوا لله قلت فيه ثلاثة اوجه ان يتعلق بالامر
اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان
لا تجعل لله ندا ولا شريكا ويتعلق بلعل على ان ينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله
تعالى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى في رواية حفص عن عاصم اي خلقكم
لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء
اي هو الذي خلقكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا
له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المناوئ قال جرير اتيما تجعلون الي ندا
وما تيم لذي حسب نديد وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند ندودا اذا نفر
ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه فان قلت كانوا يسمون
اصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون انها تخالف الله
وتناويه قلت لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد

انها

انها
آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم
بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شأنهم بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح
ان يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه اربا
واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور وفي قراءة محمد بن السميفع فلا تجعلوا
لله ندا فان قلت ما معنى وانتم تعلمون قلت معناه وحالكم وصفتكم انكم من صحة تمييزكم
بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال والاصابة في التدابير
والدهاء والفطنة بمنزلة لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنوا
الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة
بها ومفعول تعلمون متروك كانه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه آكد
اي انتم العارفون المميزون ثم ان ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله
اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انها
وبينه من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله هل من
شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وان كنتم في ريب لما احتج عليهم باثبات
الوحدانية وتحقيقها وابطال الاشراك وهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك و
تصحيحه وعرفهم ان من اشرك فقد كابر عقله وغطى على ما انعم عليه من معرفته وتمييزه
عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما يدحض الشبهة في
كون القرآن معجزة واراهم كيف يتعرفون اهو من عند الله كما يدعي ام هو من عند نفسه
كما يدعون بارشادهم الى ان يحزروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء جنسه
واهل جلدته فان قيل لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال قلت
لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم
كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما
سورة بعد سورة وآيات غب آيات على حسب النوازل وكفاء الحوادث
وعلى سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا

ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي
ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى
قصارى امر العابد ومنتهى جهده
فاذا قال اعبدوا ٢٣

النجم

ضم الوجه المفصل واما ان سلا
لم اصابة الكلام لان الكلام
اذا اصاب المفصل بين
المفصل ٣

نجماً فنجماً حيناً فحيناً حسب ما يعن لهم من الأحوال المتجددة والحاجات السانحة
لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه ورسائله
ضربة فلو أنزله الله لأنزله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال
الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل إن ارتبتم في هذا
الذي وقع إنزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه و
هلموا نجماً فرداً من نجومه سورة من أصغر السور أو آيات شتى مفتريات وهذه
غاية التبكيت ومنتهى إزاحة العلل وقرئ على عبدنا فأتوا بسورة وقرئ على عبادنا
يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات
وواوها إن كانت أصلاً فإما أن تسمى بسورة المدينة وهي حائطها لأنها طائفة
من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور أو لأنها محتوية على فنون من
العلم وأجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها وإما أن تسمى بالسورة
التي هي الرتبة قال النابغة ولرهط حراب وقد سورة ليس غرابها بمطار لأجل
المعنيين لأن السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي أيضاً في أنفسها مترتبة
طوال وأوساط وقصار أو لرفعة شأنها وجلالة محلها في الدين وإن جعلت
واوها منقلبة عن همزة فلأنها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التي هي البقية من الشيء
والفضلة منه فإن قلت ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً قلت ليست
الفائدة في ذلك واحدة ولأمر ما أنزل الله التوراة والإنجيل والزبور وسائر ما
أوحاه إلى أنبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في
كل فن كتبهم أبواباً موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده أن الجنس إذا انطوت تحته
أنواع واشتمل على أصناف كان أحسن وأنبل وأفخم من أن يكون بياناً واحداً ومنها
أن القارئ إذا ختم سورة أو باباً من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأهز
لعطفه وأبعث له على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر إذا
علم أنه قطع ميلاً أو طوى فرسخاً وانتهى إلى رأس بريد نفس ذلك منه ونشطه للسير
ومن ثم جزأ القراء القرآن أسباعاً وأجزاء وعشوراً وأخماساً ومنها أن الحافظ
إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة

وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ويغتبط به ومنه حديث أنس رضي الله عنه كان الرجل إذا
قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثم كانت القراءة في الصلوة بسورة تامة أفضل
ومنها أن التفصيل بسبب تلاحق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض وبذلك
تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم إلى غير ذلك من الفوائد والمنافع من مثله متعلق بسورة
صفة لها أي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا أو لعبدنا ويجوز أن يتعلق بقوله فأتوا والضمير
للعبد فإن قلت وما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل قلت معناه فأتوا بسورة
مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم أو فأتوا ممن هو على حاله من كونه
بشراً عربياً أو أمياً لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد إلى مثل ونظير هنالك ولكنه
نحو قول القبعثري للحجاج وقد قال له لأحملنك على الأدهم مثل الأمير حمل على الأدهم والأشهب أراد
من كان على صفة الأمير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد أحداً يجعله مثلاً للحجاج ورد
الضمير إلى المنزل أوجه لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله فأتوا بعشر سور مثله على أن يأتوا بمثل
هذا القرآن لا يأتون بمثله ولأن القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على أصح الأساليب والكلام
مع رد الضمير إلى المنزل أحسن ترتيباً وذلك أن الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو
مسوق إليه ومربوط به فحقه أن لا ينفك عنه برد الضمير إلى غيره ألا ترى أن المعنى وإن ارتبتم في أن القرآن
منزل من عند الله فهاتوا أنتم نبذاً مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردوداً
إلى رسول الله أن يقال وإن ارتبتم في أن محمداً منزل عليه فهاتوا قرآناً من مثله ولأنهم إذا
خوطبوا جميعاً وهم الجم الغفير بأن يأتوا بطائفة يسيرة من جنس ما أتى به واحد منهم كان أبلغ
في التحدي من أن يقال لهم ليأت واحد آخر بنحو ما أتى به هذا الواحد ولأن هذا تعجيز لهم
وادعوا شهداءكم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة أو الناصر أو الإمام
مكان من الشرع ومنه الشاهد وهو الذي يحضر ويحفظ وتبين الكتب
أو دنا بعضها من بعض وتقليل الميل بينها يقال أدنى من ذلك إذا كان أحط منه بقليل
ودونك هذا أصله ومن ذلك أدنى مكان فاختصر واستعير للتفاوت في الأحوال
والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد رآه بالثناء
أنا دون هذا وفوق ما في نفسك ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد وتخطي أمر إلى أمر

قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أي لا تتجاوزوا
ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين وقال أمية يا نفس ما لك دون الله من واق
أي إذا تجاوزت وقاية الله ولم تناليها لم يقك غيره ومن دون الله إن كنتم
صادقين متعلق بادعوا أو بشهداءكم فإن علقته بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين
اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم أنهم يشهدون لكم يوم القيامة أنكم على الحق أو ادعوا
الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قول الأعشى تريك القذى من دونها وهي دونه
أي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى لرقتها وصفائها وفي أمرهم أن يستظهروا
بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم أو ادعوا شهداءكم
من دون الله أي من غير أوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم أنكم أتيتم بمثله و
هذا من المساهلة وإرخاء العنان والإشعار بأن شهداءهم وهم مدارة القوم الذين هم
وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تأبى عليهم الطباع وتجمح بهم الأناسي والأنفة
أن يرضوا لأنفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستحالته في عقولهم
إحالته وتحليته بالدعاء في هذا الوجه جائز وإن علقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون
الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد أن ما ندعيه حق كما يقوله
العاجز عن إقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم
بينة تصحح بها الدعاوى عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخذالهم وأن الحجة قد بهرتهم
ولم تبق لهم متشبثاً غير قولهم الله يشهد إنا لصادقون وقولهم هذا تسجيل منهم على أنفسهم
بتناهي العجز وسقوط القدرة وعن بعض العرب أنه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له
قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة أو ادعوا من دون الله شهداءكم يعني أن الله شاهدكم
لأنه أقرب إليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين أعناقكم والجن والإنس شاهدكم
فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والإنس إلا الله تعالى لأنه القادر وحده على أن
يأتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو في معنى قوله قل لئن اجتمعت الإنس والجن الآية
فإن لم تفعلوا لما أرشدهم إلى الجهة التي منها يتعرفون أمر النبي عليه السلام وما جاء به حتى
يعثروا على حقيقته وسره وامتياز حقه من باطله قال لهم فإذا لم تعارضوه ولم يتسهل

لكم ما تبتغون وبان لكم أنه معجوز عنه فقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد
لمن كذب وفيه دليلان على إثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزاً والإخبار بأنهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه إلا الله
فإن قلت انتفاء إتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء بإذا الذي للوجوب دون إن الذي للشك قلت
فيه وجهان أحدهما أن يساق القول معهم على حسبانهم وطمعهم أن العجز عن المعارضة كان قبل التأمل
كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثاني أن يتهكم بهم كما يقول الموصوف
بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه إن غلبتك لم أبق عليك وهو يعلم أنه غالب
ويتيقنه تهكماً به فإن قلت لم عبر عن الإتيان بالفعل وأي فائدة في تركه إليه قلت لأنه فعل من
الأفعال تقول أتيت فلاناً فيقال لك نعم ما فعلت والفائدة فيه أنه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصاراً
أو وجازة تغنيك عن طول المكنى عنه ألا ترى أن الرجل يقول ضربت زيداً في موضع كذا على صفة كذا
وشتمته ونكلت به ويعد كيفيات وأفعالاً فتقول بئس ما فعلت ولو ذكرت ما أنبته منه لطال
عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الإتيان إلى لفظ الفعل لاستطيل أن يقال فإن لم تأتوا بسورة من مثله
ولن تأتوا بسورة من مثله فإن قلت ولن تفعلوا ما محلها قلت لا محل لها لأنها جملة اعتراضية فإن قلت
ما حقيقة لن في باب النفي قلت لا ولن أختان في نفي المستقبل إلا أن في لن توكيداً وتشديداً تقول
لصاحبك لا أقيم غداً فإن أنكر عليك قلت لن أقيم غداً كما تفعل في أنا مقيم وإني مقيم وهي عند الخليل
أصلها لا أن وعند الفراء لا أبدلت ألفها نوناً وعند سيبويه وإحدى الروايتين عن الخليل
حرف مقتضب لتأكيد نفي المستقبل فإن قلت من أين لك أنه إخبار بالغيب على ما هو به
حتى يكون معجزاً قلت لأنهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع أن يتواصفه الناس ويتناقلوه إذ خفاء
مثله فيما عليه مبنى العادة محال لا سيما والطاعنون فيه أكثر عدداً من الذابين عنه فحين
لم ينقل علم أنه إخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة فإن قلت ما معنى اشتراطه في اتقاء النار
انتفاء إتيانهم بسورة من مثله قلت إنهم إذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم
صدق رسول الله عليه السلام وإذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا
استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم إن استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار
موضعه لأن اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث أنه من نتائجه لأن من اتقى
النار ترك المعاندة ونظيره أن يقول الملك لحشمه إن أردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد
فأطيعوني واتبعوا أمري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب
البلاغة وفائدته الإيجاز الذي هو حلية القرآن وتهويل شأن العناد بإنابة اتقاء النار منابه
وإبرازه في صورته مشيعاً ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع أمرها والوقود ما ترفع به النار

وأما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار
وقوداً عالياً ثم قال والوقود أكثر والوقود الحطب وقرأ عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر
كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده وقد جوزوا أن يكون مثل قولك حياة المصباح السليط أي ليست
حياته إلا به فكأن نفس السليط حياته فإن قلت صلة الذي والتي يجب أن تكون قصة معلومة للمخاطب
فكيف علم أولئك أن نار الآخرة توقد بالناس والحجارة قلت لا يمتنع أن يتقدم لهم بذلك سماع
من أهل الكتاب أو سمعوه من رسول الله أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم ناراً
وقودها الناس والحجارة فإن قلت فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة
التحريم وههنا معرفة قلت تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها ناراً موصوفة بهذه الصفة ثم
نزلت هذه بالمدينة مشاراً بها إلى ما عرفوه أولاً فإن قلت ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة
قلت معناه أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بأنها لا تتقد إلا بالناس والحجارة
وبأن غيرها إن أريد إحراق الناس بها أو إحماء الحجارة أوقدت أولاً بوقود ثم طرح فيها
ما يراد إحراقه أو إحماؤه وتلك أعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما تحرق وتحمى
وبأنها لإفراط حرها وشدة ذكائها إذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع
لهبها فإن قلت أنار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة أم هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة
قلت بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا أنفسكم
وأهليكم ناراً فأنذرتكم ناراً تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم ناراً وقودها
الشياطين كما أن لكفرة الإنس ناراً وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من
العذاب فإن قلت لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقوداً قلت لأنهم قرنوا
بها أنفسهم في الدنيا حيث نحتوها أصناماً وجعلوها لله أنداداً وعبدوها من دونه قال
الله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه فقوله
إنكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما
اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله أنها الشفعاء والشهداء الذين
يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن أنفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار
جهنم إبلاغاً في إيلامهم وإغراقاً في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكانزين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم
عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها فتكوى بها جباههم وجنوبهم
وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له
بمعاني التنزيل أعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرأ عبد الله اعتدت من
العتاد بمعنى العدة من عادته عز وجل في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة

بالإنذار إرادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار وأعمالهم
وأوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة
من فعل الطاعات وترك المعاصي وحموها من الإحباط بالكفر والكبائر بالثواب فإن قلت من المأمور
بقوله وبشر الذين آمنوا قلت يجوز أن يكون رسول الله عليه السلام وأن يكون كل أحد كما
قال عليه السلام بشر المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة لم يأمر بذلك أحداً بعينه وإنما كل أحد مأمور
به وهذا الوجه أحسن وأجزل لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على
البشارة به فإن قلت علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهي يصح عطفه عليه قلت ليس الذي
اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي يعطف عليه إنما المعتمد بالعطف هو
جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب
بالقيد والإرهاق وبشر عمراً بالعفو والإطلاق ولك أن تقول هو معطوف على قوله فاتقوا
كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني أسد بإحساني إليهم وفي قراءة زيد
ابن علي رضي الله عنه وبشر على لفظ المبني للمفعول عطفاً على أعدت والبشارة الإخبار بما يظهر
سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء إذا قال لعبيده أيكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى
عتق أولهم لأنه هو الذي أظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرني أخبرني
عتقوا جميعاً لأنهم جميعاً أخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من أوائل ضوئه
وأما فبشرهم بعذاب أليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به
وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله فأعتبوا
بالصيلم والصالحات نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة
من آل لأم بظهر الغيب تأتيني وعملوا الصالحات والصالحات كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل
والكتاب والسنة واللام للجنس فإن قلت أي فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها
داخلة على المجموع قلت إذا دخلت على المفرد كان صالحاً لأن يراد به الجنس إلى أن يحاط به وأن
يراد به بعضه إلى الواحد منه وإذا دخلت على المجموع صلح أن يراد به جميع الجنس وأن يراد به بعضه
لا إلى الواحد لأن وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل
الجنس لا في وحدانه فإن قلت فما المراد بهذا المجموع مع اللام قلت الجملة من الأعمال الصالحة
المستعمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف أن لهم جنات والجنة
البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه قال زهير تسقي جنة سحقا

أي نخلاً طوالاً والتركيب دائر على معنى الستر وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي
هي المرة من مصدر جنه إذا ستره كأنها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت
دار الثواب جنة لما فيها من الجنان فإن قلت الجنة مخلوقة أم لا قلت قد اختلف
في ذلك والذي يقول إنها مخلوقة يستدل بسكنى آدم وحواء الجنة ومجيئها في القرآن
على نهج الأسماء الغالبة اللاحقة بالأعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها فإن قلت
ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان
كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان
فإن قلت أما يشترط في استحقاق الثواب بالإيمان والعمل الصالح أن لا يحبطهما المكلف بالكفر
والإقدام على الكبائر وأن لا يندم على ما أوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا
شرط ذلك قلت لما جعل الثواب مستحقاً بالإيمان والعمل الصالح والبشارة مختصة
بمن يتولاهما وركز في العقول أن الإحسان إنما يستحق عليه الثناء والمثوبة إذا
لم يعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وأنه لا يبقى مع وجود مفسده إحساناً وأعلم بقوله
لنبيه عليه السلام وهو أكرم الناس عليه وأعزهم لئن أشركت ليحبطن عملك وقال
للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم كان اشتراط حفظهما
من الإحباط والندم كالداخل تحت الذكر فإن قلت كيف صورة جري الأنهار
قلت كما ترى الأشجار النابتة على شواطئ الأنهار الجارية وعن مسروق أنهار الجنة
تجري في غير أخدود وأنزه البساتين وأكرمها منظراً ما كانت أشجاره مظللة والأنهار
في خلالها مطردة ولولا أن الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى وأن الجنان
وإن كانت آنق شيء وأحسنه لا تروق الناظر ولا تبهج الأنفس ولا تجلب الأريحية
والنشاط حتى يجري فيها الماء وإلا كان الأنس الأعظم فائتاً والسرور الأوفر
مفقوداً وكانت كتماثيل لا أرواح فيها وصور لا حياة لها لما جاء الله تعالى
بذكر الجنات إلا مشفوعاً بذكر الأنهار الجارية من تحتها مسوقين على قران
واحد كالشيئين لا بد لأحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها والنهر
المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة واللغة
العالية النهر بالفتح ومدار التركيب على السعة وإسناد الجري إلى الأنهار من الإسناد المجازي كقولهم بنو فلان
يطؤهم الطريق وصيد عليه يومان فإن قلت لم نكر الجنات وعرف الأنهار قلت أما تنكير الجنات

فقد ذكر وأما تعريف الأنهار فأن يراد الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري
والتين والعنب وألوان الفواكه تشير إلى الأجناس التي في علم المخاطب
أو يراد أنهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الإضافة كقوله واشتعل
الرأس شيباً أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة في قوله فيها أنهار من ماء غير آسن
وأنهار من لبن لم يتغير طعمه الآية وقوله كلما رزقوا لا يخلو من أن يكون صفة ثانية
لجنات أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة لأنه لما قيل إن لهم جنات لم يخل
خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا أم أجناس
أخر لا تشابه هذه الأجناس فقيل إن ثمارها أشباه ثمار جنات الدنيا أي أجناسها
وإن تفاوتت إلى غاية لا يعلمها إلا الله فإن قلت ما موقع من ثمرة
قلت هو كقولك كلما أكلت من بستانك من الرمان شيئاً حمدتك فموقع من
ثمرة موقع من الرمان كأنه قيل كلما رزقوا من الجنات من أي ثمرة
كانت من تفاحها أو رمانها أو عنبها أو غير ذلك رزقاً قالوا ذلك فمن الأولى
والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لأن الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق
من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل أن تقول رزقني فلان فيقال
لك من أين فتقول من بستانه فيقال من أي ثمرة رزقك من بستانه فتقول
من الرمان وتحريره أن رزقوا جعل مطلقاً مبتدأ من ضمير الجنات ثم جعل مقيداً
بالابتداء من ضمير الجنات مبتدأ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة
الواحدة أو الرمانة الفذة على هذا التفسير وإنما المراد النوع من أنواع
الثمار ووجه آخر وهو أن يكون من ثمرة بياناً على منهاج قولك رأيت منك
أسداً تريد أنت أسد وعلى هذا يصح أن يراد من الثمرة النوع والجناة الواحدة
فإن قلت كيف قيل هذا الذي رزقنا من قبل وكيف تكون ذات
الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا قلت
معناه هذا مثل الذي رزقناه من قبل وشبهه بدليل قوله وأتوا به متشابهاً
وهذا كقولك أبو يوسف أبو حنيفة تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته
ذاته فإن قلت إلام يرجع الضمير في قوله وأتوا به قلت

الى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى
تحته ذكر ما رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله
اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله غنيا او فقيرا على الجنسين
ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل اولى به على التوحيد فان قلت لاي غرض
يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم يكن اجناسا اخر قلت لان
الانسان بالمألوف آنس والى المعهود اميل واذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه
وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه ألف
ورأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا افرط ابتهاجه
واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة
به ولو كان جنسا لم يعهد وان كان فائقا حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا
كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين ابصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها
في الحجم وان الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمان الجنة
تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة
كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة
في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل
واظهر للمزية واجلب للسرور وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان
وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به
عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية
وتمام الفضيلة وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي
تبجحهم في كل اوان عن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها
امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في
غير اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في اتوا به
الى الرزق كما ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة
يأتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى احدهم بالصحفة فيأكل
منها ثم يؤتى باخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك
كل

كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه عليه السلام والذي نفس محمد بيده ان الرجل
من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها
فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والتفسير الاول هو هو فان قلت
كيف موقع قوله واتوا به متشابها من نظم الكلام قلت هو كقولك فلان احسن
بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا اعزة
اهلها اذلة وكذلك يفعلون وما اشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة
للتقرير والمراد بتطهير الازواج ان طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة
وما لا يختص بهن من الاقذار والادناس ويجوز لمجيئه مطلقا ان يدخل تحته الطهر من دنس
الطباع وطبع الاخلاق الذي عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بانفسهن ومما يأخذنه
من اعراق السوء والمناصب الرديئة والمناشئ المفسدة ومن سائر عيوبهن
ومثالبهن وخبثهن وكيدهن فان قلت فهلا جاءت الصفة مجموعة كما جاءت
الموصوف قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات
وفواعل والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة واذا العذارى بالدخان تقنعت
واستعجلت نصب القدور فملت والمعنى وجماعة ازواج مطهرة وقرأ زيد بن
علي مطهرات وقرأ عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب ما احوجني
الى بيت الله فاطهر به اطهرة اي فاتطهر به تطهرة فان قلت هلا قيل
طاهرة قلت في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا
طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد بعباده الصالحين ان يخولهم كل مزية
فيما اعد لهم والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس
الا انعم صباحا ايها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي وهل
ينعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت باوجال سيقت هذه الآية لبيان
ان ما استنكره الجهلة والسفهاء واهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه
من ان تكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار
والاستغراب من قبل ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب

عن الغرض المطلوب وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان
المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به
المثل اذن الا امرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره الى نفسها فيعمل الضارب
للمثل على حسب تلك القضية الا ترى الى الحق لما كان واضحا جليا ابلج كيف تمثل له
بالضياء والنور والى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال
الآلهة التي جعلها الكفار اندادا لله لا حال احقر منها واقل ولذلك جعل بيت العنكبوت
مثلها في الوهن والضعف وجعلت اقل من الذباب واخس قدرا
وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل
استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل
على قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتذيه ويستدعيه ولبيان ان المؤمنين الذين
عادتهم الانصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الامور بناظر العقل
اذا سمعوا بهذا التمثيل علموا انه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب
الذي لا يرتع الخطأ حوله وان الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغصبهم
على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون اذهانهم او عرفوا انه الحق الا ان
حب الرياسة وهوى الالف والعادة لا يخليهم ان ينصفوا فاذا سمعوه عاندوا
وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب زيادة هدى
المؤمنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف انكروا ذلك
وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور واحناش الارض والحشرات
والهوام وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا
فيها باحقر الاشياء فقالوا اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من قراد واصرد
من جرادة واضعف من فراشة وآكل من السوس وقالوا في البعوضة اضعف
من بعوضة واعز من مخ البعوض وكلفتني مخ البعوض ولقد ضربت الامثال
في الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والارضة
والدود والزنابير والتمثيل بهذه الاشياء وباحقر منها مما لا تغني استقامته
وصحته على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك
بدليل

بدليل ولا متشبث بامارة ولا اقناع ان يرمي لفرط الحيرة والعجز عن اعمال الحيلة
بدفع الواضح وانكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة اذ لم يجد سوى
ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب
للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله هذه
الآية والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه
من الحيوة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي وشظي الفرس اذا اعتلت هذه
الاعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحيوة
كما قالوا فلان هلك حياء من كذا ومات حياء ورأيت الهلاك في وجهه من شدة الحياء
وذاب حياء وجمد في مكانه خجلا فان قلت كيف جاز وصف القديم سبحانه
به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان قال قال
رسول الله صلى الله عليه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان
يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل
تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد
المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل
بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان تقع هذه العبارة في
كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت
فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع
وطراز عجيب منه قول ابي تمام من مبلغ افناء يعرب كلها اني بنيت الجار قبل المنزل
وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة فقال الرجل انها لم تجعد عني
فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو
المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها
ولله در امر التنزيل واحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها
فنا الا عثرت عليه فيه على اقوم مناهجه واسد مدارجه وقد استعير الحياء
فيما لا يصح فيه اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد
وقرأ ابن كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار
والتعدي بنفسه يقولون استحييت منه واستحييته وهما محتملتان هنا وضرب
المثل

اعتماله وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول
الله خاتما من ذهب وما هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته
ابهاما وزادته شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان او صلة
للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا
او البتة هذا اذا نصبت بعوضة فان رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير
هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي احسن ووجه آخر
حسن جميل وهو ان تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله
لاصنامهم بالمحقرات قال ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا اي ما شاء من الاشياء
المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار وديناران
والمعنى ان الله لا يستحيي ان يتمثل للانداد وحقارة شانها بما لا شيء اصغر منه واقل
كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزأ وبما لا يدركه لتناهيه في صغره الا هو وحده بلطفه
او بالمعدوم كما تقول العرب فلان اقل من لا شيء في العدد ولعله اراد به قوله تعالى
ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهذه القراءة تعزى الى رؤبة بن العجاج
وهو امضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن
وما اظنه ذهب في هذه القراءة الا الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته
وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال عن
النكرة مقدمة عليه او انتصبا مفعولين بجري ضرب مجرى جعل واشتقاق
البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض وانشد
لنعم البيت بيت ابي دثار اذا ما خاف بعض القوم بعضا ومنه بعض الشيء لانه
قطعة منه والبعوض في اصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش
فما فوقها فيه معنيان احدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي
ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان اسفل الناس
وانذلهم هو فوق ذاك تريد هو ابلغ واعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة
والثاني فما زاد عليها في الحجم كانه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب
المثل بالذباب والعنكبوت لانهما اكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرض
يشح

يشح بادنى شيء فتقول فلان يبخل بالدرهم والدرهمين هو لا يبالي ان يبخل بنصف درهم
فما فوقه تريد بما فوقه ما بعد فيه وهو الدرهم والدرهمان كانك قلت فضلا عن
الدرهم والدرهمين ونحوه في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم عن ابراهيم
عن الاسود قال دخل شباب من قريش على عائشة رضي الله عنها وهي بمنى
وهم يضحكون فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه
او عينه ان تذهب فقالت لا تضحكوا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت بها عنه خطيئة
يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة وهي نحو نخبة النملة في قوله عليه السلام
ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضتها
ويحتمل ما هو اشد من الشوكة واوجع كالخرور على طنب الفسطاط فان قلت
كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر قلت ليس
كذلك فان جناح البعوضة اقل منها واصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى
الله عليه مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوان اصغر منها ومن جناحها ربما رايت في
تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد الا تحركها فاذا
سكنت فالسكون يواريها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت
مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك واعضاءها الظاهرة والباطنة و
تفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل في خلقه ما هو اصغر
منها واصغر سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم
ومما لا يعلمون وانشدت لبعضهم يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة
الليل البهيم الاليل ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الاول واما حرف فيه معنى الشرط
ولذلك تجاب بالفاء وفائدته في الكلام ان تعطيه فضل توكيد تقول زيد
ذاهب فاذا قصدت توكيد ذلك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب
وانه منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما
يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفائدتين بيان كونه تاكيدا

وانه في معنى الشرط ففي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين امنوا يعلمون
والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم انه الحق ونعي
على الكافرين اغفالهم حظهم ورميهم بالكلمة الحمقاء والحق الثابت الذي
لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق
محكم النسج وماذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين وان
تكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فتكون كلمة واحدة فهو على الوجه الاول مرفوع
المحل في حكم ما وحده على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب المحل
في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله والاصوب في جوابه ان يجيء على الاول مرفوعا
وعلى الثاني منصوبا ليطابق الجواب السؤال وقد جوزوا عكس ذلك كما تقول في
جواب من قال ما رايت خير اي خير وفي جواب ما الذي رايت خيرا اي رايت خيرا
وتقرئ قوله تعالى ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين
والارادة نقيض الكراهة وهي مصدر اردت الشيء اذا طلبته نفسك ومال اليه
قلبك وفي حدود المتكلمين الارادة معنى يوجب للحي حالا لاجلها يقع منه الفعل
على وجه دون وجه وقد اختلفوا في ارادة الله فبعضهم على ان الباري يشك صفة المريد
منا التي هي القصد وهو امر زائد على كونه عالما غير ساه وبعضهم على ان معنى ارادته
لافعاله هو انه فعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى ارادته لافعال غيره انه امر بها والضمير
في انه الحق للمثل او لان يضرب وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا استرذال واستحقار
كما قالت عائشة في عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب
على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا
رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وقوله
يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما
وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما
موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون
نورا الى نورهم وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة
خبطا في ظلماتهم فان قلت لم وصف المهديون بالكثرة وهم قليل
وقليل

وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس
اخبر تقله قلت اهل الهدى كثير في انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما
يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من المهتدين كثير في
الحقيقة وان قلوا في الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا ان الكرام كثير في
البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد
الفعل الى السبب لانه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم
وهداهم وعن مالك بن دينار رحمه الله انه دخل على محبوس قد اخذ بمال عليه وقيد
فقال يا ابا يحيى اما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك راسه فراى سلة فقال لمن هذه السلة
فقال لي فامر بها تنزل فاذا دجاج واخبصة فقال مالك هذه وضعت القيود على
رجلك وقرا زيد بن علي يضل به كثير وكذلك وما يضل به الا الفاسقون
والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق
في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين
اي بين منزلة المؤمن ومنزلة الكافر وقالوا ان اول من حد له هذا الحد
ابو حذيفة واصل بن عطاء رضي الله عنه وكونه بين بين ان حكمه حكم المؤمن
في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين
وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا تقبل له
شهادة ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلوة لا تجزي خلفه ويقال
للخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله بئس
الاسم الفسوق بعد الايمان يريد اللمز والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون
النقض الفسخ وفك التركيب فان قلت من اين ساغ استعمال النقض
في ابطال العهد قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل
الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان
في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها
فنخشى ان الله اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة
ولطائفها ان يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه

فينبهوا انسلك الترجمة على مكانه ونحوه قولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه
الناس واذا تزوجت امراة فاستوثق بها لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع والعالم
بانهما اسد وبحر وعلى المراة بانها فراش والعهد الموثق وعهد اليه في كذا اذا
وصاه به ووثقه عليه واستعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق منه والمراد بهولاء الناقضين
لعهد الله احبار اليهود المتعنتون او منافقوهم او الكفار جميعا فان قلت
فما المراد بعهد الله قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كانه
امر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى
واخذ الميثاق عليهم بانهم اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه
ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم كقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم
وقوله في الانجيل لعيسى صلوات الله عليه سانزل عليك كتابا فيه نبأ بني اسرائيل وما
اريتهم اياهم من الآيات وما انعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به
وما ضيعوا من عهدي اليهم وحسن صنعي للذين قاموا بميثاق الله واوفوا بعهده
ونصري اياهم وكيف انزل باسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقه ولم يوفوا
بعهده لان اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليه من التحريف والجحود
وكفروا به كما كفروا به وقيل هو اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي
بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلاثة عهود العهد
الاول الذي اخذه على جميع ذرية آدم الاقرار بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك
وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو
قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله واذ اخذ
الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه
للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقته
كما ان الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اي من
بعد توثقته عليهم او من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وانذار رسله ومعنى قطعهم
ما امر الله به ان يوصل قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين
الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض

فان قلت ما الامر قلت طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه
سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه شبه بامر به فقيل
له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مامور به كما قيل له شان والشان الطلب والقصد
يقال شانت شانه اي قصدت قصده هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفاء
والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها معنى الهمزة التي في كيف مثلها في
قولك اتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو الانكار والتعجيب
ونظيره قولك اتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح فان قلت قولك اتطير
بغير جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح واما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر
من الاماتة والاحياء قلت قد اخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصارف
عن الكفر والداعي الى الايمان فان قلت فقد تبين امر الهمزة وانها للانكار
العقل والاذان باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث
كان انكار الحال التي يقع عليها كفرهم قلت حال الشيء تابعة لذاته فاذا امتنع
ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان انكار حال الكفر لانها تتبع ذات الكفر
ورديفها انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك اقوى لانكار الكفر
وابلغ وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم ان كل موجود
لا ينفك عن حال وصفة عند وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا
لوجوده على الطريق البرهاني والواو في قوله وكنتم امواتا للحال فان قلت فكيف
صح ان يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الامير ولكن وقد قام الا ان يضمر قد
قلت لم تدخل الواو على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله امواتا الى ترجعون
كانه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب
آبائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم
فان قلت بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضي والمستقبل
كلاهما لا يصح ان يقع حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر
الذي وقع حالا قلت هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون وانتم عالمون
بهذه القصة باولها وآخرها فان قلت فقد آل المعنى الى قولك على اي حال
تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته قلت قد ذكرنا ان معنى الا

في كيف الانكار وان انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكانه
قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا
امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يتصل لهم بالاحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا
من العلم بهما بالدلائل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا
ثم عاندوا والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل فان قلت كيف قيل لهم اموات
في حال كونهم جمادا وانما يقال ميت فيما يصح فيه الحياة من البنى قلت بل
يقال ذلك لعادم الحياة كقوله بلدة ميتا وآية لهم الارض الميتة اموات غير احياء
ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس فان قلت
ما المراد بالاحياء الثاني قلت يجوز ان يراد به الاحياء في القبر وبالرجوع
النشور وان يراد به النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء فان قلت لم كان
العطف الاول بالفاء والاعقاب بثم قلت لان الاحياء الاول قد تعقب
الموت بغير تراخ واما الموت فقد تراخى عن الاحياء والاحياء الثاني كذلك
متراخ عن الموت ان اريد به النشور تراخيا ظاهرا وان اريد به احياء القبر
فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ عن النشور فان قلت
من اين انكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكروها الا انها مشتملة على آيات بينات
تصرفهم عن الكفر ام على نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر قلت تحتمل
الامرين جميعا لانها عدد آيات وهي مع كونها آيات من اعظم النعم لكم لاحلكم
ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فظاهر واما الانتفاع الديني
فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من
التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذة
من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة
البهية وعلى اسباب الوحشة والمشقة من انواع المكاره كالنيران والصواعق
والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق
لكم على ان الاشياء التي يصح ان ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت
في الاصل مباحة مطلقا لكل احد ان يتناولها ويستنفع بها فان قلت
هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت ان اراد

بالارض الجهات السفلية كما تذكر السماء وتراد الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء
وما فيها واقعة في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني والاستواء
الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه
كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله
ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيئته بعد خلق ما في الارض من غير
ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى
الى فوق والضمير في فسواهن ضمير مبهم وسبع سماوات تفسيره كقولهم ربه رجلا
وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي
هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او
اتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثمة خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت
مع خلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم فان قلت ما فسرت
به معنى الاستواء الى السماء يناقضه ثم لاعطائه معنى التراخي والمهلة قلت ثم
هاهنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السماوات على خلق الارض لا
للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين آمنوا على انه لو كان لمعنى التراخي
في الوقت لم يلزم ما اعترضت به لان المعنى انه حين قصد الى السماء لم يحدث
فيما بين ذلك في الارض شيئا غير القصد اليها خلقا آخر فان قلت اما
يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحاها قلت لا لان جرم الارض
تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتاخر وعن الحسن خلق الله الارض في
موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق
منه السماوات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله
كانتا رتقا وهو الالتزاق واذ نصب باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا
والملائكة جمع ملاك على الاصل كالشمائل جمع شمال والحاق التاء لتانيث الجمع
وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدا والخبر وهما قوله في الارض
خليفة فكانا مفعوليه ومعناه مصير في الارض خليفة والخليفة من يخلف غيره
والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها آدم وذريته

فإن قلت فهلا قيل خلائف او خلفاء قلت اريد بالخليفة آدم واستغني بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر ابي القبيلة في قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلفا يخلفكم فوحد لذلك وقرئ خليقة بالقاف ويجوز ان يريد خليفة مني لان آدم كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي انا جعلناك خليفة في الارض فإن قلت لاي غرض اخبرهم بذلك قلت ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة أتجعل فيها تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير فإن قلت من اين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب قلت عرفوه باخبار من الله او من جهة اللوح او ثبت في علمهم ان الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم او قاسوا احد الثقلين على الآخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة وقرئ ويسفك بضم الفاء ويُسفك ويُسفّك من اسفك وسفّك والواو في ونحن للحال كما تقول أتحسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد وبحمدك في موضع الحال اي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم فإن قلت هلا بين لهم تلك المصالح قلت كفى العباد ان يعلموا ان افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد بين لهم بعض ذلك فيما اتبعه من قوله وعلم آدم الاسماء كلها واشتقاقهم آدم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما آدم الا اسم اعجمي واقرب امره ان يكون على فاعل كآزر وعازر وعابر وشالخ وفالغ واشباه ذلك الاسماء كلها

كلها اي اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل الرأس شيبا فإن قلت هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وان الاصل وعلم آدم مسميات الاسماء قلت لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات لقوله انبئوني باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم فكما علق الانباء بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل انبئوني بهؤلاء وانبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها فإن قلت فما معنى تعليمه اسماء المسميات قلت اراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ثم عرضهم اي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت ان كنتم صادقين يعني في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء ارادة للرد عليهم وان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي اصول الفوائد كلها ما يستأهلون لاجله ان يستخلفوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض استحضار لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على وجه ابسط من ذلك واشرح وقرئ وعُلّم آدم على البناء للمفعول وقرأ عبد الله عرضهن وقرأ ابي عرضها والمعنى عرض مسمياتهن او مسمياتها لان العرض لا يصح في الاسماء وقرئ انبيهم بقلب الهمزة ياء وانبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم وابو يوسف واخوته له ويجوز ان تختلف الاحوال والاوقات فيه وقرأ ابو جعفر للملائكةُ اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمدِ لله الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني منهم استثناء واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا ابى امتنع مما امر به واستكبر عنه

وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك ابى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه السكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت تأكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه ورغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حين لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للمأكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها الفائتة للحصر وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذي والشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن ابي عمرو انه كرهها وقال يقرأ بها برابر مكة وسودانها من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب جواب للنهي الضمير في عنها للشجرة اي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله وما فعلته عن امري وقوله ينهون عن اكل وشرب وقيل فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل عني ذاك اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا وقرئ فازالهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها وقرأ عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته عنها فإن قلت كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم قلت يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع ان يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى وروي انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون قيل اهبطوا خطاب لآدم وحواء وابليس وقيل والحية والصحيح انه لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كأنهما الانس كلهم والدليل عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم

ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع وتمتع بالعيش الى حين يريد الى يوم القيامة وقيل الى الموت ومعنى تلقي الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به فإن قلت ما هن قلت قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وعن ابن مسعود ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حواء لانها كانت تبعا له كما طوي ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول فإن قلت لم كرر قلنا اهبطوا قلت للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله فإما يأتينكم مني هدى فإن قلت ما جواب الشرط الاول قلت الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك والمعنى فإما يأتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي فإن قلت فلم جيء بكلمة الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه قلت للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب وانه ان لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب

لهم من الهادي له ومكّنهم من النظر والاستدلال فان قلت الخطيئة التي
اهبط بها آدم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت
صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط
من السماء كما فعل بابليس ونسبته الى الغيّ والعصيان ونسيان العهد
وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة قلت ما كانت الا صغيرة مغمورة
باعمال قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجلّ الاعمال واعظم
الطاعات وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشأنها وتهويلا
ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه
على انه اخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة وقرئ
فمن تبع هديّ على لغة هذيل فلا خوف بالفتح اسرائيل هو يعقوب
عليه السلام لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو
بنوه ابو سبط واسمعيل غير منصرف مثله للوجهين العلمية والعجمة وقرئ
اسرائل واسرال وذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها ويعتدّوا
بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها واراد بها ما انعم به على آبائهم مما عدّد
عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ
العجل والتوبة عليهم وغير ذلك مما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد عليه السلام
المبشر به في التورية والانجيل والعهد يضاف الى المعاهِد والمعاهَد
جميعا يقال اوفيت بعهدي اي بما عاهدت عليه كقوله ومن اوفى بعهده من
الله واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه ومعنى واوفوا بعهدي واوفوا
بما عاهدتموني عليه من الايمان والطاعة كقوله ومن اوفى بما عاهد
عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اوف
بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم واياي فارهبون
فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد في افادة
الاختصاص من اياك نعبد وقرئ اوفّ بالتشديد اي ابالغ في الوفاء
بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ويجوز ان يريد بقوله واوفوا بعهدي

ما عاهدوا عليه من الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله وآمنوا
بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به اول من كفر به واول فريق او
فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اي كل واحد منا
وهذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته
ولانهم كانوا المبشرين بزمان من اوحي اليه والمستفتحين على الذين كفروا به
وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس كقوله
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة الى
قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما
عرفوا كفروا به ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به
من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا في التورية موصوفا مثل
من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم لانهم اذا كفروا
بما يصدقه فقد كفروا به والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله اشتروا الضلالة
بالهدى وكقوله كما اشترى المسلم اذ تنصّرا فاني شريت الحلم بعدك بالجهل
يعني ولا تستبدلوا بآياتي ثمنا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة
التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا لرسول الله
فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذي كل كثير
اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون
احبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشى
على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم
يدرّون عليهم الاموال ليكتموا او يحرّفوا الباء التي في بالباطل ان كانت صلة
مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء وخلطته به كان المعنى ولا تكتبوا
في التورية ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميّز
بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان
المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه وتكتموا جزم
داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع

اي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تاكل السمك
وتشرب اللبن فان قلت لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين
حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق قلت
بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبهم في التورية ما ليس منها
وكتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد في التورية صفة محمد او حكم كذا او يمحوا ذلك
او يكتبوه على خلاف ما هو عليه وفي مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين وانتم
تعلمون في حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لان الجهل بالقبيح ربما عذر
راكبه واقيموا الصلوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم واركعوا مع الراكعين
منهم لان اليهود لا ركوع في صلوتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم
في دين الله ويجوز ان يراد بالركوع الصلوة كما يعبر عنها بالسجود وان
يكون امرا بان تصلي مع المصلين يعني في الجماعة كانه قيل واقيموا الصلوة
وصلوها مع المصلين لا منفردين اتأمرون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب
من حالهم والبر سعة الخير والمعروف ومنه البرّ لسعته ويتناول كل خير ومنه
قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يامرون من نصحوه في السر من اقاربهم
وغيرهم باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون
واذا اتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني ان
ناسا من اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم
تامروننا باشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نامركم بها ونخالف الى
غيرها وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وانتم تتلون
الكتاب تبكيت مثل قوله وانتم تعلمون يعني تتلون التورية وفيها نعت محمد
او فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون
توبيخ عظيم بمعنى افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه
عن ارتكابه وكانكم في ذلك مسلوبو العقل لان العقول تاباه وتدفعه
ونحوه اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون واستعينوا
على حوائجكم الى الله بالصبر والصلوة اي بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين

على تكاليف الصلوة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ
النيات ودفع الوساوس ومراعاة الآداب والاحتراس من المكاره مع
الخشية والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدي جبار السموات
ليسال فك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وأمر اهلك بالصلوة
واصطبر عليها او واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء
الى الصلوة عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه اذا حزبه امر
فزع الى الصلوة وعن ابن عباس انه نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر
فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس ثم
قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلوة وقيل الصبر
الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر
ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء وان يستعان على البلايا بالصبر والالتجاء
الى الدعاء والابتهال الى الله في دفعه وانها الضمير للصلوة او للاستعانة
ويجوز ان يكون لجميع الامور التي امر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله
اذكروا نعمتي الى واستعينوا لكبيرة لشاقة ثقيلة من قولك كبر
على هذا الامر كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فان قلت ما لها
لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل قلت لانهم يتوقعون
ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم الا ترى الى قوله الذين
يظنون انهم ملاقوا ربهم اي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون
فيه وفي مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون انه لا بد من لقاء الجزاء
فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون واما من لم
يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه
كالمنافقين والمرائين باعمالهم ومثاله من وعد على بعض الاعمال
والصنائع اجرة زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط
وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كانه يستلذ مزاولته بخلاف
حال عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثمه قال رسول الله صلى الله عليه

وجعلت قرة عيني في الصلوة وكان يقول يا بلال روحنا والخشوع
الاخبات والتطامن ومنه الخشعة الرملة المتطامنة واما الخضوع
فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها اذا لينته واني فضلتكم نصب
عطف على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير
من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين يقال رايت عالما من الناس يراد
الكثرة يوما يريد يوم القيمة لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث
في جذعة بن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به
ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي قليلا من الجزاء كقوله ولا تظلمون شيئا
ومن قرا لا تجزي من اجزا عنه اذا اغنى عنه فلا يكون في قراته الا
شيئا من الاجزاء وقرا ابو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا
وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما فان قلت فاين العائد منها
الى الموصوف قلت هو محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما انشده
ابو علي تروحي اجدر ان تقيلي اي اجدر بان تقيلي فيه ومنهم من ينزل
فيقول اتسع فيه فاجري مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما
حذف من قوله ام مال اصابوا ومعنى التنكير ان نفسا من الانفس لا
تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي القطاع للمطامع
وكذلك قوله ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فدية لانها
معادلة للمفدى ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة
ولا فدية وقرا قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل
وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم ان اباءهم
الانبياء يشفعون لهم فاويسوا فان قلت هل فيه دليل على ان الشفاعة
لا تقبل للعصاة قلت نعم لانه نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا
اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان يقبل منها شفاعة شفيع فعلم انها
لا تقبل للعصاة فان قلت الضمير في ولا تقبل منها الى اي النفسين
يرجع قلت الى الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها

منها عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة ان جاءت بشفاعة شفيع
لم تقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها
لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها
ولا هم ينصرون يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة
والتذكير بمعنى العباد والاناسي كما تقول ثلثة انفس واصل آل اهل ولذلك
يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشان كالملوك
واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة
كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن
فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم قد جاءه الموسى الكلوم فزاد في
اقصى تفرعنه وفرط عرامه وقرئ انجيناكم وانجيتكم يسومونكم من سامه خسفا
اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان
نقر الخسف فينا واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم
سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيء يقال اعوذ بالله
من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب
كله سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره يذبحون بيان
لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله يضاهون قول الذين كفروا
وقرا الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرا
عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد
مولود يكون على يده هلاكه كما انذر نمروذ فلم يغن عنهما اجتهادهما وكان ما
شاء الله والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير
الى الانجاء فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم
وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء
لان المسالك كانت اثني عشر على عدد الاسباط فان قلت
ما معنى بكم قلت فيه اوجه ان يراد انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء
عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما وان يراد

فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم
كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوسها ونحن راكبوها وروي ان بني
اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا لا نراهم فقال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا
لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحى اليه ان قل
بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم
وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه لما دخل بنو اسرائيل مصر
بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل
عليه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل اربعين ليلة
لان الشهور غررها بالليالي وقرئ واعدنا لان الله وعده الوحي ووعد
المجيء للميقات الى الطور من بعده من بعد مضيه الى الطور وانتم ظالمون
باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم من بعد ذلك من بعد ارتكابكم الامر العظيم
وهو اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا النعمة في العفو عنكم
الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق
والباطل يعني التورية كقولك رايت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين
الجود والجرأة ونحوه قوله تعالى ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان وضياء
وذكرا يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا او التورية والبرهان
الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الايات او الشرع
الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي
فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد يوم بدر [illegible] فاقتلوا انفسكم
على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد
العجل ان يقتلوا العبدة وروي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده
واخاه وقريبه فلم يمكنهم المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء
لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا
العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه او حل حبوته او اتقى
بيد او رجل فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهارون

وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة
فسقطت الشفار من ايديهم وكانت القتلى سبعين الفا فان قلت ما
الفرق بين الفاءات قلت الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة
والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله
جعل توبتهم قتل انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا
فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو اما ان ينتظم
في قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم واما
ان يكون خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما امركم
به موسى فتاب عليكم بارئكم فان قلت من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ
قلت البارئ هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت ما ترى في خلق
الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور المتباينة
فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي برأهم بلطف
حكمته على الاشكال المختلفة ابرياء من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر
التي هي مثل في الغباوة والبلادة في امثال العرب ابلد من ثور حتى عرضوا
انفسهم لسخط الله ونزول امره بان يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم
واشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على
شيء منها قيل القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل عشرة آلاف منهم
جهرة عيانا وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كان الذي يرى
بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر
لانها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس
او على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة
واما جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل على ان موسى عليه السلام رادهم القول
وعرفهم ان رؤية ما لا يجوز ان يكون في جهة محال وان من استجاز على الله الرؤية
فقد جعله من جملة الاجسام او الاعراض فرادوه بعد بيان الحجة ووضوح
البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط الله عليهم الصعقة كما

سلط على اولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة
والصاعقة ما صعقهم لاجل انهم قيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل
صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين
ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا ولكن غشية
بدليل قوله فلما افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون
وقرا علي رضي الله عنه فاخذتكم الصعقة لعلكم تشكرون نعمة البعث
بعد الموت او نعمة الله بعدما كفرتموها اذا رايتم باس الله في رميكم بالصاعقة
واذاقتكم الموت وظللنا وجعلنا الغمام تظللكم وذلك في التيه سخر الله لهم
السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار
يسيرون في ضوءه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم المن وهو
الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع
ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل
منها ما يكفيه كلوا على ارادة القول وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه
النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه القرية
بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب
باب القرية وقيل هو باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا
بيت المقدس في حيوة موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب
شكرا لله وتواضعا وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين
ليكون دخولهم بخشوع واخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم
فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على اوراكهم حطة فعلة من الحط
كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدا محذوف اي مسالتنا حطة او امرك
حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت
لتعطي معنى الثبات كقوله صبر جميل فكلانا مبتلى والاصل صبرا على
اصبر صبرا وقرا ابن ابي عبلة بالنصب على الاصل وقيل معناه امرنا
حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها فان قلت هل يجوز

ان تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة قلت
لا يبعد والاجود ان تنصب باضمار فعلها وتنصب محل ذلك المضمر بقولوا
وقرئ يغفر على البناء للمفعول بالياء والتاء وسنزيد المحسنين اي من
كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا
كانت له توبة ومغفرة فبدل الذين ظلموا اي وضعوا مكان حطة قولا غيرها
يعني انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه
معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه
وهو لفظ الحطة فجاؤا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به
كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف عنا
وما اشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا
سمقاثا يعنون حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما
عند الله الى طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا وفي تكرير الذين ظلموا
زيادة في تقبيح امرهم واشعار بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد
جاء في سورة الاعراف فارسلنا عليهم على الاضمار والرجز العذاب
وقرئ بضم الراء وروي انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة
وعشرون الفا وقيل سبعون الفا عطشوا في التيه فدعا لهم موسى
بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام اما للعهد والاشارة
الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا
له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلث اعين لكل سبط عين
تسيل في جدول الى السبط الذي امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف
وسعة المعسكر اثني عشر ميلا وقيل اهبطه آدم من الجنة فتوارثوه
حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه
ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففر به فقال له جبرئيل يقول الله
تعالى ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما
للجنس اي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يامره ان

يضرب

حجرا بعينه قال وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة وروي انهم قالوا
كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيث
ما نزلوا القاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا
ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحي اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك
لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل
راس الانسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة اذرع على طول
موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار فانفجرت
الفاء متعلقة بمحذوف اي فضرب فانفجرت او فان ضربت فقد انفجرت
كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ
وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان قد علم كل اناس كل سبط
مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا على ارادة القول من رزق الله مما
رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون وقيل الماء ينبت
منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب والعثي اشد الفساد
فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال افسادكم لانهم كانوا متمادين فيه
كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجموا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت انفسهم
الشقاء على طعام واحد ارادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى
فان قلت هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد قلت
ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان
عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا ياكل فلان الا طعاما واحدا يراد
بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما
معا من طعام اهل التلذذ والترف ونحن قوم فلاحة اهل زراعات
فما نريد الا ما الفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو
ذلك ومعنى يخرج لنا يظهر لنا ويوجد والبقل ما انبتته الارض من الخضر
والمراد به اطائب البقول التي ياكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث
واشباهها وقثائها وفومها الفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اي اخبزوا وقيل الثوم

بالضم

ويدل عليه قراءة ابن مسعود وثومها وهو للعدس والبصل ادنى الذي هو
ادنى الذي هو اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة
المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك
فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقرا زهير الفرقبي
ادنا بالهمز من الدناءة اهبطوا مصرا وقرئ اهبطوا بالضم اي انحدروا
اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه
ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ
ويحتمل ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف
والتانيث لسكون وسطه كقوله ونوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان
اريد به البلد فما فيه الا سبب واحد وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف
عبد الله وقرا به الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر
وقيل هو مصرائيم فعرب وضربت عليهم الذلة جعلت الذلة محيطة
بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه او الصقت
بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود
صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم
خيفة ان يضاعف عليهم الجزية وباؤا بغضب من الله من قولك باء فلان
بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافاته اي صاروا
احقاء بغضبه ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلافة
بالغضب اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء فقد قتلت اليهود شعيا
وزكريا ويحيى وغيرهم فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق
فما فائدة ذكره قلت معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا
ولا افسدوا في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم
فلو سئلوا وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل
عندهم وقرا علي رضي الله عنه ويقتلون بالتشديد ذلك تكرار للاشارة
بما عصوا بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء

مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز
ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم
واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود
الآيات وقتل الانبياء او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا ان الذين
آمنوا بالسنتهم من غير مواطاة القلوب فهم المنافقون والذين هادوا
والذين تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد
والجمع هود والنصارى هو جمع نصران يقال رجل نصران وامرأة نصرانة
قال نصرانة لم تحنف والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري سموا
لانهم نصروا المسيح والصابئين وهو من صبا اذا خرج من الدين وهم قوم
عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة من آمن من هؤلاء
الكفرة ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام دخولا اصيلا وعمل صالحا
فلهم اجرهم الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم فان قلت ما محل من آمن
قلت الرفع ان جعلته مبتدأ خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته
بدلا من اسم ان والمعطوف عليه فخبر ان في الوجه الاول الجملة كما هي
وفي الثاني فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط واذ اخذنا ميثاقكم
بالعمل على ما في التورية ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق
وذلك ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الآصار و
التكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل فقلع الطور
من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم
حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد
وعزيمة واذكروا ما فيه احفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه
ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا
واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به
فلولا فضل الله عليكم بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقرئ خذوا ما آتيتكم
وتذكروا واذكروا السبت حصروا سبت اليهود اذا عظمت يوم السبت

وان ناسا منهم اعتدوا فيه اي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه
واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا اخرج
خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت كما قال تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا
ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها
الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس
في الحياض هو اعتداؤهم قردة خاسئين خبران اي كونوا جامعين
بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فجعلناها يعني المسخة نكالا
عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل القيد لما بين يديها لما قبلها
وما خلفها وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت في كتب
الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين او اريد بما
بين يديها ما بحضرتها من القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها
لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين للذين نهوهم
عن الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق سمعها كان في بني اسرائيل
شيخ موسر فقتله بنو اخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤوا يطالبون
بديته فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله
قالوا أتتخذنا هزوا اتجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ او مهزوءا بنا او الهزؤ
نفسه لفرط الاستهزاء من الجاهلين لان الهزؤ في مثل هذا من باب
الجهل والسفه وقرئ هزؤا بضمتين وهزءا بسكون الزاي نحو كفؤا وكفؤا
وقرأ حفص هزوا بضمتين والواو وكذلك كفوا والعياذ واللياذ من
واحد جاء في قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هي سؤال عن حالها وصفتها
وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسألوا عن
صفة تلك البقرة العجيبة الشان الخارجة عما عليه البقر والفارض
المسنة وقد فرضت فروضا قال خفاف بن ندبة لعمري لقد اعطيت
ضيفك فارضا تساق اليه ما تقوم على رجل وكانها سميت فارضا
لانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت آخرها والبكر الفتية والعوان النصف

قال نواعم بين ابكار وعون وقد عونت فان قلت بين يقتضي شيئين فصاعدا
فمن اين جاز دخوله على ذلك قلت لانه في معنى شيئين حيث وقع
مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر فان قلت كيف جاز ان يشار به
الى مؤنثين وانما هو للاشارة الى واحد مذكر قلت جاز ذلك على
تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا فعل نائبا عن افعال
جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك افعالا كثيرة وقصة
طويلة كما تقول له ما احسن ذلك وقد يجري الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا
قال ابو عبيدة قلت لرؤبة في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد
توليع البهق ان اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق
فقل كانهما فقال اردت كان ذاك ويلك والذي حسن منه ان اسماء الاشارة
تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء
الذي بمعنى الجمع ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير
او امركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير الفقوع
اشد ما يكون من الصفرة وانصعه يقال في التوكيد اصفر فاقع ووارس
كما يقال اسود حالك وحانك وابيض يقق ولهق واحمر قاني وذريحي
واخضر ناضر ومدهام واورق خطباني وارمك رداني فان قلت
فاقع هنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا لصفراء قلت لم يقع خبرا
عن اللون انما وقع توكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل
واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة
وصفراء فاقع لونها فان قلت فهلا قيل صفراء فاقعة واي
فائدة في ذكر اللون قلت الفائدة فيه التوكيد لان اللون
اسم للهيئة وهي الصفرة فكأنه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من
قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل
اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور لذة في القلب
عند حصول نفع او توقعه وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء

قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها
سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة
وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر وقال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي
هن صفر اولادها كالزبيب ما هي مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها
واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء
شؤم وعن بعض الخلفاء انه كتب الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم
ويهدم دورهم فكتب اليه بايهما ابدأ فقال ان قلت لك بقطع الشجر سألتني باي
نوع ابدأ وعن عمر بن عبد العزيز اذا امرتك ان تعطي فلانا شاة سألتني
اضائن ام ماعز فان بينت لك قلت اذكر ام انثى فان اخبرتك قلت اسوداء
ام بيضاء فاذا امرتك بشيء فلا تراجعني وفي الحديث اعظم الناس جرما
من سأل عن شيء لم يحرم فحرم لاجل مسألته ان البقر تشابه علينا اي ان البقر
الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ايها نذبح وقرئ تشابه
بمعنى تتشابه بطرح التاء وادغامها في الشين وتشابهت ومتشابهة
ومتشابه وقرأ محمد ذو الشامة ان الباقر يشابه بالياء والتشديد جاء
في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد اي لو لم يقولوا ان شاء الله
والمعنى انا لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفي علينا من امر القاتل
لا ذلول صفة للبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب واثارة الارض
ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث ولا الاولى للنفي والثانية
مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير وتسقي على ان الفعلين صفتان
لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول
بمعنى لا ذلول هناك اي حيث هي وهو نفي لذلها ولان توصف به فيقال هي
ذلول ونحوه قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم او حيث هم وقرئ
تسقى بضم التاء من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او معفاة من
العمل سلمها اهلها منه كقوله او معبر الظهر ينبي عن وليته ما حج ربه في الدنيا
ولا اعتمرا

او مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شيء من الالوان لا شية
فيها لا لمعة في نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها
وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر
ومنه ثور موشى القوائم الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وما
بقي اشكال في امرها فذبحوها اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها
فذبحوها وقوله وما كادوا يفعلون استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم
وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي
سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل وما كادوا يذبحونها
لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وروي انه كان في بني
اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعتكها
لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها
اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة
دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة فان قلت
كانت البقرة التي تناولها الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت
مخصوصة بلون وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعل الامر الاول قلت
رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة والنسخ قبل الفعل جائز على
ان الخطاب كان لابهامه متناولا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها
ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا فكذلك اذا وقع
عليها بعد التخصيص واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم
فادارأتم فاختلفتم واختصمتم في شأنها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم
بعضا اي يدفعه ويزحمه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع
المطروح عليه الطارح او لان الطرح في نفسه دفع او دفع بعضكم بعضا
عن البراءة واتهمه والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتم من امر القتل
لا يتركه مكتوما فان قلت كيف اعمل مخرج وهو في معنى المضي قلت
قد حكى ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله باسط ذراعيه

وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم فقلنا والضمير
في اضربوه اما ان يرجع الى النفس والتذكير على تأويل الشخص والانسان واما الى
القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون ببعضها ببعض البقرة واختلف في البعض
الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي
الغضروف وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والمعنى
فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى روي انهم لما ضربوه
قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط
ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى اما ان يكون
خطابا للذين حضروا حيوة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم
القيمة ويريكم آياته ودلائله على انه قادر على كل شيء لعلكم تعقلون تعملون
على قضية عقولكم وان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء
الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث واما ان يكون خطابا
للمنكرين في زمن رسول الله فان قلت هلا احياه ابتداء ولم شرط
في احيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها قلت في الاسباب والشروط
حكم وفوائد وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب واداء التكليف
واكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما في التشديد
عليهم لتشديدهم من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة الى
امتثال اوامر الله وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع
اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالوالدين والشفقة على الاولاد
وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء وبيان
ان من حق المتقرب الى ربه ان يتنوق في اختيار ما يتقرب به وان يختاره
فتي السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريئا من العيوب يونق من ينظر
اليه وان يغالي بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلثمائة
دينار وان الزيادة في الخطاب نسخ له وان النسخ قبل الفعل جائز وان
لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لادائه الى البداء وليعلم بما امر من مس الميت

بالميت وحصول الحيوة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب لان
الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حيوة فان قلت
فما للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها ان يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة
على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه
ببعضها قلت كل ما قص من قصص بني اسرائيل انما قص تعديدا لما
وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ولما جدد فيهم من الآيات العظام وهاتان
قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين
متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع
ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة
وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه
لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة
بعد ما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها ان وصلت بالاولى دلالة
على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى
تبين انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستيناف
مع تأخيرها وانها قصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة معنى ثم قست استبعاد
القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم انتم تمترون
وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وان المواعظ
لا تؤثر فيها ذلك اشارة الى احياء القتيل او الى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة
فهي كالحجارة فهي في قسوتها مثل الحجارة او اشد قسوة منها واشد معطوف
على الكاف اما على معنى او مثل اشد قسوة فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه وتعضده قراءة الاعمش بنصب الدال عطفا على
الحجارة واما على او هي في انفسها اشد قسوة والمعنى ان من عرف
حالها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة فان قلت
لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه افعل التفضيل وفعل التعجب
قلت لكونه ابين وادل على فرط القسوة ووجه آخر وهو ان

لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كانه قيل اشتدت
قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه
لعدم الالباس كقولك زيد كريم وعمرو اكرم وقوله وان من الحجارة بيان لفضل
قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة وقرئ
وان بالتخفيف وهي ان المخففة من الثقيلة التي تلزمها اللام الفارقة
ومنها قوله وان كل لما جميع والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرأ مالك بن
دينار ينفجر يشقق يتشقق وبه قرأ الاعمش والمعنى ان من الحجارة
ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا
بالطول او بالعرض فينبع منه الماء ايضا ومنها ما يتردى من اعلى الجبل وقرئ
يهبط بالضم والخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد
فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به وقرئ يعملون بالياء والتاء
وهو وعيد افتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين ان يؤمنوا
لكم ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط يعني
اليهود وقد كان فريق منهم طائفة فيمن سلف منهم يسمعون كلام الله
وهو ما يتلونه من التورية ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله وآية الرجم
وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى
بالطور وما امر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم
ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس وقرئ كلم الله
من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم شبهة
في صحته وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا
فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا يعني اليهود قالوا قالوا آمنا بانكم
على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به واذا خلا بعضهم الذين
لم ينافقوا الى بعض الى الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم بما فتح
الله عليكم بما بين لكم في التورية من صفة محمد او قال المنافقون
لاعقابهم يرونهم التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم

شيئاً في كتابهم نبياً فقون المؤمنين وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم
ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم
هكذا محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا
بمعنى واحد يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر
واعلانهم الايمان ومنهم اميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا التورية و
يتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب التورية الا اماني الا ما هم عليه من امانيهم
وان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان آباءهم الانبياء
يشفعون لهم وما يمنيهم احبارهم من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة
وقيل الا اكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد قال
اعرابي لابن داب في شيء حدث به اهذا شيء رويته ام تمنيته ام اختلقته
وقيل الا ما يقرؤون من قوله تمنى كتاب الله والاشتقاق من منى اذا قدر
لان المتمني يقدر في نفسه ويحرز ما يتمناه وكذلك المختلق والقارئ
يقدر ان كلمة كذا بعد كذا والا اماني من الاستثناء المنقطع وقرئ
اماني بالتخفيف ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم
والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على انهم في الضلال
سواء لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن
وهو متمكن من العلم يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد وهو من مجاز
التاكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذه مما يكسبون
من الرشى اياما معدودة اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل وعن
مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان
كل الف سنة يوما فلن يخلف متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عند
الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام اما ان تكون معادلة بمعنى اي الامرين
كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما ويجوز ان تكون
منقطعة بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار
اي بلى تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون من كسب سيئة من الشرك

اي عن الخطيئة المحيطة

يعني كبيرة من الكبائر واحاطت به خطيئته تلك واستولت عليه كالمحيط
العلق ولم يتفص عنها بالتوبة وقرئ خطاياه وخطيئاته وقيل في الاحاطة
كان ذنبه اغلب من طاعته وسال رجل الحسن فقال سبحان الله الا
اراك ذا لحية وما تدري ما الخطيئة انظر في المصحف فكل آية نهى الله فيها
عنها واخبرك انه من عمل بها ادخله النار فهي الخطيئة المحيطة لا تعبدون
اخبار في معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر
وهو ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كانه سورع الى الامتثال والانتهاء فهو يخبر
عنه وتنصره قراءة عبد الله وابي لا تعبدوا ولا بد من ارادة القول ويدل
عليه ايضا قوله قولوا وقوله وبالوالدين احسانا اما ان يقدر وتحسنون بالوالدين
او واحسنوا وقيل هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء له
مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه ان لا تعبدوا
فلما حذفت ان رفع كقوله الا ايها الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة
عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل ان لا تعبدوا ان تكون ان فيه مفسرة
وان تكون ان مع الفعل بدلا عن الميثاق كانه قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل
توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لانهم غيب حسنا قولا هو
في نفسه لافراط حسنه وقرئ حسنا وحسنى على المصدر كبشرى ثم توليتم
على طريقة الالتفات اي توليتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم
يريد بهم الذين اسلموا منهم وانتم معرضون وانتم قوم عادتكم الاعراض عن
المواثيق والتولية لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم لا يفعل ذلك
بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا وقيل
اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم
على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه
بكذا شاهد عليها وقيل وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار
اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء
والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم انتم

بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني انكم قوم آخرون غير اولئك المقرين تنزيلا
لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به
وقوله تقتلون بيان لقوله ثم انتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين وقرئ
تظاهرون بحذف التاء وادغامها وتتظاهرون باثباتها وتظهرون بمعنى
تتظاهرون عليهم تتعاونون عليهم وقرئ تفدوهم وتفادوهم واسرى واسارى
وهو ضمير الشان ويجوز ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب
اي الفداء وتكفرون ببعض اي بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء
الاوس والنضير حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا
خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه
فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم
وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا وخزي قتل بني قريظة
واسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية وانما رد من فعل منهم ذلك
الى اشد العذاب لان عصيانه اشد وقرئ يردون وتعملون بالياء والتاء
فلا يخفف عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم احد بالدفع عنهم
وكذلك عذاب الآخرة الكتاب التورية اتاه اياها جملة واحدة يقال
قفاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اذا اتبعه اياه يعني
وارسلنا على اثره الكثير من الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع
واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل
والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وقيل عيسى بالسريانية
ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل المريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال
وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزن مريم عند النحويين مفعل
لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في الابنية كما ثبت نحو عثير وعليب البينات
المعجزات الواضحات والحجج كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار
بالمغيبات وقرئ وآيدناه ومنه آجده بالجيم اذا قواه يقال الحمد لله
الذي آجدني بعد ضعف واوجدني بعد فقر بروح القدس بالروح المقدسة

كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه
بالاختصاص والتقريب للكرامة وقيل لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث
وقيل جبريل وقيل الانجيل كما قال في القرآن روحا من امرنا وقيل باسم الله
الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد آتينا يا بني اسرائيل انبياءكم
ما آتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن اتباعه فوسط بين الفاء
وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجب من شانهم ويحتمل ان يريد ولقد آتيناهم
ما آتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر
فان قلت لم قيل وفريقا تقتلون قلت هو على وجهين ان
تراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره
في القلوب وان يراد وفريقا تقتلونهم بعد لانكم حولكم قتل محمد لولا اني
اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال عليه السلام عند موته ما زالت
اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري غلف جمع اغلف اي هي خلقة
وجبلة مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد ولا تفقهه مستعار من
الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم رد الله ان
تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق
بان الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من
الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون للمتوقع ايمانهم
وللمؤمنين فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم
ببعض الكتاب ويجوز ان تكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف
جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره
وروي عن ابي عمرو قلوبنا غلف بضمتين كتاب من عند الله هو القرآن
مصدق لما معهم من كتابهم لا يخالفه وقرئ مصدقا على الحال فان قلت
كيف جاز نصبها عن النكرة قلت اذا وصف النكرة تخصص فصح
انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف
وهو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما اشبه ذلك يستفتحون على الذين كفروا

يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر
الزمان الذي نجد نعته في التورية ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل
زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون
يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة
اي يسألون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر او يسأل
بعضهم بعضا ان يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا
وحرصا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة
على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا
فيه دخولا اوليا ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئا اشتروا به
انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا وطلبا لما
ليس لهم وهو علة اشتروا ان ينزل لان ينزل او على ان ينزل اي حسدوه على
ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء ويقتضي حكمته ارساله فباؤوا
بغضب على غضب فصاروا احقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا
عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله
مغلولة وغير ذلك من انواع كفرهم بما انزل الله مطلق فيما انزل الله من كل كتاب
قالوا نؤمن بما انزل علينا مقيد بالتورية ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك
والحال انهم يكفرون بما وراء التورية وهو الحق مصدقا لما معهم منها غير مخالف له
وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا
بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتورية والتورية
لا تسوغ قتل الانبياء وانتم ظالمون يجوز ان يكون حالا اي عبدتم العجل وانتم
واضعون العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم
الظلم وكرر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى مع ما فيه
من التوكيد واسمعوا ما امرتم به في التورية قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك
فان قلت كيف طابق قوله جوابهم قلت طابقه من حيث
انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة

واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل
الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم
نارا بكفرهم بسبب كفرهم بئس ما يأمركم به ايمانكم بالتورية لانه ليس في التورية
عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلوتك
تأمرك وكذلك اضافة الايمان اليهم وقوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح
في صحة دعواهم له خالصة نصب على الحال من الدار الآخرة والمراد الجنة
اي سالمة لكم خاصة بكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة
الا من كان هودا والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون فتمنوا الموت
لانه من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم
والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين بالجنة ما روي كان
علي رضي الله عنه يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن
ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام سقط
عليه الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء
على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن الاقي
الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن اليه
وعن النبي صلى الله عليه لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات
وما بقي على وجه الارض يهودي بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من موجبات
النار من الكفر بمحمد وما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر انواع الكفر
والعصيان وقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب
وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا فان قلت ما ادراك انهم لم يتمنوا
قلت لانهم لو تمنوه لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه
من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن في الاسلام اكثر من الذر
وليس منهم احد نقل ذلك فان قلت التمني من اعمال القلوب وهو
سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لم يتمنوا قلت ليس التمني
من اعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا اذا قاله قالوا تمنى

وليت كلمة التمني ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب ولو كان
التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك
فان قلت لم يقولوه لانهم علموا انهم لا يصدقون قلت كم حكي عنهم من
اشياء قاولوا بها المسلمين من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما
علموا انهم غير مصدقين فيه ولا محمل له الا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف
يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من افعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال ان يكونوا
صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه
بالايمان فيصدق مع احتمال ان يكون كاذبا لانه امر خاف لا سبيل الى الاطلاع
عليه والله عليم بالظالمين تهديد لهم ولتجدنهم من وجد بمعنى علم المتعدي الى
مفعولين في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم احرص فان قلت
لم قال على حيوة بالتنكير قلت لانه اراد حيوة مخصوصة وهي الحيوة
المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها اوقع من قراءة ابي على الحيوة ومن الذين
اشركوا محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الناس فان قلت
الم يدخل الذين اشركوا تحت الناس قلت بلى ولكنهم افردوا بالذكر
لان حرصهم شديد ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة
احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون
الا الحيوة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في
الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ فان قلت
لم زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم
انهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل اراد
بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف
مهرجان وعن ابن عباس هو قول الاعاجم زي هزار سال وقيل ومن الذين
اشركوا كلام مبتدأ اي ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصوف
كقوله وما منا الا له مقام معلوم والذين اشركوا على هذا مشار به الى اليهود
لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في وما هو لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه

اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من
مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة
التبعيد والانجاء فان قلت يود احدهم ما موقعه قلت هو بيان
لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف فان قلت كيف اتصل لو يعمر بيود
احدهم قلت هو حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس
لو اعمر الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله
ليفعلن روي ان عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله
وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره
لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس
سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه
جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه
فعلى اي حق تقتلونه وقيل امره الله تعالى ان يجعل النبوة فينا فجعلها
في غيرنا وروي انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان
ممره على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك
وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لاني شاك في ديني وانما
ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد وارى آثاره في كتابكم ثم سألهم عن
جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف
وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله
قالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل
فقال عمر لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن
كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا
لله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه لقد
وافقك ربك يا عمر قال عمر لقد رأيتني في دين الله اصلب من الحجر وقرئ
جبريل بوزن قنديل وجبرئيل بحذف الياء وجبرئل بحذف الهمزة وجبريل
بوزن قندئيل وجبرئل بلام شديدة وجبرائيل بوزن جبراعيل

ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله الضمير في نزله للقرآن
وفي هذا الإضمار أعني إضمار ما لم يسبق ذكره فخامة لشأن صاحبه حيث يجعل
لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته
على قلبك أي حفظه إياك وفهمكه بإذن الله بتيسيره وتسهيله فإن قلت
كان حق الكلام أن يقال على قلبي قلت جاءت على حكاية كلام الله كأنه
كأنه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك
فإن قلت كيف استقام قوله فإنه نزله جزاء للشرط قلت فيه وجهان
أحدهما إن عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل
كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو أنصفوا لأحبوه وشكروا له صنيعه في إنزال
ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم والثاني إن عاداه أحد فالسبب في عداوته أنه نزل
عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم
ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك إن عاداك فلان فقد آذيته
وأسأت إليه أفرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر وهو مما ذكر
أن التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقرئ ميكال
بوزن قنطار وميكائل كميكاعل وميكائيل كميكاعيل وميكئل كميكعل وميكئيل
كميكعيل قال ابن جني العرب إذا نطقت بالأعجمي خلطت فيه عدو للكافرين
أراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على أن الله إنما عاداهم لكفرهم وأن عداوة
الملائكة كفر وإذا كانت عداوة الأنبياء كفرا فما بال الملائكة وهم أشرف والمعنى
من عاداهم عاداه الله وعاقبه أشد العقاب إلا الفاسقون أي المتمردون
من الكفرة وعن الحسن إذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على أعظم
ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس قال ابن صوريا لرسول الله ما جئتنا
بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام في الفاسقون
للجنس والأحسن أن يكون إشارة إلى أهل الكتاب أوكلما الواو للعطف على
محذوف معناه أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا وقرأ أبو السمال بسكون
الواو على أن الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكأنه قيل وما يكفر بها إلا الذين

نقضوا عهد الله مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر
ونقض العهود وكم أخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول
الله فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة والنبذ الرمي
بالذمام ورفضه وقرأ عبد الله نقضه فريق منهم وقال فريق منهم لأن منهم
من لم ينقض بل أكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون
نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به كتاب الله يعني التوراة لأنهم بكفرهم برسول
الله المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها أو كتاب الله القرآن نبذوه
بعدما لزمهم تلقيه بالقبول كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك يعني
أن علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذه وراء ظهورهم مثل
لتركهم وإعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات
إليه وعن الشعبي هو بين أيديهم يقرؤونه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان
أدرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا
حرامه واتبعوا أي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلو الشياطين يعني
واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمان أي على
عهد ملكه وفي زمانه وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون
إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة وقد دونوها في
كتب يقرؤونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان حتى قالوا
إن الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه
إلا بهذا العلم وبه تسخر الإنس والجن والريح التي تجري بأمره وما كفر
سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهت به سليمان من اعتقاد السحر
والعمل به وسماه كفرا ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر
وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصدون به إغواءهم وإضلالهم وما أنزل
على الملكين عطف على السحر أي ويعلمونهم ما أنزل على الملكين أو
هو عطف على ما تتلو أي واتبعوا ما أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله
للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به

عالم

ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
كما ابتلى قوم نبيهم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني وقرأ
الحسن على الملكين بكسر اللام على أن المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل
وما يعلمان الملكان أحدا حتى ينصحاه ويقولا له إنما نحن فتنة أي ابتلاء
واختبار من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا أنه حق فيتعلمون الضمير لما دل
عليه من أحد أي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه
أي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه
كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده البغض والنشوز والخلاف
ابتلاء منه لا أن السحر له أثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من أحد
إلا بإذن الله لأنه ربما أحدث الله عنده فعلا من أفعاله وربما لم يحدث
ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لأنهم يقصدون به الشر وفيه أن الاجتناب
أصلح كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن أن تجر إلى الغواية ولقد علموا أي
اليهود لمن اشتراه أي استبدل ما تتلو الشياطين على كتاب الله ما له
في الآخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به أنفسهم أي باعوها
وقرأ الحسن الشياطون وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون
وقد ذكر وجهه فيما بعد وقرأ الزهري هاروت وماروت بالرفع على
هما هاروت وماروت وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف ولو
كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرأ طلحة
وما يعلمان من أعلم وقرئ بين المرء بضم الميم وكسرها مع الهمزة والمرّ
بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف كقولهم مرج وإجراء الوصل
مجرى الوقف وقرأ الأعمش وما هم بضاري بطرح النون والإضافة إلى
أحد والفصل بينهما بالظرف فإن قلت كيف يضاف إلى أحد وهو مجرور
بمن قلت جعل الجار جزءا من المجرور فإن قلت كيف أثبت
لهم العلم أولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه
عنهم في قوله لو كانوا يعلمون قلت معناه لو كانوا يعلمون بعلمهم

جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم منسلخون عنه ولو أنهم آمنوا برسول الله والقرآن
واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين
لمثوبة من عند الله خير وقرئ لمثوبة كمشورة ومشورة لو كانوا يعلمون أن
ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكن جهلهم لترك العمل بالعلم فإن قلت
كيف أوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو قلت لما في
ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب إلى الرفع
في سلام عليكم لذلك فإن قلت فهلا قيل لمثوبة الله خير قلت
لأن المعنى لشيء من الثواب خير لهم ويجوز أن يكون قوله ولو أنهم آمنوا تمنيا
لإيمانهم على سبيل المجاز عن إرادة الله إيمانهم واختيارهم له كأنه قيل وليتهم
آمنوا ثم ابتدأ لمثوبة من عند الله خير كان المسلمون يقولون لرسول الله
إذا ألقى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله أي راقبنا وانتظرنا وتأن
بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية أو سريانية
وهي راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول
وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وأمروا بما هو في معناها
وهو انظرنا من نظره إذا انتظره وقرأ أبي أنظرنا من النظرة أي أمهلنا
حتى نحفظ وقرأ عبد الله بن مسعود راعونا على أنهم كانوا يخاطبونه
بلفظ الجمع للتوقير وقرأ الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج
أي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا إلى الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن لأنه لما
أشبه قولهم راعينا وكان سببا في السب اتصف بالرعن واسمعوا وأحسنوا
سماع ما يكلمكم به رسول الله ويلقي عليكم من المسائل بآذان واعية وأذهان
حاضرة حتى لا تحتاجوا إلى الاستعادة وطلب المراعاة أو واسمعوا سماع قبول
وطاعة ولا يكن سماعكم سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا أو واسمعوا ما أمرتم
به بجد حتى لا ترجعوا إلى ما نهيتم عنه تأكيدا عليهم ترك تلك الكلمة وروي أن
سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده
لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لأضربن عنقه فقالوا أولستم تقولونها

فنزلت ولا الكافرين واليهود الذين كانوا يقولون لرسول الله وسنوه عذاب اليم
من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون
كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق
الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله اهم يقسمون
رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون
ان ينزل عليكم شيء من الوحي والله يختص برحمته من يشاء ولا يشاء الا ما تقتضيه
الحكمة والله ذو الفضل العظيم اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله
ان فضله كان عليك كبيرا ذلك انهم طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد
يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا
فنزلت وقرئ ما ننسخ من آية وما ننسخ بضم النون من انسخ او ننسها وقرئ ننسها
وننسها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب الرسول وقراءة عبد الله
ما ننسك من آية او ننسخها وقراءة حذيفة ما ننسخ من آية او ننسكها ونسخ
الآية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساؤها الامر بتركها وننسؤها نؤخرها
واذهابها الى بدل وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى ان
كل آية نذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها او حكمها معا او من
ازالة احدهما الى بدل او غير بدل نأت بآية خيرا منها للعباد اي باية العمل بها اكثر
للثواب او مثلها في ذلك على كل شيء قدير فهو يقدر على الخير وما هو
خير منه وعلى مثله في الخير له ملك السموات والارض فهو يملك اموركم
ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ
لما بين لهم انه مالك امورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات
وغيره وقررهم على ذلك بقوله الم تعلم اراد ان يوصيهم بالثقة به فيما هو
اصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحته
آباء اليهود على موسى من الاشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم
اجعل لنا الها ارنا الله جهرة وغير ذلك ومن يتبدل الكفر بالايمان ومن
ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل

روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة
بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق
ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال
عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت الله ان لا اكفر
بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبأ وقال حذيفة واما انا فقد رضيت
بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين
اخوانا ثم اتيا رسول الله واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت فان قلت
بم تعلق قوله من عند انفسهم قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بود
على معنى انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند انفسهم
ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من
بعد ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما ان يتعلق
بحسدا اي حسدا متبالغا منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا
معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة حتى ياتي الله بامره
الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم
ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم من خير من حسنة
صلاة او صدقة او غيرهما تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده ان الله بما
تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل الضمير في وقالوا لاهل الكتاب
من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان
هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين
ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله وامنا من الالباس لما علم من التعادي
بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا
او نصارى والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل فان قلت
كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر قلت حمل الاسم على
لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن الا من هو صالوا الجحيم وقوله فان له
نار جهنم خالدين وقرأ ابي بن كعب الا من كان يهوديا او نصرانيا فان قلت

لم قيل تلك امانيهم وقولهم لن يدخل الجنة امنية واحدة قلت اشير بها
الى الاماني المذكورة وهي امنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وامنيتهم
ان يردوهم كفارا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني الباطلة امانيهم
وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وتلك امانيهم اعتراض او اريد امثال تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل امنيتهم هذه
والامنية افعولة من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة هاتوا برهانكم هلموا
حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم وهذا
اهدم شيء لمذهب المقلدين وان كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت
وهات صوت بمنزلة هاء في معنى احضر بلى اثبات لما نفوه من دخول
غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله من اخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو
محسن في عمله فله اجره الذي يستوجبه فان قلت من اسلم
كيف موقعه قلت يجوز ان يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع من اسلم كلاما
مبتدأ ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله اجره وان يكون من اسلم
فاعلا لفعل محذوف ويكون قوله فله اجره معطوفا على يدخلها من اسلم
على شيء اي على شيء يصح ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة لان المحال
والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فاذا نفي اطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ
في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا كقولهم اقل من لا شيء وهم يتلون
الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم
والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة او الانجيل او غيرهما من كتب الله
وآمن به ان لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدق للثاني
شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة في تصديق بعضها بعضا
كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين
لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لكل اهل دين
ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في

سلك من لا يعلم وروي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى
الله عليه اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود
ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه
وكفروا بموسى والتوراة فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيامة
بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي استحقه وعن الحسن حكم الله
بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ان يذكر ثاني مفعولي منع لانك تقول منعته كذا
ومثله وما منعنا ان نرسل وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز ان يحذف حرف
الجر مع ان ولك ان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم
عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه
ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس
ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التوراة وقتلوا وسبوا
وقيل منع المشركون رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فان قلت
فكيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت
المقدس او المسجد الحرام قلت لا بأس ان يجيء الحكم عاما وان كان
السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن آذى الصالحين
وكما قال الله عز وعلا ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق
وسعى في خرابها بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان وينبغي ان يراد من
منع العموم كما اريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا باعيانهم من اولئك
النصارى او المشركين اولئك المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا كان
ينبغي لهم ان يدخلوا مساجد الله الا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص
من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين
منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل
ما كان لهم في حكم الله يعني ان الله قد حكم في اللوح انه ينصر المؤمنين
ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين روي انه لا يدخل بيت المقدس
احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس

ثم انهك ضربا وابلغ اليه في العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه
الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرا عبد الله
الا خيفا وهو مثل صيم وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو
حنيفة ولم يجوزه مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره وقيل معناه
النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله خزي قتل وسبي او اذلة بضرب الجزية وقيل فتح مداينهم قسطنطينية
ورومية وعمورية ولله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض
كلها لله هو مالكها ومتوليها فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية يعني
تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما
كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله اي جهته التي امر بها ورضيها والمعنى
انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم
الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها
فان التولية ممكنة في كل مكان لا يختص امكانها في مسجد دون مسجد
ولا في مكان دون مكان ان الله واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده
والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت في صلوة المسافر على الراحلة
اينما توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا
تبينوا خطاهم فعذروا وقيل معناه فاينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلوة
وقرا الحسن فاينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة وقالوا
وقرئ بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملايكة
بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض
هو خالقه ومالكه ومن جملته الملايكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون
لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس
ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد والتنوين في كل عوض من المضاف
اليه اي كل ما في السموات والارض ويجوز ان يراد كل من جعلوا لله ولدا له
قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية لما اضافوا اليهم فان قلت

كيف جاء بما الذي لغير اولي العلم مع قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان
ما سخركن لنا وكانه جاء بما دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشانهم كقوله وجعلوا
بينه وبين الجنة نسبا يقال بدع الشيء فهو بديع كقولك بزع الرجل فهو بزيع
وبديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه
وقيل البديع بمعنى المبدع كما ان السميع في قول عمرو امن ريحانة الداعي السميع
بمعنى المسمع وفيه نظر كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث وهذا
مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثمه كما لا قول في قوله اذ قالت الانساع للبطن
الحقي وانما المعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يكون ويدخل تحت
الوجود من غير امتناع ولا توقف كما ان المامور المطيع الذي يؤمر فيمتثل
لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة لان من
كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها
وقرئ بديع السموات مجرورا على انه بدل من الضمير في له وقراه المنصور
بالنصب على المدح وقال الذين لا يعلمون وقال الجهلة من المشركين
وقيل من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا
يكلمنا كما يكلم الملايكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا او تاتينا اية جحودا
لان يكون ما اتاهم من ايات الله ايات واستهانة بها تشابهت قلوبهم
اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله اتواصوا به قد بينا الايات لقوم يوقنون
فيوقنون انها ايات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن
غيرها انا ارسلناك لان تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذه تسلية لرسول
الله وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم على الكفر
ولا تسئل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت جهدك
في دعوتهم كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسال على
النهي روي انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن السؤال عن احوال الكفرة
والاهتمام باعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما
تقول كيف فلان سايلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسال عنه

ان المستغيث يجزع ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تساله ولا تكلفه
ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره
فلا تسال وتعضد القراءة الاولى قراءة عبد الله ولن تسال وقراءة ابي وما تسال
كانهم قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا
منهم لرسول الله عن دخولهم في الاسلام فحكى الله عز وجل كلامهم ولذلك قال
قل ان هدى الله هو الهدى على طريقة اجابتهم عن قولهم يعني ان هدى الله
الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله
ليس وراءه هدى وما تدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو هوى الا ترى الى قوله
ولئن اتبعت اهواءهم اي اقوالهم التي هي اهواء وبدع بعد الذي جاءك من العلم
اي من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة الذين اتيناهم الكتاب هم مؤمنو
اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول
الله اولئك يؤمنون بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به من المحرفين فاولئك
هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدى ابتلى ابراهيم ربه بكلمات
اختبره باوامر ونواه واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار احد الامرين
ما يريد الله وما يشتهيه العبد كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب
ذلك وقراءة ابو حنيفة رحمه الله وهي قراءة ابن عباس ابراهيم ربه رفع ابراهيم ونصب
ربه والمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن ام لا
فان قلت الفاعل في القراءة المشهورة يلي الفعل في التقدير فتعلق
الضمير به اضمار قبل الذكر قلت الاضمار قبل الذكر ان يقال ابتلى
ربه ابراهيم فاما ابتلى ابراهيم ربه او ابتلى ربه ابراهيم فليس واحد منهما باضمار
قبل الذكر اما الاول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا واما
الثاني فابراهيم فيه مقدم في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه ابراهيم فان
الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلا سبيل الى صحته والمستكن في فاتمهن
في احد الوجهين لابراهيم بمعنى فقام بهن حق القيام واداهن احسن التادية
من غير تفريط وتوان ونحوه وابراهيم الذي وفى وفي الاخرى لله تعالى بمعنى فاعطاه

ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سال
ابراهيم ربه في قوله رب اجعل هذا بلدا امنا واجعلنا مسلمين لك وابعث
فيهم رسولا ربنا تقبل منا فان قلت ما العامل في اذ قلت
اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلى ابراهيم او واذ ابتلاه كان كيت وكيت واما قال اني
جاعلك فان قلت فما موقع قال قلت هو على الاول استيناف كانه
قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فقيل قال اني جاعلك للناس اماما وعلى
الثاني جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز ان يكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له
فيراد بالكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام قبل
ذلك في قوله اذ قال له ربه اسلم وقيل في الكلمات هي خمس في الراس الفرق
وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن
الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وقيل ابتلاه
من شرايع الاسلام بثلثين سهما عشرة في براءة التايبون العابدون وعشرة
في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشرة في المؤمنون وسال سايل الى
قوله والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والاحرام
والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر والختان وذبح ابنه والنار والهجرة
والامام اسم من يؤتم به على زنة الالة كالازار لما يؤتزر به اي ياتمون بك في
دينهم ومن ذريتي عطف على الكاف كانه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال
لك سا كرمك فتقول وزيدا لا ينال عهدي الظالمين وقرئ الظالمون اي من كان
ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي اليه بالامامة وانما ينال من كان عادلا
بريا من الظلم وقالوا في هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة وكيف يصلح
لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلوة
وكان ابو حنيفة رحمه الله يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي رضوان الله عليه
وحمل المال اليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي بالامام والخليفة كالدوانيقي
واشباهه وقالت له امراة اشرت على ابني بالخروج مع ابراهيم ومحمد ابني عبد الله
بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك وكان يقول في المنصور واشياعه

لو أرادوا بناء مسجد وأرادوني على عتبة أجرة لما فعلت وعن ابن عيينة لا يكون الظالم
إماماً قط وكيف يجوز نصب الظالم للإمامة والإمام إنما هو لكف الظلمة فإذا نصب
من كان ظالماً في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم والبيت اسم
غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة مباءة للناس مرجعاً للحجاج والعمار
يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه أي يثوب إليه أعيان الذين يزورونه أو أمثالهم
وأمناً وموضع أمن كقوله حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم ولأن الجاني
يأوي إليه فلا يتعرض له حتى يخرج وقرئ مثابات لأنه مثابة لكل من الناس لا يختص
به واحد منهم سواء العاكف فيه والباد واتخذوا على إرادة القول أي وقلنا اتخذوا
منه موضع صلاة تصلون فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب
وعن النبي صلى الله عليه أنه أخذ بيد عمر فقال هذا مقام إبراهيم فقال عمر
أفلا نتخذه مصلى يريد أفلا نؤثره لفضله بالصلاة فيه تبركاً وتيمناً بموطئ قدم إبراهيم
فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلاثة أشواط ومشى أربعة حتى إذا
فرغ عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى
وقيل مصلى مدعى ومقام إبراهيم الحجر الذي فيه أثر قدميه والموضع الذي
كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام إبراهيم وعن
عمر رضي الله عنه أنه سأل المطلب بن أبي وداعة هل تدري أين كان موضعه
الأول قال نعم فأراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام إبراهيم عرفة والمزدلفة والجمار
لأنه قام في هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام إبراهيم
وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي عطفاً على جعلنا أي واتخذ الناس من مكان
إبراهيم الذي وسم به لاهتمامه به وإسكان ذريته عنده قبلة يصلون إليها
وعهدنا أمرناهما أن طهرا بيتي بأن طهرا أو أي طهرا والمعنى طهراه من
الأوثان والأنجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها أو أخلصاه
لهؤلاء لا يغشه غيرهم والعاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده أي أقاموا
لا يبرحون أو المعتكفين ويجوز أن يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين

في الصلاة كما قال الطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين
لأن القيام والركوع والسجود هيئات المصلي أي اجعل هذا البلد أو هذا المكان
بلداً آمناً ذا أمن كقوله عيشة راضية أو آمناً من فيه كقولك ليل نائم ومن آمن
منهم بدل من أهله يعني وارزق المؤمنين من أهله خاصة ومن كفر عطف على
من آمن كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك فإن قلت لم
خص إبراهيم صلوات الله عليه المؤمنين حتى رد عليه قلت
قاس الرزق على الإمامة فعرف الفرق بينهما لأن الاستخلاف استرعاء يختص
بمن ينصح للمرعي وأبعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق فإنه قد يكون
استدراجاً للمرزوق وإلزاماً للحجة له والمعنى وارزق من كفر فأمتعه ويجوز
أن يكون ومن كفر مبتدأ متضمناً معنى الشرط وقوله فأمتعه جواباً للشرط أي
ومن كفر فأنا أمتعه وقرئ فأمتعه فأضطره فألزه إلى عذاب النار لز
المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر إليه وقرأ أبي فنمتعه قليلاً ثم نضطره
وقرأ يحيى بن وثاب فإضطره بكسر الهمزة وقرأ ابن عباس فأمتعه قليلاً ثم
اضطره على لفظ الأمر والمراد الدعاء من إبراهيم دعا ربه بذلك فإن قلت
فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة قلت في قال ضمير إبراهيم أي قال
إبراهيم بعد مسألته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم
اضطره وقرأ ابن محيصن فأطره لأن الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم
فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي حروف ضم شفر يرفع
حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الأساس والأصل لما فوقه
وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله أي أسأل الله أن
يقعدك أي يثبتك ورفع الأساس البناء عليها لأنها إذا بني عليها نقلت عن هيئة
الانخفاض إلى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز أن يكون المراد
بها سافات البناء لأن كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى
رفع القواعد رفعها بالبناء لأنه إذا وضع سافاً فوق ساف فقد رفع السافات
ويجوز أن يكون المعنى وإذ يرفع إبراهيم ما قعد من البيت أي استوطأ يعني

جعل هيئة القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء وروي أنه كان مؤسساً قبل
إبراهيم فبنى على الأساس وروي أن الله أنزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له
بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم أهبطت لك ما يطاف به كما يطاف
حول عرشي فتوجه آدم من أرض الهند إليه ماشياً وتلقته الملائكة فقالوا
بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام وحج آدم أربعين حجة من
أرض الهند إلى مكة على رجليه فكان على ذلك إلى أن رفعه الله أيام الطوفان
إلى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم إن الله أمر إبراهيم ببنائه وعرفه جبريل
مكانه وقيل بعث الله سحابة أظلته ونودي أن ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل
بناه من خمسة أجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودي وأسسه من حراء وجاءه
جبريل بالحجر الأسود من السماء وقيل تمخض أبو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه
في أيام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية
اسود وقيل كان إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ربنا أي يقولان ربنا
وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد أظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها
قائلين ربنا إنك أنت السميع لدعائنا العليم بضمائرنا ونياتنا فإن
قلت هلا قيل قواعد البيت وأي فرق بين العبارتين قلت
في إبهام القواعد وتبيينها بعد الإبهام ما ليس في إيضاحها لما في الإيضاح
بعد الإبهام من تفخيم لشأن المبين مسلمين لك مخلصين لك أوجهنا
من قوله أسلم وجهه لله أو مستسلمين يقال أسلم له وسلم واستسلم إذا
خضع وأذعن والمعنى زدنا إخلاصاً أو إذعاناً لك وقرئ مسلمين على الجمع كأنهما
أرادا أنفسهما وهاجر أو أجريا التثنية على حكم الجمع لأنها منه ومن ذريتنا
واجعل من ذريتنا أمة مسلمة لك ومن للتبعيض أو للتبيين كقوله وعد
الله الذين آمنوا منكم فإن قلت لم خصا ذريتهما بالدعاء قلت
لأنهم أحق بالشفقة والنصيحة قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ولأن أولاد الأنبياء
إذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير ألا ترى أن المتقدمين من
العلماء والكبراء إذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم

وقيل أراد بالأمة أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأرنا منقول من رأى بمعنى أبصر
أو عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين وبصرنا متعبداتنا في الحج أو عرفناها
وقيل مذابحنا وقرئ وأرنا بسكون الراء قياساً على فخذ في فخذ وقد استرذلت
لأن الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فإسقاطها إجحاف وقرأ
أبو عمرو بإشمام الكسرة وقرأ عبد الله وأرهم مناسكهم وتب علينا ما فرط منا من
الصغائر أو استتابا لذريتهما وابعث فيهم في الأمة المسلمة رسولاً
منهم من أنفسهم روي أنه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان فبعث الله
فيهم محمداً صلى الله عليه قال عليه السلام أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى يتلو عليهم
آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى إليه من دلائل وحدانيتك وصدق أنبيائك
ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة الشريعة وبيان الأحكام ويزكيهم ويطهرهم
من الشرك وسائر الأرجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث
ومن يرغب إنكار واستبعاد لأن يكون في العقلاء من يرغب عن الحق
الواضح الذي هو ملة إبراهيم ومن سفه في محل الرفع على البدل من الضمير في
يرغب وصح البدل لأن من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك أحد إلا زيد
سفه نفسه امتهنها واستخف بها وأصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل
انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه ويجوز أن يكون في شذوذ
تعريف المميز نحو قوله ولا بفزارة الشعر الرقابا أجب الظهر ليس له سنام وقيل
معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم أي في ظني والوجه
هو الأول وكفى شاهداً له بما جاء في الحديث الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس
وذلك أنه إذا رغب عما لا يرغب عاقل عنه قط فقد بالغ في إذالة نفسه
وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة ولقد اصطفيناه بيان لخطأ رأي من
رغب عن ملته لأن من جمع الكرامة عند الله في الدارين بأن كان صفوته
وخيرته في الدنيا وكان مشهوداً له بالاستقامة على الخير في الآخرة لم
يكن أحد أولى بالرغبة في طريقته منه إذ قال ظرف لاصطفيناه أي اخترناه

في ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل
اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله ومعنى
قال له اسلم اخطر بباله النظر في الدلائل المؤدية الى المعرفة والاسلام فقال اسلمت
اي فنظر وعرف وقيل اسلم اي اذعن واطع وروي ان عبد الله بن سلام دعا ابني
اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية
اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد
ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت وقرئ واوصى
وهي في مصاحف اهل الحجاز والشام والضمير في بها لقوله اسلمت لرب
العالمين على تاويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة
باقية الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقوله كلمة باقية
دليل على ان التانيث على تاويل الكلمة ويعقوب عطف على ابرهيم
داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه ايضا وقرئ ويعقوب بالنصب
عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها ابرهيم بنيه ونافلته يعقوب يا بني على
اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى لانه في معنى
القول ونحوه قول القائل رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا
بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار وفي
قراءة ابي وابن مسعود ان يا بني اصطفى لكم الدين اعطاكم الدين الذي
هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به فلا تموتن معناه فلا
يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم
على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه
عن الصلوة ولكن عن ترك الخشوع في حال صلوته فان قلت فاي نكتة في
ادخال حرف النهي على الصلوة وليس بمنهي عنها قلت النكتة فيه
اظهار ان الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلوة فكانه قال انهاك عنها اذا
لم تصلها على هذه الحالة الا ترى الى قوله عليه السلام لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد

فانه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل الا في المسجد وكذلك المعنى في الآية
اظهار ان موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس
بموت السعداء وان من حق هذا الموت ان لا يحل فيهم وتقول في الامر ايضا
مت وانت شهيد وليس مرادك الامر بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء
اذا مات وانما امرته بالموت اعتدادا منك بميتته واظهارا لفضلها على غيرها
وانها حقيقة بان يحث عليها ام كنتم شهداء هي ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها
الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام
اذ حضره الموت اي حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم
ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا
يقولون ما مات نبي الا على اليهودية الا انهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله
لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما ادعوا عليه اليهودية
فالآية منافية لقولهم فكيف يقال لهم ام كنتم شهداء ولكن الوجه
ان تكون ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف كانه قيل اتدعون على
الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعني ان اوائلكم
من بني اسرائيل كانوا مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام
وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء وقرئ حضر بكسر
الضاد ومن لغته ما تعبدون اي شيء تعبدون وما عام في كل شيء فاذا
علم فرق بما ومن وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون
لم يعم الا اولي العلم وحدهم ويجوز ان يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود
كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب ام غير ذلك من الصفات وابرهيم
واسمعيل واسحق عطف بيان لآبائك وجعل اسمعيل وهو عمه من
جملة آبائه لان العم اب والخالة ام لانخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة
لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما
كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال في العباس هذا بقية آبائي وقال
ردوا علي ابي فاني اخشى ان تفعل به قريش كما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود

وقرأ ابي واله ابرهيم بطرح آبائك وقرئ ابيك وفيه وجهان ان يكون واحدا
وابرهيم وحده عطف بيان له وان يكون جمعا بالواو والنون قال وفديننا بالابينا
الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة او على الاختصاص
اي نريد باله آبائك الها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله
لرجوع الهاء اليه في له ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد وان يكون جملة
اعتراضية مؤكدة اي ومن حالنا انا له مسلمون مخلصون التوحيد او مذعنون
تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون
والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متاخرا فكما ان اولئك لا
ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا
بآبائهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه يا بني هاشم لا ياتيني الناس
باعمالهم وتاتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم
كما لا تنفعكم حسناتهم بل ملة ابرهيم بل نكون ملة ابرهيم اي اهل ملته
كقول عدي بن حاتم اني من دين يدين اهل دين وقيل بل نتبع ملة ابرهيم
وقرئ ملة ابرهيم بالرفع اي ملته ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته بمعنى اهل
ملته وحنيفا حال من المضاف اليه كقولك رايت وجه هند قائمة
والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق والحنف الميل في
القدمين وتحنف اذا مال وانشد ولكنا خلقنا اذ خلقنا حنيفا ديننا
عن كل دين وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا
منهم يدعي اتباع ابرهيم وهو على الشرك قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز
ان يكون خطابا للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل
وكذلك قوله بل ملة ابرهيم يجوز ان يكون على بل اتبعوا انتم ملة ابرهيم او كونوا
اهل ملته والاسباط الحفدة وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه
والاسباط حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر لا نفرق بين احد منهم
لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى واحد في معنى
الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه بمثل ما آمنتم به من باب التبكيت لان دين الحق

واحد لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
فلا يوجد اذن دين آخر مماثل لدين الاسلام في كونه حقا حتى ان آمنوا بذلك
الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض
والتقدير اي فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا
وفيه ان دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه
باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الراي الصواب فان
كان عندك راي اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رايك ولكنك تريد
تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رايت لا راي وراءه ويجوز ان لا تكون الباء صلة
وتكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم اي فان دخلوا في الايمان
بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها وقرأ ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به وقرأ
ابي بالذي آمنتم به وان تولوا عما تقولون لهم ولم ينصفوا فما هم الا في شقاق
اي في مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق في شيء او وان تولوا عن
الشهادة والدخول في الايمان بها فسيكفيكهم الله ضمان من الله لاظهار رسول
الله عليهم وقد انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير ومعنى
السين ان ذلك كائن لا محالة وان تاخر الى حين وهو السميع العليم وعيد لهم
اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه
او وعد لرسول الله اي يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من اظهار الحق
وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك صبغة الله مصدر مؤكد منتصب
عن قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ
كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان
الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم
في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل الواحد
منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم
آمنا وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل
تطهيرنا او يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وانما

جئ بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس
كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرم ومن احسن من الله صبغة
يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم من اوضار الكفر فلا صبغة احسن من
صبغته وقوله ونحن له عابدون عطف على آمنا بالله وهذا العطف يرد
قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابرهيم او نصب على الاغراء بمعنى
عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن التيامه واتساقه
وانتصابها على انها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام
قراءة زيد بن ثابت اتحاجونا بادغام النون والمعنى اتجادلوننا في شأن الله
واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو انزل الله على احد لانزل علينا
وترونكم احق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا في انا عباده وهو
ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده هم فوضى في ذلك
لا يختص به عجمي دون عربي اذا كان اهلا للكرامة لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
يعني ان العمل هو اساس الامر وبه العبرة وكما ان لكم اعمالا يعتبرها الله
في اعطاء الكرامة ومنعها نحن كذلك ثم قال ونحن له مخلصون فجاء بما هو
سبب الكرامة اي نحن له موحدون نخلصه بالايمان فلا تستبعدوا ان
يؤهل اهل اخلاصه لكرامة النبوة وكانوا يقولون نحن احق بان تكون
النبوة فينا لانا اهل كتاب والعرب عبدة الاوثان ام تقولون يحتمل
فيمن قرأ بالتاء ان تكون ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون
المحاجة في حكمة الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء والمراد
بالاستفهام عنهما انكارهما معا وان تكون منقطعة بمعنى بل اتقولون والهمزة
للانكار ايضا وفيمن قرأ بالياء لا تكون الا منقطعة قل اانتم اعلم ام الله يعني
ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اي
كتم شهادة لله التي عنده انه شهد بها وهي شهادته لابرهيم بالحنيفية
ويحتمل معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة

وهم عالمون بها والثاني انا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم منا فلا
نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته
ومن في قوله شهادة عنده من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان اذا
شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله سيقول السفهاء
الخفاف الاحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل
المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة
آبائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم فان قلت اي فائدة في الاخبار بقولهم
قبل وقوعه قلت فائدته ان مفاجأة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه
ابعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وان الجواب العتيد
قبل الحاجة اليه اقطع للخصم واردّ لشغبه وقبل الرمي يراش السهم ما ولاهم ما صرفهم
عن قبلتهم وهي بيت المقدس لله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب
والارض كلها يهدي من يشاء من اهلها الى صراط مستقيم وهو ما توجبه الحكمة
والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس واخرى الى الكعبة وكذلك
جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا خيارا وهي صفة بالاسم الذي
هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحوه قوله
عليه السلام انظروا الشجة يريد اوسطها بين السمينة والعجفاء ووصفا بالشيء وهو
وسط الظهر على انه الحق بالتانيث مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط
لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه
قول الطائي كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا وقيل
اكتريت بمكة جمل اعرابي للحج فقال اعطني من سطا هنه اراد من خيار الزاد
او عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض لتكونوا
شهداء على الناس روي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله
الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون
فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق
على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال امته

فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا
بك على هؤلاء شهيدا فان قلت فهلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم
قلت لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء
بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد كنت انت الرقيب
عليهم وانت على كل شيء شهيد وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما
لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم
بعدالتكم فان قلت لم اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت آخرا قلت
لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر اختصاصهم
بكون الرسول شهيدا عليهم التي كنت عليها ليست بصفة للقبلة انما هي ثاني مفعولي
جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان رسول الله صلى
الله عليه كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة
تألفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي تحب ان تستقبلها
الجهة التي كنت عليها اولا بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم
الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه
فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية ويجوز ان يكون بيانا للحكمة
في جعل بيت المقدس قبلته يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان
استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي
كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع
الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته
بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فان قلت كيف قال
لنعلم ولم يزل عالما بذلك قلت معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو
ان نعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين
وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل
الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال ليميز الله الخبيث
من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز وان كانت لكبيرة

هي ان المخففة التي تلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت لما دل عليه قوله
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة او التحويلة او الجعلة ويجوز ان يكون
للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على الثابتين الصادقين
في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا اهلا للطفه وما كان الله ليضيع
ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر سعيكم واعد لكم الثواب
العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة
لايمانكم وقيل من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلوته غير ضائعة
عن ابن عباس لما وجه رسول الله الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل
من اخواننا فنزلت لرؤف رحيم لا يضيع اجورهم ولا يترك ما يصلحهم ويحكى
عن الحجاج انه قال للحسن ما رأيك في ابي تراب فقرأ قوله الا على الذين هدى الله
ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله وختنه على ابنته واقرب الناس اليه
واحبهم وقرئ ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان تكون
من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت ازيد في الدار ام عمرو
وقرأ ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون القاف وقرأ اليزيدي لكبيرة بالرفع
ووجهها ان تكون كان مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام والاصل وان هي
لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد
قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله قد اترك القرن مصفرا انامله
تقلب وجهك تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم
وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود
فكان يراعي نزول جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك
من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي
سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك
الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته شطر المسجد الحرام نحوه
قال واطعن بالقوم شطر الملوك وقرأ ابي تلقاء المسجد الحرام عن البراء بن
عازب

قدم النبي صلى الله عليه المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه
الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين
ورسول الله في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول
في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان
الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف اي اجعل
تولية الوجه تلقاء المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه
حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان
الواجب مراعاة الجهة دون العين ليعلمون انه الحق ان التحويل الى الكعبة
هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله انه يصلي الى القبلتين
قرئ بالياء والتاء ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط
بكل اية بكل برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان
تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد
مع علمهم بما في كتبهم من نعتك انك على الحق وما انت بتابع قبلتهم حسم لاطماعهم
اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا
الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة
وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون
في شان القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك وذلك ان اليهود
تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس اخبر عز وعلا عن تصلب
كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان
والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده ولئن اتبعت اهواءهم
بعد الافصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله وما انت بتابع قبلتهم
كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح
البرهان والاحاطة بحقيقة الامر انك اذا لمن المرتكبين الظلم الفاحش
وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل
بعد انارته ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على الحق فان قلت كيف

كيف قال وما انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة قلت
كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة
يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه معرفة جلية يميزون بينه وبين
غيره بالوصف المعين المشخص كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم
وعن عمر رضي الله عنه انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله فقال انا اعلم به
مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته
خانت فقبل عمر راسه وجاز الاضمار وان لم يسبق له ذكر لان الكلام يدل عليه
ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه لشهرته وكونه
علما معلوم بغير اعلام وقيل الضمير للعلم او القرآن او تحويل القبلة وقوله كما يعرفون
ابناءهم يشهد للاول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام فان قلت
لم اختص الابناء قلت لان الذكور اشهر واعرف وهم لصحبة الاباء
الزم وبقلوبهم الصق وان فريقا منهم استثناء لمن امن منهم او لجهالهم الذين
قال فيهم ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الحق من ربك يحتمل ان يكون الحق
خبر مبتدا محذوف اي هو الحق او مبتدا خبره من ربك وفيه وجهان
ان يكون اللام للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله او الى الحق
الذي في قوله ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك وان
يكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت انه من الله
كالذي انت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل
فان قلت اذا جعلت الحق خبر مبتدا فما محل من ربك قلت
يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا وقرا علي رضي الله عنه الحق من
ربك على الابدال من الاول اي يكتمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين
الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في انه من ربك ولكل من اهل
الاديان المختلفة وجهة قبلة وفي قراءة ابي ولكل قبلة هو موليها
هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين وقيل هو لله تعالى اي الله موليها
اياه وقرئ ولكل وجهة على الاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيد

فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد ابوه ضاربه وقرا
ابن عامر هو مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل امة قبلة تتوجه
اليها منكم ومن غيركم فاستبقوا انتم الخيرات واستبقوا اليها غيركم من اهل الملل
وغيره ومعنى اخر وهو ان يراد ولكل منكم يا امة محمد وجهة اي جهة يصلي
اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يات بكم
الله جميعا للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه ويجوز ان يكون المعنى فاستبقوا
الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اين
ما تكونوا من الجهات المختلفة يات بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كانها
الى جهة واحدة وكانكم تصلون حاضري المسجد الحرام ومن حيث خرجت ومن
اي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان
هذا المامور به وقرئ تعملون بالياء والتاء وهذا التكرير لتاكيد امر القبلة وتشديده
لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى الفصل
بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد
ما لم ينط بالاخر فاختلفت فوائدها الا الذين ظلموا استثناء من الناس ومعناه
لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى
الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء
فان قلت اي حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم تحول حتى احترز
من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين قلت كانوا يقولون ما له لا يحول
الى قبلة ابيه ابرهيم كما هو مذكور في نعته في التورية فان قلت
كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين قلت لانهم يسوقونه سياق
الحجة ويجوز ان يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في
ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابرهيم واسمعيل ابي العرب الا الذين
ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك
ان يرجع الى دينهم وقرا زيد بن علي رضي الله عنه الا الذين ظلموا منهم
على ان الا للتنبيه ووقف على حجة ثم استانف تنبيها فلا تخشوهم فلا

فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا امري
وما رايته مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف معناه ولاتمامي النعمة عليكم وارادتي
اهتداءكم امرتكم بذلك او يعطف على علة مقدرة كانه قيل واخشوني لاوفقكم
ولاتم نعمتي عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة
دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا
اما ان يتعلق بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في الاخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في
الدنيا بارسال الرسول او بما بعده اي كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة
اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون ولا تجحدوا نعمائي
اموات بل احياء بل هم احياء ولكن لا تشعرون كيف حالهم في حياتهم وعن
الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل
اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوة وعشيا
فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا
فيها وقالوا يجوز ان يجمع الله من اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها
النعيم وان كانت في حجم الذرة وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة
عشر ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل
تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه
ام لا بشيء بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وبشر الصابرين
المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم واذعان وعن النبي
صلى الله عليه من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه
وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي انه طفئ سراج رسول الله صلى الله عليه
فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي فقال نعم كل شيء يؤذي المؤمن
فهو له مصيبة وانما قلل في قوله بشيء ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان
وان جل ففوقه ما يقل اليه وليخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم في كل حال
لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف
على شيء او على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب في وبشر

يبرول الله او لكل من تتاتى منه البشارة وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع
صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس
الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه اذا مات ولد
العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة
قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع
فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد والصلوة الحنو
والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رأفة
ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة اي رحمة ولوليكم
المهتدون للطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله الصفا والمروة
علمان للجبلين كالصمان والمقطم والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام
مناسكه ومتعبداته والحج القصد والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت
وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان
واصل يطوف يتطوف فادغم ولا جناح ان يطوف من طاف فان قلت
كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل فلا جناح عليه ان يطوف بهما قلت
كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا
رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طال
المدة عبدا من دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء
الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية
وان لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف في السعي
فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك
كقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا وغير ذلك ولقوله ومن تطوع خيرا كقوله فمن
تطوع خيرا فهو خير له ويروى ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبير ويعضده
قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما وعن ابي حنيفة رحمه الله
انه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاوليين لا شيء عليه وعند
مالك والشافعي هو ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي ومن

وقرئ ومن يطوع بمعنى ومن يتطوع فادغم وفي قراءة عبد الله ومن يتطوع بخير
ان الذين يكتمون من احبار اليهود ما انزلنا في التورية من البينات من
الايات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وآله والهدى والهداية بوصفه الى اتباعه
والايمان به من بعد ما بيناه ولخصناه للناس في الكتاب في التورية لم ندع فيه
موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه
ولبسوا على الناس اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتأتى
منهم اللعن عليهم من الملائكة والمؤمنين من الثقلين واصلحوا ما افسدوا
من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم فكتموه او بينوا
للناس ما احدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به
ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين ان الذين كفروا يعني الذين ماتوا من هؤلاء
الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا وقرأ الحسن والملائكة
والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في التقدير كقولك
عجبت من ضرب زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو كأنه قيل اولئك
عليهم ان لعنهم الله والملائكة فان قلت ما معنى قوله والناس اجمعين
وفي الناس المسلم والكافر قلت اراد بالناس من يعتد بلعنته
وهم المؤمنون وقيل يوم القيمة يلعن بعضهم بعضا خالدين فيها في اللعنة
وقيل في النار الا انها اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا ولاهم ينظرون
من الانظار اي لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم
نظر رحمة واله واحد فرد في الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره
الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته الرحمن الرحيم المولى
لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه
اما نعمة واما منعم عليه وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة وستون
صنما فلما سمعوا هذه الاية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فائت باية نعرف بها
صدقك فنزلت ان في خلق السموات واختلاف الليل والنهار
واعتقابهما لان كل واحد منهما يعقب الاخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة

بما ينفع الناس بالذي ينفعهم مما تحمل فيها او ينفع الناس فان قلت
قوله وبث فيها عطف على انزل ام احيا قلت الظاهر انه عطف على
انزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله فاحيا به الارض عطف على انزل فاتصل
به وصارا جميعا كالشيء الواحد فكأنه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث
فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيا على معنى فاحيا بالمطر الارض
وبث فيها من كل دابة لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف
الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة
وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب
المسخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله يمطر حيث شاء لايات
لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلائل على عظيم القدرة
وباهر الحكمة وعن النبي صلى الله عليه ويل لمن قرأ هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر
فيها ولم يعتبر بها وقرئ والفلك بضمتين وتصريف الريح على الافراد اندادا
امثالا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم لالتزامهم
على اوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا
ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله
والخضوع له اي كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغنى
عن ذكر من يحبه لانه غير ملتبس وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في
محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين
فانهم يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون
له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون
الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الاصنام من حيس
عام المجاعة ولو يرى الذين ظلموا الشأن الى متخذي الانداد اي ولو يعلم هؤلاء الذين
ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب
والثواب دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم

يوم القيمة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم
بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا وقولهم لو
رأيت فلانا والسياط تأخذه وقرئ ولو ترى على خطاب الرسول او كل مخاطب
اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول واذ في
المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة اذ تبرأ بدل من اذ يرون العذاب اي
تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع وقرأ مجاهد الاول على البناء
للفاعل والثاني على البناء للمفعول اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب
الواو للحال اي تبرأوا في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف على تبرأ
والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب
والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم لو في معنى التمني ولذلك
اجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ منهم كذلك
ذلك البراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات اي ندامات وحسرات ثالث مفاعيل
ارى ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم
وما هم بخارجين هم بمنزلته في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة في دلالته
على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص حلالا مفعول كلوا او حال
مما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان
فتدخلوا في حرام او شبهة او تحريم حلال او تحليل حرام ومن للتبعيض اذ ليس
كل ما في الارض ياكول وقرئ خطوات بضمتين وخطوات بضمة وسكون
وخطؤات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء كانها على الواو وخطوات
بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة
ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع
خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته مبين ظاهر
العداوة لا خفاء به انما يامركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته
اي لا يأمركم بخير قط انما يأمركم بالسوء بالقبيح والفحشاء وما يتجاوز الحد
في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد

وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه فان قلت كيف كان الشيطان آمرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت شبه تزيينه وبعثه على الشر بامر الآمر كما تقول امرتني نفسي بكذا وتحته رمز الى انكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان يطيعها فيعطيها ما اشتهت لهم الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا ضال اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم والفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه ايتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر لها ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون اهم على حق ام باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا ان قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن

قال الاخطل فانعق بضأنك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا واما نعق الغراب فبالغين المعجمة صم بكم عمي رفع على الذم من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته لان كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن النبي عليه السلام يقول الله تعالى اني والجن والانس في نبا عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري قرئ حرم على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول وحرم بوزن كرم اهل به لغير الله اي رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة فان قلت في الميتات ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه احلت لنا ميتتان ودمان قلت قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة الا ترى ان القائل اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك والجراد كما لو قال اكل دما لم يسبق الى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة وقال الله تعالى لتاكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان سماه الله دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فان قلت فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت لان الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون انه شحيم في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يلتبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التي هي بدل منه قال اكلت دما ان لم ارعك بضرة وقال يأكلن كل ليلة اكافا اراد ثمن الاكاف فسماه اكافا لتلبسه به لكونه ثمنا له ولا يكلمهم تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة في تكرمة الله اياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبون

ولكن بنحو قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن تريد انه لا يتعرض لذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما اصبرهم فاي شيء صبرهم يقال اصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا اصل معنى فعل التعجب والذي روي عن الكسائي انه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم الي رجلان من العرب فحلف احدهما على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله فمعناه ما اصبرك على عذاب الله ذلك بان الله نزل اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وان الذين اختلفوا في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق لفي خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس او كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم اساطير لفي شقاق بعيد يعني ان اولئك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسروا على ان يكفروا البر اسم للخير ولكل فعل مرضي ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لاهل الكتاب لان اليهود تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك انهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حول رسول الله الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج عن البر ولكن البر ما نبينه وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب ان تذهلوا بشانه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة اليه بر من آمن وقام بهذه الاعمال وقرئ ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم وقرأ عبد الله بان تولوا على ادخال الباء على الخبر للتاكيد كقولك ليس المنطلق بزيد ولكن البر من آمن بالله على تاويل حذف المضاف اي بر من آمن

او بتاويل البر بمعنى ذي البر او كما قالت فانما هي اقبال وادبار وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء وقرئ ولكن البار وقرأ ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله او القرآن على حبه مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه وقدم ذوي القربى لانهم احق قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوي رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة وقال افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح واطلق ذوي القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم الالباس والمسكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكير للدائم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه للسائل حق وان جاء على ظهر فرسه وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها فان قلت قد ذكر ايتاء المال في هذا الوجه ثم قفاه بايتاء الزكوة فهل دل ذلك على ان في المال حقا سوى الزكوة قلت يحتمل ذلك وعن الشعبي ان في المال حقا سوى الزكوة وتلا هذه الآية ويحتمل ان يكون ذلك بيان مصارف الزكوة او يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال حق سوى الزكوة والموفون عطف على من آمن واخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والباساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة صدقوا كانوا صادقين جادين في الدين عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري

وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي أن الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالأنثى أخذا بهذه الآية ويقولون هي مفسرة لما أبهم في قوله النفس بالنفس ولأن تلك واردة لحكاية ما كتب في التوراة على أهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه أنها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين الحر والعبد والذكر والأنثى ويستدلون بقوله عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم وبأن التفاضل غير معتبر في الأنفس بدليل أن جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروي أنه كان بين حيين من أحياء العرب دماء في الجاهلية وكان لأحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى والاثنين بالواحد فتحاكموا إلى رسول الله حين جاء الله بالإسلام فنزلت وأمرهم أن يتباوأوا فمن عفي له من أخيه شيء معناه فمن عفي له من جهة أخيه شيء من العفو على أنه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح أن يكون شيء في معنى المفعول به لأن عفا لا يتعدى إلى مفعول به إلا بواسطة وأخوه هو ولي المقتول وقيل له أخوه لأنه لابسه من قبل أنه ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه أدنى ملابسة أو ذكره بلفظ الأخوة ليعطف أحدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والإسلام فإن قلت إن عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له قلت يتعدى بعن إلى الجاني وإلى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فإذا تعدى إلى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الآية كأنه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغني عن ذكر الجناية فإن قلت هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به قلت لأن عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن أعفاه ومنه قوله عليه السلام وأعفوا اللحى فإن قلت فقد ثبتت قولهم عفا أثره إذا محاه وأزاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من أخيه شيء قلت

عبارة

عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها إلى أخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ إذا أعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها فإن قلت لم قيل شيء من العفو قلت للإشعار بأنه إذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بأن يعفى عن بعض الدم أو عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم تجب إلا الدية فاتباع بالمعروف فليكن اتباع أو فالأمر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بأن لا يعنف به ولا يطالبه إلا مطالبة جميلة وليؤد إليه القاتل بدل الدم أداء بإحسان بأن لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور من العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لأن أهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو وأخذ الدية وعلى أهل الإنجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الأمة بين الثلاث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل أو القتل بعد أخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب أليم نوع من العذاب شديد الألم في الآخرة وعن قتادة العذاب الأليم أن يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله عليه السلام لا أعافي أحدا قتل بعد أخذه الدية ولكم في القصاص حيوة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو أن القصاص قتل وتفويت للحيوة وقد جعل مكانا وظرفا للحيوة ومن إصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحيوة لأن المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حيوة عظيمة وذلك أنهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل بأخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الإسلام بشرع القصاص كانت فيه حيوة أي حيوة أو نوع من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل

لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لأنه إذا هم بالقتل فعلم أنه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرأ أبو الجوزاء ولكم في القصص حيوة أي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن أي لكم في القرآن حيوة للقلوب كقوله روحا من أمرنا ويحيى من حي عن بينة لعلكم تتقون أي أريتكم ما في القصاص من استبقاء الأرواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل أهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالأئمة إذا حضر أحدكم الموت إذا دنا منه وظهرت أماراته خيرا مالا كثيرا عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا أراد الوصية وله عيال وأربعمائة دينار فقالت ما أرى فيه فضلا وأراد آخر أن يوصي فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف قالت كم عيالك قال أربعة قالت إنما قال الله إن ترك خيرا وإن هذا لشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله عنه أراد أن يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى إن ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولأنها بمعنى أن يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد ما سمعه والوصية للوارث كانت في بدء الإسلام فنسخت بآية المواريث وبقوله عليه السلام إن الله أعطى كل ذي حق حقه ألا لا وصية لوارث وبتلقي الأمة إياه بالقبول [...] الثبت الذي صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين وقيل ما هي بمخالفة لآية المواريث ومعناها كتب عليكم ما أوصى به الله من توريث الوالدين والأقربين من قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم أو كتب على المحتضر أن يوصي للوالدين والأقربين بتوفير ما أوصى به الله لهم عليهم وأن لا ينقص من أنصبائهم بالمعروف بالعدل وهو أن لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر مؤكد أي حق ذلك حقا فمن بدله فمن غيره من الأوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحققه فإنما إثمه على الذين يبدلونه فما إثم الإيصاء المغير أو التبديل إلا على مبدليه دون غيرهم

حتى لحق بالمتواتر وإن كان من الآحاد لأنهم لا يتلقون بالقبول إلا

من الموصي والموصى له لأنهما بريئان من الحيف إن الله سميع عليم وعيد للمبدل فمن خاف فمن توقع وعلم وهذا في كلامهم شائع يقولون أخاف أن ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم جنفا ميلا عن الحق بالخطأ في الوصية أو إثما أو تعمدا للحيف فأصلح بينهم بين الموصى لهم وهم الوالدان والأقربون بإجرائهم على طريق الشرع فلا إثم عليه حينئذ لأن تبديله تبديل باطل إلى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم أن كل تبديل لا يؤثم كما كتب على الذين من قبلكم على الأنبياء والأمم من لدن آدم إلى عهدكم قال علي رضي الله عنه أولهم آدم يعني أن الصوم عبادة قديمة أصلية ما أخلى الله أمة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها لأصالتها وقدمها أو لعلكم تتقون المعاصي لأن الصائم أظلف لنفسه وأردع لها من مواقعة السوء قال عليه السلام فعليه بالصوم فإن الصوم وجاء أو لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لأن الصوم شعارهم وقيل معناه أنه كصومهم في عدد الأيام وهو شهر رمضان كتب على أهل الإنجيل فأصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في أسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته وقيل الأيام المعدودات عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر كتب على رسول الله صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم أن يتقوا المفطر بعد أن يصلوا العشاء وبعد أن يناموا ثم نسخ ذلك بقوله أحل لكم ليلة الصيام الآية ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم أو قلائل كقوله دراهم معدودة وأصله أن المال القليل يقدر تقديرا ويعد عدا والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب أياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة أو على سفر أو راكب سفر فعدة فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما أن يفطرا ويصوما عدة من أيام أخر واختلف في المرض المبيح للإفطار فمن قائل كل مرض لأن الله لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما أن لكل مسافر أن يفطر

فلذلك كل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو يأكل فاعتل بوجع
اصبعه وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع المضر وليس به
مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار وقائل هو المرض الذي يعسر معه الصوم
ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي لا يفطر حتى يجهده
الجهد غير المحتمل واختلف ايضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي
عبيدة بن الجراح ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في
قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم
انه يقضي كما فات متتابعا وفي قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات فان قلت
كيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات قلت
لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فامر بان يصوم اياما معدودة مكانها علم
انه لا يؤثر عدد على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة وعلى الذين
يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم ان افطروا فدية طعام مسكين
نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز مد وكان
ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في
الافطار والفدية وقرأ ابن عباس يطوقونه تفعيل من الطوق
اما بمعنى الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه ويقال لهم صوموا وعنه يتطوقونه
بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه
ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه على انهما
من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم
تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه
او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار
والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه
اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار
الفدية فهو خير له فالتطوع اخير له او الخير وقرئ فمن تطوع بمعنى يتطوع وان تصوموا
ايها المطيقون او المطوقون وحملتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم خير لكم من الفدية
وتطوع

وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا وفي قراءة ابي
والصيام خير لكم الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه
الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب
باضافة ابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت فان قلت لم سمي
شهر رمضان قلت الصوم فيه عبادة قديمة فكانهم سموه بذلك لارتماضهم فيه
من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم اضجارا
بشدته عليهم وقيل لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي
وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فان قلت فاذا كانت التسمية
واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا فما وجه ما جاء في الاحاديث من نحو قوله
عليه السلام من صام رمضان ايمانا واحتسابا من ادرك رمضان فلم يغفر له قلت
هو من باب الحذف لامن الالباس كما قال بما اعيا النطاسي حذيما اراد ابن حذيم
وارتفاعه على انه مبتدأ خبره الذي انزل فيه القرآن او على انه بدل من الصيام
في قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب على
صوموا شهر رمضان او على الابدال من اياما معدودات او على انه مفعول وان
تصوموا ومعنى انزل فيه القرآن ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل
انزل جملة الى سماء الدنيا ثم نزل في شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام كما تقول
انزل في عمر كذا وفي علي كذا وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم
اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلاث عشرة
والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس وبينات نصب على الحال اي انزل وهو هداية
للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي الى الحق ويفرق بين
الحق والباطل فان قلت ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس
قلت ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق به
بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال
فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر
في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه

ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر
يريد الله ان ييسر عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج في الدين وامركم بالحنيفية
السمحة التي لا اصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم فيه من اباحة الفطر في السفر
والمرض ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم ان من
صام منهما فعليه الاعادة وقرئ اليسر والعسر بضمتين ولتكملوا العدة فعل معلل محذوف
مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم
تشكرون شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له
بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر
بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر
ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك
لا يكاد يهتدي الى تبينه الا النقاب المحدث من علماء البيان وانما عدي
فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه متضمنا معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله
حامدين على ما هداكم ومعنى ولعلكم تشكرون وارادة ان تشكروا وقرئ ولتكملوا
بالتشديد فان قلت هل يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة
مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة او على اليسر كانه قيل
يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا قلت لا يبعد
ذلك والاول اوجه فان قلت ما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله
والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الاهلال فاني قريب
تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سأله بحال
من قرب مكانه فاذا دعي لم تبعد تلبيته ونحوه اقرب اليه من حبل الوريد
وقوله عليه السلام هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وروي ان اعرابيا قال لرسول
الله صلى الله عليه اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا
لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم
وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها كان الرجل اذا امسى
حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء الآخرة او يرقد فاذا صلاها
او

او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضي
الله عنه واقع اهله بعد صلوة العشاء الآخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه
فاتى النبي صلى الله عليه وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي
هذه الخاطئة فقال عليه السلام ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما
كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت وقرئ احل لكم ليلة الصيام الرفث اي
احل الله وقرأ عبد الله الرفوث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ
النيك وقد ارفث الرجل وعن ابن عباس انه انشد وهو محرم وهن يمشين
بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا فقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان
عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكني به عن الجماع لانه لا يكاد
يخلو من شيء من ذلك فان قلت لم كني عنه ههنا بلفظ الرفث الدال
على معنى القبح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن
او لامستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم
به منهن ولا تقربوهن قلت استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة
كما سماه اختيانا لانفسهم فان قلت لم عدي الرفث بالى قلت
لتضمينه معنى الافضاء لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد
منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي
اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا فان قلت ما موقع قوله
هن لباس لكم قلت هو استئناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه
اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب
عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن تختانون انفسكم
تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب
من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور
وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت في اللوح من الولد
بالمباشرة اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع
الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل لانه في الحرائر وقيل

وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وقراءة ابن عباس واتبعوا وقرأ الاعمش وأتوا وقيل معناه والتمسوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير الخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين ابيض واسود قال ابو دواد

فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا

وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض واكتفى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للثاني ويجوز ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله فان قلت أهذا من باب الاستعارة ام من باب التشبيه قلت قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رأيت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فان قلت فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة قلت لان من شرط المستعار ان يدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج من ان يكون استعارة فان قلت فكيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادي فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا يتبين لي الابيض من الاسود فلما اصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه فاخبرته فضحك وقال ان كان وسادك لعريضا وروي انك لعريض القفا انما ذاك بياض النهار وسواد الليل قلت غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه قفاه لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وانشدتني بعض البدويات لبدوية

عريض القفا ميزانه في شماله قد انحص من حسب القراريط شاربه

فان قلت فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبيناه فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا انه انما

عنى بذلك الليل والنهار وكيف جاز تأخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد اذ ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم اذا الا الحقيقة وهي غير مراده قلت اما من لا يجوز تأخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب ابي علي وابي هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث واما من يجوزه فيقول ليس بعبث لان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح المراد به ثم اتموا الصيام الى الليل قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تأخير الغسل الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف ان يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالآن باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن لشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك اذا لمس او قبل فانزل وعن قتادة كان الرجل اذا اعتكف خرج فباشر امرأته ثم رجع الى المسجد فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في المسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع وقرأ مجاهد في المسجد تلك الاحكام التي ذكرت حدود الله فلا تقربوها فلا تغشوها فان قلت كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله قلت من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل وان يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا ان يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب ولا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه

ولا تدلوا ولا تلقوا امرها والحكومة فيها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور وباليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم وعن النبي صلى الله عليه انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا يأخذن منه شيئا فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم داخل في حكم النهي او منصوب باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه احق بالتوبيخ روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ لا يكون على حال واحد فنزلت مواقيت معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته كان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر بر من اتقى ما حرم الله فان قلت ما وجه اتصاله بما قبله قلت كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله عز وعلا لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونها برا ويجوز ان يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت للحج لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من ترك باب البيت ودخله

من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال وأتوا البيوت من ابوابها اي وباشروا الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد توطين النفوس وربط القلوب على ان جميع افعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارفة الشك لا يسأل عما يفعل وهم يسألون المقاتلة في سبيل الله هو الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن انس هي اول آية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون ان لا يفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت واطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم وفي الشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او بالمفاجاة من غير دعوة حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال

فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود

من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب به اشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن

والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل لقتل بحد السيف اهون
موقعا على النفس من قتل بحد فراق وقيل الفتنة عذاب الآخرة ذوقوا فتنتكم
وقيل الشرك اعظم من القتل في الحرم وذلك انهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم
ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي هم عليه اشد واعظم مما يستعظمونه ويجوز
ان يراد وفتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام اشد من قتلكم اياهم في الحرم او
من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم ولا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فان
قاتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلنا بنو فلان وقال
فان تقتلونا نقتلكم فان انتهوا عن الشرك والقتال كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما
قد سلف حتى لا تكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب
فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين فلا تعتدوا على المنتهين
لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع على
المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمي جزاء الظالمين ظلما
للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد
كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم فانهم المشركون عام الحديبية في الشهر
الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك
في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه
فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة
يجري فيها القصاص فمن هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان يهتك له حرمة
فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله في حال كونكم منتصرين
ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة ... والمعنى ولا تفضوا بها الى التهلكة
... وقيل بايديكم بانفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك
فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الانفاق في سبيل
الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف في النفقة حتى تفقر نفسه ويضيع عياله
او

او عن الاستقبال والاخطار بالنفس او عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو وروي
ان رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة
فقال ابو ايوب الانصاري نحن اعلم بهذه الآية وانما انزلت فينا صحبنا رسول الله
فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على اهالينا واموالنا واولادنا فلما فشا
الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى اهلينا واموالنا واولادنا
نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد وحكى
ابو علي في الحلبيات عن ابي عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد قال فدل
هذا من قول ابي عبيدة على ان التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم
التضرة والتسرة ونحوه في الاعيان التنضبة والتتفلة ويجوز ان يقال اصلها
التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على انها مصدر من هلك فابدلت من
الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما
تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم
فيهما قال تمام الحج ان تقف المواقف كلها على جرفاء واضعة اللثام جعل الوقوف
عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يتم الا به وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة
اهلك روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضوان الله عليهم وقيل
ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل
وقيل ان تكون النفقة حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من
التجارة والاغراض الدنيوية فان قلت هل فيه دليل على وجوب العمرة قلت
ما هو الا امر باتمامهما ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين او تطوعين فقد يؤمر
باتمام الواجب والتطوع جميعا الا ان تقول الامر باتمامهما امر بادائهما بدليل قراءة
من قرأ واقيموا الحج والعمرة والامر للوجوب في اصله الا ان يدل دليل على خلاف
الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل
على نفي الوجوب وهو ما روي انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن
ان تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع فان قلت فقد روي عن ابن
عباس رضي الله عنه انه قال ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا

قال له اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة
نبيك وقد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل الحج قلت كونها
قرينة للحج ان القارن يقرن بينهما وانهما يقترنان في الذكر فيقال حج فلان واعتمر
والحجاج والعمار ولانها الحج الاصغر ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في الوجوب
واما حديث عمر فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله اهللت بهما واذا اهل
بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع من الصلوة والدليل الذي ذكرناه اخرج
العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيها فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان
وستة من شوال في انك تأمره بفرض وتطوع وقراءة علي وابن مسعود والشعبي
والعمرة لله بالرفع كأنهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب فان
احصرتم يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى
احصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة وما هجر ليلى ان تكون تباعدت عليك
ولا ان احصرتك شغول وحصر اذا حبسه عدو عن المضي او سجن ومنه قيل
للمحبس الحصير وللملك الحصير لانه محجوب هذا هو الاكثر في كلامهم وهما بمعنى المنع
في كل شيء مثل صده واصده وكذلك قال الفراء وابو عمرو الشيباني وعلى
قول ابي حنيفة رحمه الله كل منع عنده من عدو كان او مرض او غيرهما معتبر
في اثبات حكم الاحصار وعند مالك والشافعي منع العدو وحده وعن النبي
صلى الله عليه من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدي
فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدي
جمع هدية كما يقال في جدية السرج جدي وقرئ من الهدي بالتشديد جمع هدية
كمطية ومطي يعني فان منعتم من المضي الى البيت وانتم محرمون بحج او عمرة
فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدي من بعير او بقرة او شاة ولا تحلقوا رؤسكم
... حتى يبلغ الهدي محله ان كان حاجا فبالحرم متى شاء عند ابي حنيفة
رحمه الله يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم امارة وعندهما في ايام النحر
وان كان معتمرا فبالحرم في كل وقت عندهم جميعا ما استيسر رفع بالابتداء
اي فعليه ما استيسر او نصب على فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا رؤسكم

الخطاب للمحصرين اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ
محله اي مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على
مذهب ابي حنيفة فان قلت فان النبي صلى الله عليه نحر هديه حيث احصر
قلت كان محصره طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن
الزهري ان رسول الله صلى الله عليه نحر هديه في الحرم وقال الواقدي
الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة فمن كان منكم مريضا فمن كان
به مرض يحوجه الى الحلق او به اذى من رأسه وهو القمل والجراحة فعليه
اذا احتلق فدية من صيام ثلاثة ايام او صدقة على ستة مساكين لكل مسكين
نصف صاع من بر او نسك وهو شاة وعن كعب بن عجرة ان رسول الله صلى
الله عليه قال له لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق رأسك وصم
ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك شاة وكان كعب يقول فيّ نزلت
هذه الآية وروي انه مر به وقد قرح رأسه فقال كفى بهذا اذى وامره ان يحلق ويطعم
او يصوم والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة وقرأ الحسن او نسك بالتخفيف
فاذا امنتم الاحصار يعني فاذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فمن تمتع اي
استمتع بالعمرة الى الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى
الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما
عليه الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي هو هدي المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة
ويأكل منه وعند الشافعي يجري مجرى الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر
عندنا وعنده يجوز ذبحه اذا احرم بحجته فمن لم يجد الهدي فعليه صيام ثلاثة
ايام في الحج اي في وقته وهو اشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج
وهو مذهب ابي حنيفة والافضل ان يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وان
مضى هذا الوقت لم يجزئه الا الدم وعند الشافعي لا يجوز صيامها الا بعد الاحرام بالحج تمسكا
بظاهر قوله في الحج وسبعة اذا رجعتم يعني اذا نفرتم وفرغتم من افعال الحج عند ابي حنيفة
وعند الشافعي هو الرجوع الى اهاليهم وقرأ ابن ابي عبلة وسبعة بالنصب
عطفا على محل ثلاثة ايام كأنه قيل فصيام ثلاثة ايام كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة

فإن قلت ما فائدة الفذلكة قلت الواو قد تجيء للإباحة في نحو قولك
جالس الحسن وابن سيرين ألا ترى أنه لو جالسهما جميعاً أو واحداً منهما كان ممتثلاً
ففذلكت نفياً لتوهم الإباحة وأيضاً ففائدة الفذلكة في كل حساب أن
يعلم العدد جملة كما علم تفصيلاً ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم وفي أمثال
العرب علمان خير من علم وكذلك كاملة تأكيد آخر وفيه زيادة توصية بصيامها
وأن لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل إذا كان لك اهتمام
بأمر تأمره به وكان منك بمنزلة الله الله لا تقصر وقيل كاملة في وقوعها بدلاً
من الهدي وفي قراءة أبي فصيام ثلاثة أيام متتابعات ذلك إشارة إلى التمتع عند
أبي حنيفة وأصحابه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم أو
قرن كان عليه دم وهو دم الجناية لا يأكل منه وأما القارن والمتمتع من أهل الآفاق
فدمهما دم نسك يأكلان منه وعند الشافعي إشارة إلى الحكم الذي هو وجوب
الهدي أو الصيام ولم يوجب عليهم شيئاً وحاضروا المسجد الحرام أهل المواقيت
فمن دونها إلى مكة عند أبي حنيفة وعنده أهل الحرم ومن كان من الحرم على
مسافة لا تقصر فيها الصلوة واتقوا الله في المحافظة على حدوده وما أمركم به
ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف ليكون
علمكم بشدة عقابه لطفاً لكم في التقوى الحج أشهر أي وقت الحج أشهر كقولك البرد
شهران معلومات معروفات شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند أبي حنيفة
وعند الشافعي تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك ذو الحجة كله فإن قلت
ما فائدة توقيت الحج بهذه الأشهر قلت فائدته أن شيئاً من أفعال الحج لا يصح إلا فيها
والإحرام بالحج لا ينعقد أيضاً عند الشافعي في غيرها وعند أبي حنيفة ينعقد
إلا أنه مكروه فإن قلت فكيف كان الشهران وبعض الثالث أشهراً
قلت اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت
قلوبكما فلا سؤال فيه إذاً وإنما كان يكون موضعاً للسؤال لو قيل ثلاثة أشهر
معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا أو على
عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة أو أكثر وإنما رآه في ساعة منها فإن قلت ما

الحج أشهر معلومات

وجه مذهب مالك وهو مروي عن عروة بن الزبير قلت قالوا وجهه أن
العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر فكأنها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة
وعن عمر أنه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن وعن ابن عمر
أنه قال لرجل إن أطعتني انتظرت حتى إذا أهللت المحرم خرجت إلى ذات عرق فأهللت
منها بعمرة وقالوا لعل من مذهب عروة جواز تأخير طواف الزيارة إلى آخر الشهر معلومات
معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم وفيه أن الشرع لم يأت على خلاف ما عرفوه
وإنما جاء مقرراً له فمن فرض فيهن الحج فمن ألزمه نفسه بالتلبية أو تقليد البدن
وسوقه عند أبي حنيفة وعند الشافعي بالنية فلا رفث فلا جماع لأنه يفسده أو فلا
فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز
بالألقاب ولا جدال ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وإنما أمر باجتناب
ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لأنه مع الحج أسمج كلبس الحرير في الصلوة
والتطريب في قراءة القرآن والمراد بالنفي وجوب انتفائها وأنها حقيقة بأن لا تكون
وقرئ المنفيات الثلث بالنصب وبالرفع وقرأ أبو عمرو وابن كثير الأولين بالرفع
والآخر بالنصب لأنهما حملا الأولين على معنى النهي كأنه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق
والثالث على معنى الإخبار بانتفاء الجدال كأنه قيل ولا شك ولا خلاف في
الحج وذلك أن قريشاً كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر
العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء
فرد إلى وقت واحد ورد الوقوف إلى عرفة فأخبر الله أنه قد ارتفع الخلاف
في الحج واستدل على أن المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال
بقوله عليه السلام من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته أمه وأنه لم يذكر
الجدال وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر
وأن تستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى
ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجميلة أو جعل فعل الخير عبارة عن ضبط
أنفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وقوله وتزودوا فإن خير الزاد
التقوى أي اجعلوا زادكم إلى الآخرة اتقاء القبائح فإن خير الزاد اتقاؤها وقيل

كان أهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله أفلا
يطعمنا فيكونون كلاً على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام
وإبرام الناس والتثقيل عليهم فإن خير الزاد التقوى واتقون وخافوا عقابي
يا أولي الألباب يعني أن قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الألباء فكأنه
لا لب له فضلاً من ربكم عطاء منه وتفضلاً وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس
من العرب يتأثمون أن يتجروا أيام الحج وإذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء
فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا
بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها
في أيام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الإسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح
في ذلك وأبيح لهم وإنما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر أن رجلاً
قال له إنا قوم نكري في هذا الوجه وإن قوماً يزعمون أن لا حج لنا فقال سأل
رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به
فقال أنتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه أنه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في
الحج فقال وهل كانت معايشنا إلا من التجارة في الحج وقرأ ابن عباس فضلاً
من ربكم في مواسم الحج أن تبتغوا في أن تبتغوا أفضتم دفعتم بكثرة وهو من
إفاضة الماء وهو صبه بكثرة وأصله أفضتم أنفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك
في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه صب في دقران
وهو يحرش بعيره بمحجنه وقال أفاضوا في الحديث وهضبوا فيه وعرفات
علم للموقف سمي بجمع كأذرعات فإن قلت هلا منعت الصرف وفيها
السببان التعريف والتأنيث قلت لا يخلو التأنيث إما أن يكون
بالتاء التي في لفظها وإما بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها
ليست للتأنيث وإنما هي مع الألف التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح
تقدير التاء فيها لأن هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها
كما لا يقدر تاء التأنيث في بنت لأن التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها
بالمؤنث كتاء التأنيث فأبت تقديرها وقالوا سميت بذلك لأنها وصفت
لإبرهيم

ليس عليكم جناح أن تبتغوا

فإذا أفضتم من عرفات

لإبرهيم عليه السلام فلما أبصرها عرفها وقيل إن جبريل حين كان يدور به في المشاعر
أراه إياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وقيل لأن الناس
يتعارفون فيها والله أعلم بحقيقة ذلك وهي من الأسماء المرتجلة لأن العرفة لا
تعرف في أسماء الأجناس إلا أن تكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب
الوقوف بعرفة لأن الإفاضة لا تكون إلا بعده وعن النبي صلى الله عليه الحج
عرفة فمن أدرك العرفة فقد أدرك الحج فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتكبير
والثناء والدعوات وقيل بصلوة المغرب والعشاء والمشعر الحرام قزح وهو الجبل
الذي يقف عليه الإمام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من
مأزمي عرفة إلى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام
والصحيح أنه الجبل لما روى جابر أن النبي صلى الله عليه لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة
بغلس ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفاً حتى
أسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريباً منه وذلك
للفضل كالقرب من جبل الرحمة وإلا فالمزدلفة كلها موقف إلا وادي محسر أو
جعلت أعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر
والمشعر المعلم لأنه معلم لعبادته ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس
رضي الله عنه أنه نظر إلى الناس ليلة جمع فقال لقد أدركت الناس هذه الليلة
لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعاً لأن آدم عليه السلام اجتمع فيها مع حواء
وازدلف إليها أي دنا منها وعن قتادة لأنه يجمع فيها بين الصلاتين ويجوز
أن يقال وصفت بفعل أهلها لأنهم يزدلفون إلى الله أي يتقربون بالوقوف فيها
كما هداكم ما مصدرية أو كافة والمعنى اذكروه ذكراً حسناً كما هداكم هداية
حسنة أو اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه وإن كنتم من قبله
قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه
وإن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم أفيضوا ثم لتكن إفاضتكم
من حيث أفاض الناس ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس
من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن أن يساووهم

فاذكروا الله عند المشعر الحرام

واذكروه كما هداكم

ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس

كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله افلا
يطعمنا فيكونون كلاًّ على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام
وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى واتقون وخافوا عقابي
يا اولي الالباب يعني ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباب فكانه
لا لب له فضلاً من ربكم عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس
من العرب يتأثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء
فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هولاء الداج وليسوا
بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمون فيها
في ايام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح
في ذلك وابيح لهم وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا
قال له انا قوم نكري في هذا الوجه وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سأل
رجل رسول الله صلى الله عليه عما سألت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به
فقال انتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في
الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وقرأ ابن عباس فضلا
من ربكم في مواسم الحج ان تبتغوا في ان تبتغوا افضتم دفعتم بكثرة وهو من
افاضة الماء وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك
في دفعوا من موضع كذا وصبوا في حديث ابي بكر رضي الله عنه صب في دقران
وهو يحرش بعيره بمحجنه وقال افاضوا في الحديث وافضوا فيه وعرفات
علم للموقف سمي بجمع كاذرعات فان قلت فلم صرفت وفيها
السببان التعريف والتانيث قلت لا يخلو التانيث اما ان يكون
بالتاء التي في لفظها واما بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها
ليست للتانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المونث ولا يصح
تقدير التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المونث مانعة من تقديرها
كما لا تقدر تاء التانيث في بنت لان التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها
بالمونث كتاء التانيث فابت تقديرها وقالوا سميت بذلك لانها وصفت
لابرهيم

ليس عليكم جناح ان تبتغوا

فاذا افضتم من عرفات

لابرهيم عليه السلام فلما ابصرها عرفها وقيل ان جبريل حين كان يدور به في المشاعر
اراه اياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وقيل لان الناس
يتعارفون فيها والله اعلم بحقيقة ذلك وهي من الاسماء المرتجلة لان العرفة لا
تعرف في اسماء الاجناس الا ان تكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب
الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده وعن النبي صلى الله عليه الحج
عرفة فمن ادرك العرفة فقد ادرك الحج فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتكبير
والثناء والدعوات وقيل بصلوة المغرب والعشاء والمشعر الحرام قزح وهو الجبل
الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من
مأزمي عرفة الى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام
والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبي صلى الله عليه سلم صلى الفجر يعني بالمزدلفة
بغلس ثم ركب [illegible] افلح
اشعر [illegible] بياشتم وذلك
للفضل [illegible] محسر او
جعلت [illegible] المشعر
والمشعر [illegible] عباس
رضي الله عنه [illegible]
لا ينامون [illegible]
فازدلف [illegible]
ان يقال [illegible]
كما هديكم [illegible]
حسنة او اذكروه [illegible]
قبل الذي لمن [illegible]
وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا ثم لتكن افاضتكم
من حيث افاض الناس ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس
من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن ان يساووهم

فاذكروا الله عند المشعر الحرام

الميقدة الموضع الذي توقد فيه النار للجاهلية

واذكروه كما هديكم

بسم الله

الحمد لله

وعواة متواتره وتحيات

بسم الحمد لله الذي

في الموقف وقولهم نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات فان قلت فكيف موقع ثم قلت نحو موقعها في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تأتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين امرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين وان احديهما صواب والثانية خطأ وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس هم الحمس اي من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات وقرئ من حيث افاض الناسي بكسر السين اي الناسي وهو آدم من قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي يعني ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم فاذا قضيتم مناسككم فاذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن ايامهم او اشد ذكرا في موضع جر عطف على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم او قوم اشد منهم ذكرا او في موضع نصب عطف على آباءكم بمعنى او اشد ذكرا من آبائكم على ان ذكرا من فعل المذكور فمن الناس معناه اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين ربنا آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا اي اعطاءنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي من طلب خلاق وهو النصيب او ما لهذا الداعي في الآخرة من نصيب لان همه مقصور على الدنيا والحسنتان ما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من الثواب وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء اولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا اي نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة او من اجلها

ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة او وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روي انه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروي في مقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة واذكروا الله في ايام معدودات ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف فمن تعجل فمن عجل في النفر او استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق لقوله ومن تأخر كما هي كذلك في قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل لاجل المتأني في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو الذي تسميه اهل مكة يوم الرؤوس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة وعند ابي حنيفة واصحابه ينفر قبل طلوع الفجر ومن تأخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز فان قلت كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل والتأخر جميعا قلت دلالة على ان التعجل والتأخر مخير فيهما كانه قيل فتعجلوا او تأخروا فان قلت اليس التأخر بافضل قلت بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما جميعا لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم

عن المتعجل والمتأخر لاجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب ان احدهما يرهق صاحبه آثاما في الاقدام عليه لان ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله ليعبأ بكم ويجوز ان يراد ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله ومن الناس من يعجبك قوله اي يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقي رسول الله الان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلولي ألسنتهم وقلوبهم امر من الصبر فان قلت بم يتعلق قوله في الحيوة الدنيا قلت بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لان ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما تراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول فكلامه اذن في الدنيا لا في الآخرة ويجوز ان يتعلق بيعجبك اي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف ابي ويستشهد الله وهو الد الخصام وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم والخصام المخاصمة واضافة الالد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او جعل الخصام الد على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو اشد الخصوم خصومة واذا تولى واذا تولى عنك وذهب بعد الانة القول واحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل واذا تولى واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى وقرأ الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو ابى يأبى وروي عنه ويهلك على البناء للمفعول اخذته العزة بالاثم من قولك اخذته بكذا

اذا حملته عليه والزمته اياه اي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الاثم الذي ينهى عنه والزمته ارتكابه وان لا يخلي عنه ضرارا ولجاجا او على رد قول الواعظ يشري نفسه يبيعها اي يبذلها في الجهاد وقيل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في صهيب بن سنان اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم انا شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه واتى المدينة والله رؤوف بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء السلم بكسر السين وفتحها وقرأ الاعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة اي استسلموا لله واطيعوه كافة لا يخرج احد منكم يده عن طاعته وقيل هو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم آمنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون كافة حالا من السلم لانها تؤنث كما تؤنث الحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع على ان المؤمنين امروا بان يدخلوا في الطاعات كلها وان لا يدخلوا في طاعة دون طاعة او في شعب الاسلام وشرائعه كلها وان لا يخلوا بشيء منها وعن عبد الله بن سلام انه استأذن رسول الله ان يقيم على السبت وان يقرأ من التوراة في صلوته من الليل وكافة من الكف كأنهم كفوا ان يخرج منهم احد باجتماعهم فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات اي الحجج والشواهد على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم الا بحق وروي ان قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه اعرابي فانكره ولم يقرأ القرآن وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه وقرأ ابو السماك زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ضللت وضللت هل ينظرون الا ان يأتيهم الله اتيان امره وبأسه كقوله او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا ويجوز ان يكون المأتي به محذوفا بمعنى ان يأتيهم الله ببأسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز في ظلل جمع ظلة وهي ما اظلك وقرئ ظلالا وهي جمع ظلة كقلة وقلال او جمع ظل وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة وبالجر عطفا على ظلل او على الغمام فان قلت لم يأتيهم العذاب في الغمام

قلت لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر افظع واهول لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثم اشتد على المتفكرين في كتاب الله قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقضي الامر واتم امر اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه وقضاء الامر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول بالتانيث والتذكير فيهما سل امر للرسول او لكل احد وهذا السؤال سؤال تقريع كما تسأل الكفرة يوم القيامة كم آتيناهم من آية بينة على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم او من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام ونعمة الله آياته وهي اجل نعمة من الله لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم او حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد عليه السلام فان قلت كم استفهامية ام خبرية قلت تحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها التقرير فان قلت ما معنى من بعد ما جاءته قلت معناه من بعد ما تمكن من معرفتها او عرفها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها او لم يعرفها فكانها غائبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها ويجوز ان يكون الله قد زينها لهم بان خذلهم حتى استحسنوها واحبوها او جعل امهال المزين تزيينا ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحيوة الدنيا على البناء للفاعل ويسخرون من الذين آمنوا كانوا يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم اي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة لانهم في عليين من السماء وهم في سجين من الارض او حالهم عالية لحالهم لانهم في كرامة الله وهم في هوان او هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما تطاولوا هؤلاء عليهم في الدنيا يرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين

يرزق

الذين آمنوا من الكفار يضحكون والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير يعني انه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجهم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان اولياؤه المؤمنين احق بها منكم فان قلت لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا قلت ليريك انه لا يسعد عنده الا المؤمن المتقي وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى اذا سمعوا ذلك كان الناس امة واحدة متفقين على دين الاسلام فبعث الله النبيين يريد فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله عز وعلا وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا وقيل كان الناس امة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول الوجه فان قلت متى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق قلت عن ابن عباس انه كان بين آدم ونوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة وانزل معهم الكتاب يريد الجنس او مع كل واحد منهم كتابه ليحكم الله او الكتاب او النبي المنزل عليه فيما اختلفوا فيه في الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه الا الذين اوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف اي ازدادوا في الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا في شدة الاختلاف واستحكامه بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم من الحق بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ ام حسبتم ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك متوقع منتظر مثل الذين خلوا مثل حالهم التي هي مثل في الشدة ومستهم بيان

للمثل وهو استئناف كان قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول الى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها متى نصر الله اي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفي هذه الغاية دليل على تناهي الامر في الشدة وتماديه في العظم لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لانفسهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب اراد القول يعني فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقول بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال لان ان علم له وبالرفع على انه في معنى الحال كقولك شربت الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه الا انها حال ماضية محكية فان قلت كيف طابق الجواب السؤال في قوله قل ما انفقتم وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون واجيبوا ببيان المصرف قلت قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع وعن ابن عباس رضي الله عنه انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكوة وعن الحسن هي في التطوع وهو كره لكم من الكراهة بدليل قوله وعسى ان تكرهوا شيئا ثم اما ان يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها فانما هي اقبال وادبار كانه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم وقرأ السلمي بالفتح على ان يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا شيئا جميع ما كلفوه فان النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه والله يعلم ما اصلح لكم وما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه

عبد الله بن جحش في سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله العير وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله الغنيمة والمعنى يسألك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرأ عكرمة قتل فيه قل قتل فيه كبير اي اثم كبير وعن عطاء انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل على انها منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدأ واكبر خبره يعني وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراج اهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن والفتنة الاخراج او الشرك والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز ان يعطف على الهاء في به ولا يزالون يقاتلونكم اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اي يقاتلونكم كي يردوكم وان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بانه لا يظفر به ومن يرتدد منكم ومن يرجع عن دينه الى دينهم ويطاوعهم على ردهم اليه فيمت على الردة فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة لما يفوتهم باحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام وباستدامتها والموت عليها من ثواب الآخرة وبها احتج الشافعي على ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت عليها وعند ابي حنيفة انها تحبطها وان رجع مسلما

إن الذين آمنوا والذين هاجروا روي أن عبد الله بن جحش وأصحابه حين قتلوا
الحضرمي ظن قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر فنزلت أولئك يرجون
رحمة الله عن قتادة هؤلاء خيار هذه الأمة ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون وإنه
من رجا طلب ومن خاف هرب نزلت في الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات
النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا وكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم إن
عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله أفتنا في الخمر فإنها مذهبة للعقل
مسلبة للمال فنزلت فيهما إثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها آخرون ثم
دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرأ قل يا أيها الكافرون
أعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا
عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن أبي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا
حتى أنشد سعد شعرا فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحي بعير فشجه موضحة
فشكا إلى رسول الله فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت إنما
الخمر والميسر إلى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه
لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في بحر
ثم جف ونبت فيه الكلأ لم أرعه وعن ابن عمر لو أدخلت أصبعي فيه لم تتبعني وهذا
هو الإيمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلا واشتد وقذف
بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فإن طبخ
حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون
السكر إذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند أبي حنيفة وعن بعض أصحابه لأن
أقول حراما ولا أقول حلالا احتياطا أي من أول قطرة هو حرام ولأن أخر من السماء فأتقطع
قطعا أحب إلي من أن أتناول منه قطرة وعند أكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك
كل ما أسكر من كل شراب وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت
سكرا لأنها تسكرهما أي تحجزهما وكأنها سميت بالمصدر من خمره خمرا إذا ستره
للمبالغة والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال
يسرته إذا قمرته واشتقاقه من اليسر لأنه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة من

بيان الخمر والميسر

من غير كد ولا تعب أو من اليسار لأنه سلب يساره وعن ابن عباس كان الرجل
في الجاهلية يخاطر على أهله وماله قال أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني
ما يفعل الياسرون بالمبسور فإن قلت كيف صفة الميسر قلت كانت
لهم عشرة أقداح وهي الأزلام والأقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس
والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور
ينحرونها ويجزئونها عشرة أجزاء وقيل ثمانية وعشرين إلا للثلاثة وهي المنيح والسفيح
والوغد ولبعضهم لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيح وأساميهن وغد وسفيح ومنيح
للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللمسبل
ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل
ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات
الأنصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ
شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء ولا يأكلون منها
ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكم الميسر أنواع القمار
من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه إياكم وهاتين الكعبتين
الموسومتين فإنهما من ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه أن النرد والشطرنج من الميسر
وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما
بدليل قوله فيهما إثم كبير وإثمهما وعقاب الإثم في تعاطيهما أكبر من نفعهما وهو
الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما إلى مصادقات الفتيان
ومعاشراتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم وأعطياتهم وسلب الأموال بالقمار
والافتخار على الأبرام وقرئ إثم كثير بالثاء وفي قراءة أبي وإثمهما أقرب ومعنى
الكثرة أن أصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة العفو
نقيض الجهد وهو أن ينفق ما لا يبلغ إنفاقه الجهد واستفراغ الوسع قال
خذي العفو مني تستديمي مودتي ويقال للأرض السهلة العفو وقرئ بالرفع
والنصب وعن النبي صلى الله عليه أن رجلا أتاه ببيضة من ذهب أصابها
في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فأعرض عنه رسول الله فأتاه

من الجانب الأيمن فقال مثله فأعرض عنه ثم أتاه من الجانب الأيسر فأعرض عنه فقال
هاتها مغضبا فأخذها فخذفه بها خذفا لو أصابه لشجه أو عقره ثم قال يجيء أحدكم بماله
كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس إنما الصدقة عن ظهر غنى في الدنيا والآخرة إما
أن يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو
أصلح لكم كما بينت لكم أن العفو أصلح لكم من الجهد في النفقة أو تتفكرون في الدارين
فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع ويجوز أن يكون إشارة إلى قوله وإثمهما أكبر من نفعهما
لتتفكروا في عقاب الإثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل
على النجاة من العقاب العظيم وإما أن يتعلق بيبين على معنى يبين لكم الآيات
في أمر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون لما نزلت إن الذين يأكلون أموال
اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام بأموالهم والاهتمام
بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج فقيل إصلاح لهم خير أي مداخلتهم
على وجه الإصلاح لهم ولأموالهم خير من مجانبتهم وإن تخالطوهم وتعاشروهم
ولم تجانبوهم فهم إخوانكم في الدين ومن حق الأخ أن يخالط أخاه وقد حملت
المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح أي لا يخفى على الله من داخلهم
بإفساد وإصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الإصلاح
ولو شاء الله لأعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة وأحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم
وقرأ طاوس قل إصلاح إليهم ومعناه إيصال الصلاح إليهم وقرئ لأعنتكم بطرح
الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وكذلك فلا إثم عليه إن الله عزيز غالب يقدر
على أن يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف إلا ما يتسع فيه طاقتهم ولا
تنكحوا وقرئ بضم التاء أي لا تزوجوهن أو لا تتزوجوهن والمشركات الحربيات
والآية ثابتة وقيل المشركات الحربيات والكتابيات جميعا لأن أهل الكتاب من
أهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
إلى قوله سبحانه عما يشركون وهي منسوخة بقوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب
من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء قط وهو قول ابن عباس
والأوزاعي وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي

إلى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق
فأتته وقالت ألا تخلو فقال ويحك إن الإسلام حال بيننا فقالت فهل لك أن تتزوج
بي قال نعم ولكن أرجع إلى رسول الله فأستأمره فاستأمره فنزلت ولأمة مؤمنة
حرة كانت أو مملوكة وكذلك ولعبد مؤمن لأن الناس كلهم عبيد الله وإماؤه ولو أعجبتكم
ولو كان الحال أن المشركة تعجبكم وتحبونها فإن المؤمنة خير منها مع ذلك أولئك إشارة
إلى المشركات والمشركين أي يدعون إلى الكفر فحقهم أن لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون
بينهم وبين المؤمنين إلا المناصبة والقتال والله يدعو إلى الجنة يعني وأولياء الله
وهم المؤمنون يدعون إلى الجنة والمغفرة وما يوصل إليهما فهم الذين تجب موالاتهم و
مصاهرتهم وأن يؤثروا على غيرهم بإذنه بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي تستحق
به الجنة والمغفرة وقرأ الحسن والمغفرة بإذنه بالرفع أي والمغفرة حاصلة بتيسيره
المحيض مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا قل هو أذى أي هو
شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء فاجتنبوا
يعني فاجتنبوا مجامعتهن روي أن أهل الجاهلية كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها
ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود
والمجوس فلما نزلت أخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فأخرجوهن من بيوتهم
فقال ناس من الأعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فإن آثرناهن
بالثياب هلك سائر أهل البيت وإن استأثرنا بها هلكت الحيض فقال عليه السلام
إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت
كفعل الأعاجم وقيل إن النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود
كانوا يعتزلونهن في كل شيء فأمر الله بالاقتصاد بين الأمرين وبين الفقهاء خلاف
في الاعتزال فأبو حنيفة وأبو يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الإزار
ومحمد بن الحسن لا يوجب إلا اعتزال الفرج وروى محمد حديث عائشة رضي
الله عنها أن عبد الله بن عمر سألها هل يباشر الرجل امرأته وهي حائض فقالت
تشد إزارها على سفلتها ثم ليباشرها إن شاء وما روى زيد بن أسلم أن رجلا
سأل النبي صلى الله عليه ما يحل لي من امرأتي وهي حائض قال تشد عليها إزارها

ثم تماسك باعلاها ثم قال وهذا قول ابي حنيفة رحمه الله وقد جاء ما هو ارخص من هذا
عن عائشة رضي الله عنها انها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك وقرئ
يطّهّرن بالتشديد اي يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن وقراءة عبد الله حتى يتطهرن
ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القراءتين
مما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة الى ان له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم
وان لم تغتسل وفي اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة وذهب
الشافعي الى انه لا يقربها حتى تطهر وتتطهر فتجمع بين الامرين وهو قول واضح ويعضده
قوله فاذا تطهرن من حيث امركم من المأتى الذي امركم الله به وحلله لكم وهو القبل
ان الله يحب التوابين مما عسى يبدر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك ويحب
المتطهرين المتنزهين عن الفواحش او ان الله يحب التوابين الذين يطهرون
انفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة
الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان ما ليس بمباح وغير ذلك حرث لكم مواضع حرث
لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها
النسل بالبذور وقوله فأتوا حرثكم انى شئتم تمثيل اي فأتوهن كما تأتون اراضيكم
التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن
من اي شق اردتم بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو اذى فاعتزلوا
النساء من حيث امركم الله فأتوا حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات
المستحسنة وهذه واشباهها في كلام الله آداب حسنة على المؤمنين ان يتعلموها
ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم وروي ان اليهود كانوا يقولون
من جامع امرأته وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود نزلت وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه
من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء
واتقوا الله فلا تجترئوا على المناهي واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به
وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات فان قلت
ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله قلت موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله

فأتوهن من حيث امركم الله يعني ان المأتى الذي امركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له
وتفسيرا وازالة للشبهة ودلالة على ان الغرض الاصيل في الاتيان هو طلب النسل
لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتى الذي يتعلق به هذا الغرض فان قلت ما بال
يسألونك جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا قلت كان سؤالهم عن تلك
الحوادث الاول وقع في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات
سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كأنه
قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا
وكذا العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من
عرض العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة
دون الخير والعرضة ايضا المعرض للامر قال فلا تجعلوني عرضة للوائم ومعنى الآية على
الاولى ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم او اصلاح ذات بين
او احسان الى احد او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة
البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف
عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت
على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك اي على شيء
مما يحلف عليه وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لايمانكم اي للامور المحلوف
عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس فان قلت بم تتعلق اللام في
لايمانكم قلت بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا ويجوز ان يتعلق
بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترض كذا
ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي ولا تجعلوا
الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا ومعناها على الاخرى ولا تجعلوا الله معرضا
لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من انزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين
باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا
وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا
ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطاتهم واصلاح ذات بينهم اللغو الساقط

يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم
يسألونك عن الشهر الحرام يسألونك
عن الخمر والميسر ويسألونك ماذا
ينفقون ويسألونك عن اليتامى
ويسألونك عن المحيض

ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم

الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من اولاد الابل لغو
واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند ابي حنيفة
واصحابه هو ان يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي
هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل
لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة
وفيه معنيان احدهما لا يؤاخذكم اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم
بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم اي اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين
وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم
اي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم
اي بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده والله غفور
حليم حيث لا يؤاخذكم باللغو في ايمانكم قرأ عبد الله آلوا من نسائهم وقرأ ابن
عباس يقسمون من نسائهم فان قلت كيف عدي بمن وهو معدى بعلى قلت
قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكأنه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين
او مقسمين ويجوز ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا
والايلاء من المرأة ان يقول والله لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون
اربعة اشهر الا ما يحكى عن ابراهيم النخعي وحكم ذلك انه اذا فاء اليها في المدة بالوطء
ان امكنه او بالقول ان عجز صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة
على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يصح الايلاء
الا في اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولي فاما ان يفيء واما ان يطلق وان ابى
طلق عليه الحاكم ومعنى قوله فان فاؤا فان فاؤا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله
فان فاؤا فيهن فان الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب
ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان يجوز ان يكون على رضى منهن اشفاقا
منهن على الولد من الغيل او لبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة
وان عزموا الطلاق فتربصوا الى مضي المدة فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم

اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك

وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعي معناه فان فاؤا وان عزموا بعد مضي المدة فان قلت
كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص قلت موقع صحيح لان قوله
فان فاؤا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب
المفصل كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم اقم
الا ريثما اتحول فان قلت ما تقول في قوله فان الله سميع عليم وعزمهم الطلاق مما
يعلم ولا يسمع قلت الغالب ان العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو
من مقاولة ودمدمة ولا بد له من ان يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث
لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان والمطلقات اراد المدخول بهن
من ذوات الاقراء فان قلت كيف جازت ارادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم
قلت بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في
احد ما يصلح له كالاسم المشترك فان قلت فما معنى الاخبار عنهن بالتربص
قلت هو خبر في معنى الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات واخراج
الامر في صورة الخبر تأكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى
امتثاله فكأنهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء
رحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر
عنها وبناؤه على المبتدأ مما زاده ايضا فضل تأكيد ولو قيل ويتربص المطلقات
لم يكن بتلك الوكادة فان قلت هلا قيل يتربصن ثلاثة قروء كما قيل
تربص اربعة اشهر وما معنى ذكر الانفس قلت في ذكر الانفس تهييج
لهن على التربص وزيادة بعث لان فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على ان
يتربصن وذلك ان انفس النساء طوامح الى الرجال فأمرن ان يقمعن انفسهن
ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص والقروء جمع قرء او قرء
وهو الحيض بدليل قوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة
تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن
من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر فأقام الاشهر مقام الحيض
دون الاطهار ولان الغرض الاصيل في العدة استبراء الرحم والحيض

هو الذي يستبرأ به الأرحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الأمة بالحيضة
ويقال أقرأت المرأة إذا حاضت وامرأة مقرئ وقال أبو عمرو بن العلاء دفع فلان
جاريته إلى فلانة تقرّئها أي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء فإن قلت فما تقول
في قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن والطلاق الشرعي إنما هو في الطهر قلت معناه
مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته لثلاث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلاث وعدتهن
الحيض الثلاث فإن قلت فما تقول في قول الأعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا
قلت أراد لما ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القرء عندهم في الاعتداد
بهن أي من مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء استطال مدة غيبته عن أهله
كل عام لاقتحامه في الحروب والغارات وأنه تمر على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة
لا يضاجعهن فيها أو أراد من أوقات نسائك فإن القرء والقارئ جاءا في معنى الوقت
ولم يرد لا حيضا ولا طهرا فإن قلت فعلام انتصب ثلاثة قروء قلت على
أنه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء أي يتربصن مضي ثلاثة قروء أو على أنه
ظرف أي يتربصن مدة ثلاثة قروء فإن قلت لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة
التي هي الأقراء قلت يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين
مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية ألا ترى إلى قوله بأنفسهن وما هي إلا نفوس كثيرة
ولعل القروء كانت أكثر استعمالا في جمع قرء من الأقراء فأوثر عليه تنزيلا للقليل
الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلاثة شسوع وقرأ الزهري ثلاثة قرو
بغير همز ما خلق الله في أرحامهن من الولد أو من دم الحيض وذلك إذا أرادت
المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع ولئلا يشفق على
الولد فيترك تسريحها أو كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا
للطلاق ويجوز أن يراد اللاتي يبغين إسقاط ما في بطونهن من الأجنة
فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في أرحامهن كناية عن إسقاطه
إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيم لفعلهن وأن من آمن بالله وبعقابه
لا يجترئ على مثله من العظائم والبعول جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع
كما في الحزونة والسهولة ويجوز أن يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة
يعني

يعني وأهل بعولتهن أحق بردهن برجعتهن وفي قراءة أبي بردتهن في ذلك
في مدة ذلك التربص فإن قلت كيف جعلوا أحق بالرجعة كأن للنساء حقا فيها
قلت المعنى أن الرجل إذا أراد الرجعة وأبتها المرأة وجب إيثار قوله
على قولها وكان هو أحق منها لا أن لها حقا في الرجعة إن أرادوا بالرجعة إصلاحا
لما بينهم وبينهن وإحسانا إليهن ولم يريدوا مضارتهن ولهن مثل الذي عليهن
ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب لهم عليهن بالمعروف بالوجه الذي
لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفونهن ما ليس لهن ولا يكلفونهم ما ليس
لهم ولا يعنف أحد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في
كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه إذا غسلت ثيابه أو خبزت له أن يفعل
نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال درجة زيادة في الحق وفضيلة قيل المرأة
تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وإنفاقه في مصالحها
الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم أي التطليق الشرعي تطليقة بعد
تطليقة على التفريق دون الجمع والإرسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية
ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين أي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين
ونحو ذلك من التثاني التي يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك
وهذاذيك وقوله فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان تخيير لهم بعد أن علمهم
كيف يطلقون بين أن يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين
أن يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لأنه
لا رجعة بعد الثلاث فإمساك بمعروف أي برجعة أو تسريح بإحسان أي بأن
لا يراجعها حتى تبين بالعدة أو بأن لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها
وضرارها وقيل بأن يطلقها الثالثة في الطهر الثالث وروي أن سائلا سأل رسول
الله صلى الله عليه أين الثالثة فقال عليه السلام أو تسريح بإحسان وعند أبي حنيفة
وأصحابه الجمع بين التطليقتين والثلاث بدعة والسنة أن لا يوقع عليها إلا واحدة
في طهر لم يجامعها فيه لما روي في حديث ابن عمر أن رسول الله عليه السلام قال له
إنما السنة أن تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة وعند الشافعي

لا بأس بإرسال الثلاث لحديث العجلاني الذي لاعن امرأته فطلقها ثلاثا بين يدي رسول
الله فلم ينكر عليه روي أن جميلة بنت عبد الله بن أبي كانت تحت ثابت بن قيس بن
شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فأتت رسول الله فقالت يا رسول الله لا أنا ولا ثابت
لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما أعيب عليه في دين ولا خلق ولكني أكره الكفر في
الإسلام ما أطيقه بغضا إني رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل في عدة فإذا هو أشدهم
سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها فنزلت وكان قد أصدقها حديقة فاختلعت منه بها
وهو أول خلع كان في الإسلام فإن قلت لمن الخطاب في قوله ولا يحل لكم أن
تأخذوا إن قلت للأزواج لم يطابقه قوله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله وإن قلت
للأئمة والحكام فهؤلاء ليسوا بآخذين منهن ولا بمؤتيهن قلت يجوز الأمران
جميعا أن يكون أول الخطاب للأزواج وآخره للأئمة والحكام ونحو ذلك غير عزيز
في القرآن وغيره وأن يكون الخطاب كله للأئمة والحكام لأنهم الذين يأمرون
بالأخذ والإيتاء عند الترافع إليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون مما آتيتموهن مما
أعطيتموهن من الصدقات إلا أن يخافا إلا أن يقيما حدود الله إلا أن يخاف
الزوجان ترك إقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث
من نشوز المرأة وسوء خلقها فلا جناح عليهما فلا جناح على الرجل فيما أخذ
ولا عليها فيما أعطت فيما افتدت به فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل
ما أوتيت من المهر والخلع بالزائد على المهر مكروه وهو جائز في الحكم وروي
أن امرأة نشزت على زوجها فرفعت إلى عمر رضي الله عنه فأباتها في بيت الزبل
ثلاث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده
أقر لعيني منهن فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعني بمالها كله هذا
إذا كان النشوز منها فإن كان منه كره له أن يأخذ منها شيئا وقرئ إلا أن يخافا على
البناء للمفعول وإبدال أن لا يقيما من ألف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف
زيد تركه إقامة حدود الله ونحوه وأسروا النجوى الذين ظلموا وتعضده قراءة
عبد الله إلا أن تخافوا وفي قراءة أبي إلا أن يظنا ويجوز أن يكون الخوف بمعنى
الظن يقولون أخاف أن يكون كذا وأفرق أن يكون يريدون أظن فإن طلقها
الطلاق

الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى
نصابه أو فإن طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك
التطليق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند إلى المرأة كما
يسند إلى الرجل كما التزوج ويقال فلانة ناكح في بني فلان وقد تعلق
من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذي عليه
الجمهور أنه لا بد من الإصابة لما روى عروة عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة
رفاعة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إن رفاعة طلقني فبت
طلاقي وإن عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وإنما معه مثل هدبة
الثوب فقال رسول الله عليه السلام أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة قالت نعم فقال
لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وروي أنها لبثت ما شاء الله ثم رجعت
فقالت إنه قد كان مسني فقال لها كذبت في قولك الأول فلن أصدقك في الآخر فلبثت
حتى قبض رسول الله فأتت أبا بكر رضي الله عنه فقالت أأرجع إلى زوجي الأول
فقال قد عهدت رسول الله حين قال لك ما قال فلا ترجعي إليه فلما قبض أبو بكر قالت
مثله لعمر فقال إن أتيتني بعد مرتك هذه لأرجمنك فمنعها فإن قلت
فما تقول في النكاح المعقود بشرط التحليل قلت ذهب سفيان
والأوزاعي وأبو عبيد ومالك وغيرهم إلى أنه غير جائز وهو جائز عند أبي حنيفة
مع الكراهة وعنه أنهما إن أضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن
النبي صلى الله عليه أنه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر رضي الله عنه لا أوتى
بمحلل ولا محلل له إلا رجمتهما وعن عثمان رضي الله عنه لا إلا نكاح رغبة
غير مدالسة فإن طلقها الزوج الثاني أن يتراجعا أن يرجع كل واحد منهما
إلى صاحبه بالزواج إن ظنا إن كان في ظنهما أنهما يقيمان حقوق الزوجية
ولم يقل إن علما أنهما يقيمان لأن اليقين مغيب عنهما لا يعلمه إلا الله ومن فسر
الظن هنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لأنك لا تقول علمت
أن يقوم زيد ولكن علمت أنه يقوم زيد ولأن الإنسان لا يعلم ما في الغد وإنما
يظن ظنا فبلغن أجلهن أي آخر عدتهن وشارفن منتهاها

والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به
اجل وكذلك الغاية والامد يقول النحويون من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية وقال
انتهى امده ويتسع في البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقال قد وصلت
ولم يصل وانما شارف ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه
غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها فامسكوهن بمعروف فاما ان يراجعها
من غير طلب ضرار بالمراجعة او سرحوهن بمعروف واما ان يخليها حتى تنقضي عدتها
وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن ضرارا كان الرجل يطلق المراة ويتركها حتى يقرب
انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا
لتعتدوا لتظلموهن وقيل لتلجئوهن الى الافتداء فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب
الله ولا تتخذوا آيات الله هزوا اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها
حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد في الامر انما انت
لاعب وهازئ ويقال كن يهوديا والا فلا تلعب بالتورية وقيل كان الرجل يطلق
ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ثلث جدهن جد
وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام وبنبوة
محمد عليه السلام وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها
بالشكر والقيام بحقها يعظكم به بما انزل عليكم فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن اما ان
يخاطب به الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية
الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الازواج والمعنى ان ينكحن ازواجهن
الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن واما ان يخاطب به الاولياء في عضلهن
ان يرجعن الى ازواجهن روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل
اخته ان ترجع الى الزوج الاول وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه
ان يكون خطابا للناس اي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون
كانوا في حكم العاضلين والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة
اذا نشب بيضها فلم يخرج وانشد لابن هرمة وان قصائدي لك فاصطنعني عقائل
قد عضلن عن النكاح وبلوغ الاجل على الحقيقة وعن الشافعي دل سياق الكلامين

على افتراق البلوغين اذا تراضوا اذا تراضى الخطاب والنساء بالمعروف بما
يحسن في الدين والمروءة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب ابي حنيفة انها
ان زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فللاولياء ان يعترضوا فان قلت لمن
الخطاب في قوله ذلك يوعظ به قلت يجوز ان يكون لرسول الله ولكل احد ونحوه
ذلكم خير لكم واطهر ازكى لكم واطهر من ادناس الآثام وقيل ازكى واطهر افضل واطيب
والله يعلم ما في ذلك من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمونه او والله يعلم ما تستصلحون به
من الاحكام والشرائع وانتم تجهلونه يرضعن مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر
المؤكد كاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة لانه مما يتسامح فيه فتقول اقمت
عند فلان حولين ولم تستكملهما وقرأ ابن عباس رضي الله عنه ان يكمل الرضاعة
وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وان تتم الرضاعة وان يتم الرضاعة
برفع الفعل تشبيها لان بما لتآخيهما في التأويل فان قلت كيف اتصل قوله لمن
اراد بما قبله قلت هو بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله تعالى هيت لك لك
بيان للمهيت به اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الرضاع وعن قتادة حولين كاملين
ثم انزل الله اليسر والتخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اراد انه يجوز النقصان
وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد ان لا يكون في الفطام ضرر وقيل
اللام متعلقة بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده اي يرضعن حولين
لمن اراد ان يتم الرضاعة من الآباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام
وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة الى ذلك ولا تجبر
عليه ولا يجوز استيجار الام عند ابي حنيفة ما دامت زوجة له او معتدة من نكاح
وعند الشافعي يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق فان قلت
فما بال الوالدات مامورات بان يرضعن اولادهن قلت اما ان يكون امرا
على وجه الندب واما على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم توجد له
ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستيجار وقيل اراد الوالدات المطلقات وايجاب
النفقة والكسوة لاجل الرضاع وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله
في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في غير المغضوب عليهم فان قلت لم

قيل المولود له دون الوالد قلت ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد للآباء
ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وانشد للمامون بن الرشيد فانما امهات الناس
اوعية مستودعات وللآباء ابناء فكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن
ولدهم كالاظآر الا ترى انه ذكره بلفظ الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا
يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسيره ما يعقبه
وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا
نكلف بالنون وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول
وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء او تضارر بفتحها وقراءة لا تضار بالفتح اكثر القراء
وقرأ الحسن بالكسر على النهي وهو محتمل للبنائين ايضا ويبين ذلك انه قرئ لا تضارر
ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الاولى وكسرها وقرأ ابو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد
على نية الوقف وعن الاعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره
ونوى الوقف كما نواه ابو جعفر او اختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وعن كاتب عمر بن
الخطاب لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب
منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط في شان الولد وان تقول له
بعدما الفها الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده
بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا ياخذه منها وهي تريد ارضاعه
ولا يكرهها على الارضاع وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق
بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد
ويجوز ان يكون تضار بمعنى تضر وان تكون الباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها
فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعدما الفها
ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد
فان قلت كيف قيل بولدها وبولده قلت لما نهيت المراة عن المضارة
اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق
عليه وكذلك الوالد وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن
وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى

وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له
لزم من يرثه ان يقوم مقامه في ان يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف
وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند ابن ابي
ليلى كل من ورثه وعند ابي حنيفة من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعي لا نفقة
فيما عدا الولاد وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وابن العم
وقيل المراد وارث الاب وهو الصبي نفسه وانه ان مات ابوه وورثه وجبت عليه
اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال وان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعها
وقيل على الوارث على الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث منا فان ارادا
فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما في ذلك زاد على الحولين
او نقص وهذه توسعة بعد التحديد وقيل هو في غاية الحولين لا يتجاوز وانما اعتبر
تراضيهما في الفصال وتشاورهما اما الاب فلا كلام فيه واما الام فلانها احق بالتربية
وهي اعلم بحال الصبي وقرئ فان اراد استرضع منقول من ارضع يقال ارضعت المراة
الصبي واسترضعها الصبي فتعديه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة واستنجحته
الحاجة والمعنى ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين للاستغناء
عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين
لم يكن احدهما عبارة عن الاول اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى
اذا قمتم الى الصلوة وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى
انه كان وعده ماتيا اي مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما آتاكم الله
واقدركم عليه من الاجرة ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط
للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى ويجوز ان يكون بعثا على ان يكون الشيء الذي
تعطاه المرضع من اهنأ ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا
لشأن الصبي واحتياطا في امره فامر بايتائه ناجزا يدا بيد كانه قيل اذا اديتم اليهن
يدا بيد ما اعطيتموهن بالمعروف متعلق بسلمتم امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة
مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن
تفريطهن بقطع معاذيرهن والذين يتوفون منكم على تقدير حذف المضاف اراد

والازواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اى يستوفون آجالهم وهي قراءة علي رضي الله عنه والذى يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله وكان احد الاسباب الباعثة لعلي رضي الله عنه على ان امره بان يضع كتابا في النحو تناقضه هذه القراءة. يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا يعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام وقيل عشرا ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما. فاذا بلغن اجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب بالمعروف بالوجه الذى لا ينكره الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر كان على الائمة ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم الجناح. فيما عرضتم به هو ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امراة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل علي ابو جعفر محمد بن علي وانا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقلت غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال او قد فعلت انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله وموضعي قد دخل رسول الله صلى الله عليه على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة. فان قلت اى فرق بين الكناية والتعريض قلت الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما

تريد. او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين. علم الله انكم ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم. فان قلت اين المستدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن سرا قلت هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذى هو الوطء لانه مما يسر قال الاعشى ولا تقربن من جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تابدا ثم عبر به عن النكاح الذى هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح. الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا. فان قلت بم يتعلق حرف الاستثناء قلت بلا تواعدوهن اى لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة او لا تواعدوهن الا بان تقولوا اى لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز ان يكون استثناء منقطعا من سرا لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول لها ان نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف. الا ان تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث وافحاش في الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا لى في السر على ان المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن لان مسارتهن في الغالب بما يستحيى من المجاهرة به وعن ابن عباس الا ان تقولوا قولا معروفا هو ان يتواعدها ان لا تتزوج غيره. ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح في العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لم يبيت الصيام. حتى يبلغ الكتاب اجله يعني ما كتب وفرض من العدة. يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه. غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة. لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة

غير المدخول بها ان سمي لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثمة. والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند ابي حنيفة الا ان يكون مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها. والموسع الذى له السعة والمقتر الضيق الحال. وقدره مقداره الذى يطيقه لان ما يطيقه هو الذى يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر والقدر لغتان وعن النبي صلى الله عليه انه قال لرجل من الانصار تزوج امراة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها امتعتها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك وعند اصحابنا رحمهم الله لا تجب المتعة الا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب. متاعا تاكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا. بالمعروف بالوجه الذى يحسن في الشرع والمروءة. حقا صفة لمتاعا اى متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا. على المحسنين على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه. الا ان يعفون يريد المطلقات. فان قلت اى فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون قلت الواو في الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني لا اثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب. ويعفو عطف على محله. والذى بيده عقدة النكاح الولي يعني الا ان تعفو المطلقات عن ازواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المراة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا او يعفو الولي الذى يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق اليها المهر كاملا وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله والاول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها او سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق

وقال انا احق بالعفو وعنه انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها فقال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل. والفضل التفضل اى ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ولا تستقصوا وقرا الحسن او يعفو الذى بسكون الواو واسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيه لهما بالالف لانهما اختاها وقرا ابو نهيك وان يعفو بالياء وقرئ ولا تنسوا الفضل بكسر الواو. والصلوة الوسطى اى الوسطى بين الصلوات او الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلوة العصر وعن النبي صلى الله عليه انه قال يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلوة التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها حتى امليها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه يقرؤها فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر وروي عن عائشة رضي الله عنها وابن عباس والصلوة الوسطى وصلوة العصر بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلوتين احديهما الصلوة الوسطى اما الظهر واما الفجر واما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن عمر هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكان رسول الله صلى الله عليه يصليها بالهاجرة ولم يكن صلوة اشد على اصحابه منها وعن مجاهد هي الفجر لانها بين صلوتي النهار وصلوتي الليل وعن قبيصة بن ذؤيب هي المغرب لانها وتر النهار ولا تنقص في السفر من ثلاث وقرا عبد الله وعلى الصلوة الوسطى وقرات عائشة والصلوة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرا نافع الوصطى بالصاد. وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين لله في قيامكم والقنوت ان تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلوة فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الايدي والبصر وروي انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلوة هاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصى او يحدث نفسه

لشيء من امور الدنيا فان خفتم فان كان بكم خوف من عدو او غيره فرجالاً فصلوا
راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام او رجل يقال رجل رجل اى راجل وقرئ فرجالاً
بضم الراء ورجّالاً بالتشديد ورجلاً وعند ابي حنيفة لا يصلون في حال المشي والمسايفة
ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي في كل حال والراكب يومي ويسقط عنه التوجه الى القبلة
فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلوة الامن
او فاذا امنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم
من الشرائع وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن وصية قرئ وصيةٌ
بالرفع ووصية الذين يتوفون او وحكم الذين يتوفون وصية لازواجهم او والذين
يتوفون اهل وصية لازواجهم وفيمن قرأ بالنصب والذين يتوفون يوصون
وصية كقولك انما انت سير البريد باضمار تسير او والزم الذين يتوفون وصية
ويدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان قوله
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول وقراءة ابي
متاع لازواجهم متاعا وروي عنه فمتاع لازواجهم ومتاعا نصب بالوصية الا اذا
اضمرت يوصون فانه نصب بالفعل وعلى قراءة ابي متاعا نصب بمتاع لانه في
معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد الشاكرين واعجبني ضرب لك زيدا ضربا شديدا
وغير اخراج مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج
اى غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل
ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اى ينفق عليهن من تركته ولا
يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة
اشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث
الذي هو الربع او الثمن واختلف في السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه لا سكنى لهن
فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب من معروف مما ليس بمنكر
شرعا فان قلت كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة قلت قد تكون
الآية متقدمة في التلاوة وهي متأخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء مع
قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء وللمطلقات متاع عم المطلقات بايجاب المتعة

لهن بعد ما اوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال حقا على المتقين
كما قال ثمة حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة
لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة
العدة الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من
شأنهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في
معنى التعجيب روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا
هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر
عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى
شدقه واصابعه تعجبا مما رأى فاوحي اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فنظر
اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل
دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم
وهم الوف فيه دليل على الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل
ثلاثون وقيل سبعون ومن بدع التفاسير الوف متآلفون جمع آلف كقاعد وقعود
فان قلت ما معنى قوله فقال لهم الله موتوا قلت معناه فاماتهم وانما
جيء به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله
ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير
اباء ولا توقف كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين
على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر
فاولى ان يكون في سبيل الله لذو فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به
ويستبصرون كما بصر اولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم او لذو فضل على الناس
حيث احيا اولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم البعث والدليل
على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في سبيل
الله واعلموا ان الله سميع يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما يضمرونه
وهو من وراء الجزاء اقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه والقرض
الحسن اما المجاهدة في نفسها واما النفقة في سبيل الله اضعافا كثيرة قيل الواحد

بسبعمائة وعن السدي كثيرة لا يعلم كنهها الا الله والله يقبض ويبسط يوسع على
عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة واليه ترجعون فيجازيكم
على ما قدمتم لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا انهض
للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وننتهي الى امره طلبوا من نبيهم
نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه من التأمير على الجيوش التي كان يجهزها وامرهم
بطاعته وامتثال اوامره وروي انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا احدهم اميرا عليهم
نقاتل قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع على انه حال اى ابعثه لنا مقدرين
القتال او استئناف كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء
والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا وخبر عسيتم ان لا تقاتلوا والشرط فاصل
بينهما والمعنى هل قاربتم ان لا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان
يقول عسيتم ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال فادخل هل مستفهما عما هو متوقع
عنده ومظنون وانه صائب في توقعه كقوله تعالى هل اتى على الانسان معناه
التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة وما لنا الا نقاتل واي داع لنا الى ترك
القتال واي غرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا وذلك ان قوم جالوت كانوا
يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين
الا قليلا منهم قيل كان القليل منهم ثلثمائة وثلثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم
بالظالمين وعيد لهم في ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد طالوت اسم اعجمي
كجالوت وداود وانما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته وزعموا انه من الطول لما وصف
به من البسطة في الجسم ووزنه ان كان من الطول فعلوت اصله طولوت الا ان امتناع
صرفه يدفع ان يكون منه الا ان يقال هو اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطا حنطة
وبشمالاها رحمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربيا وكان احد
سببيه العجمة لكونه عبرانيا انى كيف ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له
فان قلت ما الفرق بين الواوين في ونحن احق ولم يؤت قلت
الاولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا قد انتظمتهما معا في حكم
الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك

وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت في سبط لاوي بن
يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من احد السبطين ولانه كان رجلا
سقاء او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها
من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قال ان الله اصطفاه عليكم يريد ان الله هو الذي اختاره
عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا
من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه
لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل قد اوحي اليه ونبئ
وذلك ان الملك لا بد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل مزدرى غير منتفع به وان يكون
جسيما يملأ العين جهارة لانه اعظم في النفوس واهيب في القلوب والبسطة السعة
والامتداد وروي ان الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه يؤتي ملكه من يشاء اى
الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك والله واسع الفضل
والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر عليم بمن يصطفيه
للملك التابوت صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن
نفوس بني اسرائيل ولا يفرون والسكينة السكون والطمأنينة وقيل هي صورة كانت فيه
من زبرجد او ياقوت لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت
نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله
عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية هي رضاض الالواح وعصا
موسى وثيابه وشيء من التوراة وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله
وهم ينظرون اليه فكان ذلك آية لاصطفاء الله طالوت وقيل كان مع موسى ومع
انبياء بني اسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيرت بنو اسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان
في ارض جالوت فلما اراد الله ان يملك طالوت اصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن
فقالوا هذا بسبب التابوت بين اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة
الى طالوت وقيل كان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين
وقرأ ابي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الانصار فان قلت ما وزن
التابوت قلت لا يخلو من ان يكون فعلوتا او فاعولا فلا يكون فاعولا لقلته نحو سلس وقلق

ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف اليه فهو اذا فعلوت من التوب
وهو الرجوع لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه
يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته واما من قرأ بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل
هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما في الهمس وانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تاء
التأنيث وقرأ ابو السمال سكينة بفتح السين والتشديد وهو غريب وقرئ يحمله
بالياء فان قلت من آل موسى وآل هرون قلت الانبياء من بني يعقوب
بعدهما لان عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب فكان اولاد يعقوب آلهما ويجوز
ان يراد مما تركه موسى وهرون والآل مقحم لتفخيم شأنهما فصل عن موضع كذا اذا
انفصل عنه وجاوزه واصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول حتى صار في حكم غير
المتعدي كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز ان يكون فصله فصلا وفصل
فصولا كوقف وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده بالجنود روي انه قال لقومه لا يخرج
معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها
ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت
قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله لهم نهرا فقال ان الله مبتليكم بما اقترحتموه
من النهر فمن شرب منه فمن ابتدأ شربه من النهر بان كرع فيه فليس مني فليس بمتصل
بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كأنه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز ان يراد
فليس من جملتي واشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه مطعوما
لمطعم الشيء لمذاقه قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا الا ترى كيف عطف عليه
البرد وهو النوم ويقال ما ذقت غماضا ونحوه من الابتلاء ما ابتلي به اهل ايلة
من ترك الصيد مع اتيان الحيتان شرعا بل هو اشد منه واصعب وانما عرف ذلك
طالوت باخبار من النبي وان كان نبيا كما يروى عن بعضهم فبالوحي وقرئ بنهر
بالسكون فان قلت مم استثنى قوله الا من اغترف قلت من قوله
فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتأخرة الا انها قدمت للعناية
كما قدم والصابئون في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون ومعناه
الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله فشربوا منه اي فكرعوا

فيه الا قليلا منهم وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرأ ابي
والاعمش الا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب
جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كأنه قيل فلم
يطيعوه الا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق لم يدع من المال الا مسحت او مجلف كأنه
قال لم يبق من المال الا مسحت او مجلف وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلثمائة وثلاثة عشر
رجلا والذين آمنوا معه القليل قال الذين يظنون يعني الخلص منهم الذين نصبوا
بين اعينهم لقاء الله وايقنوه او الذين تيقنوا انهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله
والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة وقيل الضمير في قالوا لا طاقة
لنا للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كأنهم تقاولوا بذلك
والنهر بينهما يظهر اولئك عذرهم في الانخزال ويرد هؤلاء عليهم ما يعتذرون به وروي
ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم
العطش وجالوت جبار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته
فيها ثلثمائة رطل وثبت اقدامنا وهب لنا ما تثبت به في مداحض الحرب من قوة
القلوب والقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب كان ايشى ابو داود
في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم
فاوحى الى اشمويل ان داود بن ايشى هو الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه
فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة احجار دعاه كل واحد منها ان احمله وقالت انك تقتل
بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته
وروي انه حسده واراد قتله ثم تاب وآتاه الله الملك في مشارق الارض
المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة
والنبوة وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك
ولولا دفع الله الناس ولولا ان الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم
لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها
من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض وقيل ولولا ان الله ينصر المسلمين
على الكفار لفسدت الارض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين

ولولا بين تركهم بهم لتم الكفر ونزلت السخطة واستؤصل اهل الارض تلك آيات الله
يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت
واظهاره بالآية التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي بالحق
باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين
حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار تلك الرسل
اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة او التي ثبت علمها عند
رسول الله فضلنا بعضهم على بعض لما اوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات
منهم من كلم الله منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام
وقرئ كلم الله بالنصب وقرأ اليماني كالم الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم
الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان
بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر انه اراد محمدا عليه السلام
لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يؤته احد من الآيات المتكاثرة المرتقية
الى الف او اكثر ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما اوتي
الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الابهام
من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي
لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس يقال للرجل من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم
يريد به الذي تعورف واشتهر بنحوه من الافعال فيكون افخم من التصريح به وانوه
بصاحبه وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو
شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم امره
ويجوز ان يريد ابراهيم ومحمدا وغيرهما من اولي العزم من الرسل وعن ابن
عباس كنا في المسجد نتذاكر فضل الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وابراهيم
بخلته وموسى بتكليم الله اياه وعيسى برفعه الى السماء وقلنا رسول الله افضل
منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الانبياء
فدخل فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا
فذكر انه لم يعمل سيئة ولم يهم بها فان قلت فلم خص موسى وعيسى
قطع

من بين الانبياء بالذكر قلت لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة
ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات فلما كان
هذان النبيان قد اوتيا ما اوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل
وهذا دليل بين ان من زيد تفضيلا بالآيات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا
صلى الله عليه وسلم هو الذي اوتي منها ما لم يؤت احد في كثرتها وعظمها كان هو المشهود
له باحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين ولو شاء الله
مشيئة الجاء وقسر ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم
وتكفير بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء ومنهم من
كفر لاعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتأكيد ولكن الله يفعل ما يريد من
الخذلان والعصمة انفقوا مما رزقناكم اراد الانفاق الواجب لاتصال الوعيد به
من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه
حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم اخلاؤكم به وان اردتم ان يحط عنكم
ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات لان الشفاعة
ثمة في زيادة الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون اراد والتاركون الزكوة
هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما قال في آخر آية الحج ومن كفر مكان
ومن لم يحج ولانه جعل ترك الزكوة من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين
الذين لا يؤتون الزكوة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع الحي الباقي
الذي لا سبيل عليه للفناء وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح ان يعلم ويقدر
والقيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم والسنة
ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملي وسنان
اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم اي لا يأخذه نعاس ولا نوم
وهو تأكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما ومنه حديث
موسى عليه السلام انه سأل الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية اينام ربنا
فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ثلثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوءتين
فاخذهما والقى الله عليه النعاس فضرب احديهما على الاخرى فانكسرتا

آية اعظم منها وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل ما في القرآن فقال لهم علي اين انتم عن آية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي قلت لما فضلت له سورة الاخلاص لاشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان افضل من سائر الاذكار وبهذا تعلم ان اشرف العلوم واعلاها منزلة عند الله علم اهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة اعدائه فان العرانين تلقاها محسدة لا اكراه في الدين اي لم يجر الله امر الايمان على الاجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي لو شاء لقسرهم على الايمان ولكنه لم يفعل وبنى الامر على الاختيار قد تبين الرشد من الغي قد تميز الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة فمن يكفر بالطاغوت فمن اختار الكفر بالشيطان او الاصنام والايمان بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق المحكم المامون انفصامها اي انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو في اهل الكتاب خاصة لانهم حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله فقال الانصاري يا رسول الله

ثم اوحى اليه قل لهولاء اني امسك السموات والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا من ذا الذي يشفع عنده بيان لملكوته وكبريائه وان احدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيامة الا اذا اذن له في الكلام كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء من علمه من معلوماته الا بما شاء الا بما علم الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفي قوله وسع كرسيه اربعة اوجه احدها ان كرسيه لم يضق عن السموات والارض لبسطته وسعته وما هو الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمه ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين وانما هو تخييل لعظمة شانه وتمثيل حسي الا ترى الى قوله وما قدروا الله حق قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي انه خلق كرسيا هو بين يدي العرش دونه السموات والارض وهو الى العرش كاصغر شيء وعن الحسن الكرسي هو العرش ولا يؤوده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض وهو العلي الشان العظيم الملك والقدرة فان قلت كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف قلت ما منها جملة الا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شانه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم قدره فان قلت لم فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله عليه السلام ما قرئت هذه الآية في دار الا اهتجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت آية

عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيي والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل هي التي خرج منها الالوف وهي خاوية على عروشها تفسيره فيما بعد يوما او بعض يوم بناء على الظن روي انه مات ضحى وبعث بعد المائة سنة قبل النظر الى الشمس فقال يوما ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال او بعض يوم وروي ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنه لم يتغير والهاء اصلية او هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء او واو وذلك ان الشيء يتغير بمرور الزمان وقيل اصله يتسنن من الحمأ المسنون فقلبت نونه حرف علة كتقضي البازي ويجوز ان يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كانه لم يلبث مائة سنة وفي قراءة عبد الله فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن وقرأ ابي لم يسنه بادغام التاء في السين وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه ويجوز ان يراد وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الآيات ان يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل اتى قومه راكب حماره وقال انا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فاخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرأ التوراة ظاهرا احد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى اولاده شيوخا وهو شاب فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام هي عظام الحمار او عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها وقرأ الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم فنشروا وقرئ بالزاي بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما اشكل عليه يعني امر احياء الموتى وقرأ ابن عباس فلما تبين له على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ الامر وقرأ عبد الله قيل اعلم فان قلت فان كان المار كافرا كيف يسوغ ان يكلمه الله قلت

ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما الله ولي الذين آمنوا اي ارادوا ان يؤمنوا يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتأييده من الكفر الى الايمان والذين كفروا اي صمموا على الكفر امرهم على عكس ذلك او الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين والذين كفروا اولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات التي تظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة الم تر تعجيب من محاجة نمروذ في الله وكفره به ان آتاه الله الملك متعلق بحاج على وجهين احدهما حاج لان آتاه الله الملك على معنى ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر والعتو فحاج لذلك او على انه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على ان آتاه الملك فكان المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والثاني حاج وقت ان آتاه الله الملك فان قلت كيف جاز ان يؤتي الله الملك الكافر قلت فيه قولان آتاه ما غلب عليه وتسلط من المال والخدم والاتباع واما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده واذ قال نصب بحاج او بدل من ان آتاه الله اذا جعل بمعنى الوقت انا احيي واميت يريد اعفي عن القتل واقتل وكان الاعتراض عتيدا ولكن ابراهيم عليه السلام لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته اول شيء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة وقرئ فبهت الذي كفر اي فغلبه ابراهيم الكافر وقرأ ابو حيوة فبهت بوزن قرب وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر الاصنام وسجنه نمروذ ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت او كالذي معناه او ارايت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب ويجوز ان يحمل على المعنى دون اللفظ كانه قيل ارايت كالذي حاج ابراهيم او كالذي مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمروذ في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي انى يحيي وقيل هو عزير او الخضر اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم وقوله انى يحيي اعتراف بالعجز

كان الكلام بعد البعث ولم يكن اخذ اكا فرا ادبى اعترف فان قلت كيف قال له اولم تؤمن وقد علم انه اثبت الناس ايمانا قلت ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفي معناه بلى آمنت ولكن ليطمئن قلبي ليزيد سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة واليقين ولان علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري فاراد بطمأنينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك فان قلت بم تعلقت اللام في ليطمئن قلت بمحذوف تقديره ولكن سالت ذلك ارادة طمأنينة القلب فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها بمعنى فاملهن واضممهن اليك قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرا ابن عباس فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه نحو ضره يضره ويضره وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا يريد ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي ارضك قيل كانت اربعة اجبل وعن السدي سبعة ثم ادعهن وقل لهن تعالين باذن الله ياتينك سعيا ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن على ارجلهن فان قلت ما معنى ضمهن الى نفسه بعد ان ياخذها قلت ليتاملها ويعرف اشكالها وهيآتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك ولذلك قال ياتينك سعيا وروي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها ويمسك رؤوسها ثم امر ان يجعل اجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤوسهن كل جثة الى راسها وقرئ جزؤا بضمتين وجزا بالتشديد ووجهه انه حذف الهمزة ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف مثل الذين ينفقون لا بد من حذف مضاف اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة

والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها ماثلة بين عيني الناظر فان قلت كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود قلت بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الاراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير فان قلت هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع سنبلات خضر قلت هذا لما قدمت عند قوله ثلاثة قروء من وقوع امثلة الجمع متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن يشاء اي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم وان امرا اسدى الي صنيعة وذكرنيها مرة للئيم وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن وفيها طعم الآلاء احلى من المن وهي امر من الآلاء مع المن والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما ازل اليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا فان قلت اي فرق بين قوله لهم اجرهم وقوله فيما بعد فلهم اجرهم قلت الموصول لم يضمن ههنا معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة المعنى ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول او نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او عفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره خير من صدقة يتبعها اذى وصح الاخبار عن المبتدا النكرة لاختصاصه بالصفة والله غني لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذي حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له

ثم بالغ في ذلك بما اتبعه كالذي ينفق ماله اي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضا الله ولا ثواب الآخرة فمثله كمثل صفوان مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر املس عليه تراب وقرا سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق لا يقدرون على شيء مما كسبوا كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان تكون الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق فان قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق قلت اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي ينفق ولان من والذي يتعاقبان فكانه قيل كمن ينفق وتثبيتا من انفسهم وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله اشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس اذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن على التفسير الاول للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء الغاية كقوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة مجاهد وتبيينا من انفسهم فان قلت فما معنى التبعيض قلت معناه ان من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة وهي البستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها ضعفين مثلي ما كانت

تثمر بسبب الوابل فان لم يصبها وابل فطل فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة وبربوة بالحركات الثلث واكلها بضمتين ايود الهمزة فيه للانكار وقرئ له جنات وذرية ضعاف والاعصار الريح التي تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من ابهى الجنان واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر رضي الله عنه انه سال عنها الصحابة فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين قال قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك قال ضرب مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان احدكم والله افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا فان قلت كيف قال جنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات قلت النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل فان قلت علام عطف قوله واصابه الكبر قلت الواو للحال لا للعطف ومعناه ان يكون له جنة وقد اصابه الكبر وقيل يقال وددت ان يكون كذا ووددت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر من شباب

ما كسبتم من جياد مكسوباتكم ومما أخرجنا لكم من الحب والثمر والمعادن وغيرها
فإن قلت فهلا قيل وما أخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل
الطيب على المكسوب والمخرج من الأرض قلت معناه ومن طيبات ما
أخرجنا لكم إلا أنه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا المال الردي
منه تنفقون تخصونه بالإنفاق وهو في محل الحال وقرأ عبد الله ولا تأمموا
وقرأ ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء ويممه وتيممه وتأممه سواء في معنى قصده
ولستم بآخذيه وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم إلا أن تغمضوا فيه إلا بأن تتسامحوا
في أخذه وتترخصوا فيه من قولك أغمض فلان عن بعض حقه إذا غض بصره
ويقال للبائع أغمض أي لا تستقص كأنك لا تبصر وقال الطرماح لم يفتنا بالوتر
قوم وللضيم رجال يرضون بالإغماض وقرأ الزهري تغمّضوا وأغمض وغمّض
بمعنى وعنه تغمُضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمُض ويغمِض وقرأ قتادة
تُغمَضوا على البناء للمفعول بمعنى إلا أن تدخلوا فيه وتجذبوا إليه وقيل إلا أن
توجدوا مغمضين وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم
لكم من ثمنه وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه أي
يعدكم في الإنفاق الفقر ويقول لكم إن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا وقرئ الفُقر
بالضم والفَقَر بفتحتين والوعد يستعمل في الخير والشر قال الله تعالى
النار وعدها الذين كفروا ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع
الصدقات إغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم
في الإنفاق مغفرة لذنوبكم وكفارة لها وفضلا وأن يخلف عليكم أفضل مما
أنفقتم أو وثوابا عليه في الآخرة يؤتي الحكمة يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله
هو العالم العامل وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وهكذا
قرأ الأعمش خيرا كثيرا تنكير تعظيم كأنه قال فقد أوتي أي خير كثير وما يذكر
إلا أولوا الألباب يريد الحكماء العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما
تضمنت الآي في معنى الإنفاق وما أنفقتم من نفقة في سبيل الله أو في
سبيل الشيطان أو نذرتم من نذر في طاعة الله أو في معصيته فإن الله يعلمه

يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون
أموالهم في المعاصي أو لا يفون بالنذور أو ينذرون في المعاصي من أنصار ممن ينصرهم
من الله ويمنعهم من عقابه فنعما هي ما في نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما هي
فنعم شيئا إبداؤها وقرئ بكسر النون وفتحها وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء وتصيبوا
بها مصارفها مع الإخفاء فهو خير لكم فالإخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع
بها فإن الأفضل في الفرائض أن يجاهر بها وعن ابن عباس رضي الله عنه
صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة
علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وإنما كانت المجاهرة بالفرائض
أفضل لنفي التهمة حتى إذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل
والمتطوع إن أراد أن يقتدى به كان إظهاره أفضل ونكفر قرئ بالنون مرفوعا
عطفا على محل ما بعد الفاء أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ونحن نكفر
أو على أنه جملة من فعل وفاعل مبتدأة ومجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده
لأنه جواب الشرط وقرئ ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله أو للإخفاء وتكفر بالتاء
مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات وقرأ الحسن بالياء والنصب بإضمار أن ومعناه
إن تخفوها يكن خيرا لكم وأن يكفر عنكم ليس عليك هداهم لا يجب عليك أن تجعلهم
مهديين إلى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والأذى والإنفاق من الخبيث وغير
ذلك وما عليك إلا أن تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء يلطف
بمن يعلم أن اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه وما تنفقوا من خير من مال
فلأنفسكم فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم
بالتطاول عليهم وما تنفقون وليست نفقتكم إلا ابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده
فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله إلى الله وما تنفقوا من
خير يوف إليكم ثوابه أضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن إنفاقه
وأن يكون على أحسن الوجوه وأجملها وقيل حجت أسماء بنت أبي بكر فأتتها
أمها تسألها وهي مشركة فأبت أن تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير كانوا
يتقون أن يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي أن ناسا من المسلمين

كانت لهم أصهار في اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الإسلام فلما
أسلموا كرهوا أن ينفعوهم وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك
والخلاف في الواجب فجوز أبو حنيفة رحمه الله صرف صدقة الفطر إلى أهل الذمة وأباه
غيره للفقراء متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا للفقراء أو اجعلوا ما تنفقون للفقراء
كقوله في تسع آيات ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي صدقاتكم للفقراء الذين
أحصروا في سبيل الله هم الذين أحصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به
ضربا في الأرض للكسب وقيل هم أصحاب الصفة وهم نحو من أربعمائة رجل
من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة
المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا
يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله فمن كان عنده فضل أتاهم به إذا
أمسى وعن ابن عباس وقف رسول الله يوما على أصحاب الصفة فرأى فقرهم
وجهدهم وطيب قلوبهم فقال أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقي من أمتي على
النعت الذي أنتم عليه راضيا بما فيه فإنه من رفقائي يحسبهم الجاهل بحالهم
أغنياء من التعفف مستغنين من أجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم من
صفرة الوجوه ورثاثة الحال والإلحاف الإلحاح وهو اللزوم وأن لا يفارق إلا بشيء
يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه أي أعطاني من فضل ما عنده وعن النبي
صلى الله عليه إن الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السآل
الملحف ومعناه أنهم إن سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال
والإلحاف جميعا كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء
به بالليل والنهار سرا وعلانية يعمون الأوقات والأحوال بالصدقة لحرصهم
على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا
بوقت ولا حال وقيل نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حين تصدق بأربعين
ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في
العلانية وعن ابن عباس نزلت في علي رضي الله عنه لم يملك إلا أربعة دراهم
فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت

في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن أبي هريرة كان إذا مر بفرس سمين قرأ
هذه الآية الربوا كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الألف
بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون إذا بعثوا من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه
الشيطان أي المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون أن الشيطان
يخبط الإنسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء فورد
على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا أيضا من زعماتهم
وأن الجني يمسه فيختلط عقله وكذلك جن الرجل ضربته الجن ورأيتهم لهم
في الجن قصص وأخبار وعجائب وإنكار ذلك عندهم كإنكار المشاهدات
فإن قلت بم يتعلق قوله من المس قلت بلا يقومون أي لا يقومون
من المس الذي بهم إلا كما يقوم المصروع ويجوز أن يتعلق بيقوم أي كما يقوم المصروع
من جنونه والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم
يعرفون بها عند أهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الأجداث يوفضون
إلا أكلة الربوا فإنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لأنهم أكلوا الربوا فأرباه
الله في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الإيفاض ذلك العقاب بسبب قولهم
إنما البيع مثل الربوا فإن قلت هلا قيل إنما الربوا مثل البيع لأن الكلام في
الربوا لا في البيع فوجب أن يقال إنهم شبهوا الربوا بالبيع فاستحلوه وكانت
شبهتهم أنهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي إلا درهما بدرهمين جاز فكذلك
إذا باع درهما بدرهمين قلت جيء به على طريق المبالغة وهو أنه
قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا أنهم جعلوه أصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا
به البيع وقوله وأحل الله البيع وحرم الربوا إنكار لتسويتهم بينهما ودلالة على
أن القياس يهدمه النص لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال الله
وتحريمه فمن جاءه موعظة فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى
فتبع النهي وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لأنه أخذ قبل نزول التحريم
وأمره إلى الله يحكم في شأنه يوم القيامة وليس من أمره إليكم شيء فلا تطالبوه
به ومن عاد إلى الربوا فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وهذا دليل بين

على تغليب النساء وذكر فعل الموعظة لان تأنيثها غير حقيقي ولانها في معنى الوعظ
وقرأ ابي والحسن فمن جاءته. يمحق الله الربوا يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل
فيه وعن ابن مسعود الربوا وان كثر الى قل. ويربي الصدقات ما يتصدق به بان
يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث
ما نقصت زكوة من مال قط. كل كفار اثيم تغليظ في امر الربوا وايذان بانه من فعل الكفار
لا من فعل المسلمين. اتقوا ما شرطوا على الناس من الربوا وبقيت لهم بقايا فامروا
ان يتركوها ولا يطالبوا بها روي انها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش
مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا وقرأ الحسن ما بقي بقلب الياء الفا على لغة
طي وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمة ما في حكمه
جنف. ان كنتم مؤمنين ان صح ايمانكم يعني ان دليل صحة الايمان وثباته امتثال ما
امرتم به من ذلك. فأذنوا بحرب فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرئ فآذنوا
فاعلموا بها غيركم وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرأ الحسن فأيقنوا
وهو دليل لقراءة العامة. فان قلت هلا قيل بحرب الله ورسوله. قلت
كان هذا ابلغ لان المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروي انها لما نزلت قالت
ثقيف لا يد لنا بحرب الله ورسوله. وان تبتم من الارتباء فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون
المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها. فان قلت هذا حكمهم
ان تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا. قلت قالوا يكون مالهم فيئا للمسلمين وروى المفضل
عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون. وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة
اي ذو اعسار وقرأ عثمان رضي الله عنه ذا عسرة على وان كان الغريم ذا عسرة
وقرئ ومن كان ذا عسرة. فنظرة فالحكم او فالامر نظرة وهي الانظار وقرئ
فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره اي منتظره
او صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب وباقل بمعنى ذو عشب
وذو بقل وعنه فناظره على الامر بمعنى فسامحه بالنظرة وباسره بها. الى ميسرة الى يسار
وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف
التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وقوله تعالى واقام الصلوة

يتنوا

طرق
بالنظرة م

وان تصدقوا خير لكم ندبت الى ان يتصدقوا برؤس اموالهم على من اعسر من غرمائهم
او ببعضها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل اريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام
لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة. ان كنتم تعلمون انه خير لكم
فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد على
حذف التاء. ترجعون قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون بالياء على طريقة
الالتفات وقرأ عبد الله تردون وقرأ ابي تصيرون وعن ابن عباس انها آخر
آية نزل بها جبريل وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله
بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات.
اذا تداينتم اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او
آخذا كما تقول بايعته اذا بعته او باعك قال رؤبة داينت اروى والديون تقضى فمطلت
بعضا وادت بعضا والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه. فان قلت هلا قيل
اذا تداينتم الى اجل مسمى واي حاجة الى ذكر الدين كما قال داينت اروى ولم يقل
بدين. قلت ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان
يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل
وحال. فان قلت ما فائدة قوله مسمى. قلت ليعلم ان من حق الاجل ان يكون
معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام ولو قال الى الحصاد او الدياس او رجوع
الحاج لم يجز لعدم التسمية وانما امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق وآمن من النسيان
وابعد من الجحود والامر للندب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم
الله الربوا اباح السلف وعنه اشهد ان الله اباح السلم المضمون الى اجل معلوم في
كتابه وانزل فيه اطول آية. بالعدل متعلق بكاتب صفة له اي كاتب مأمون على ما يكتب
يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه ان يكون
الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير
الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا. ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى
تنكير كاتب. ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير. وقيل
هو كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك اي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها

وعن الشعبي هي فرض كفاية. وكما علمه الله يجوز ان يتعلق بان يكتب وبقوله فليكتب
فان قلت اي فرق بين الوجهين. قلت ان علقته بان يكتب
فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب يعني فليكتب تلك الكتابة
لا يعدل عنها للتوكيد وان علقته بقوله فليكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة
على سبيل الاطلاق ثم امر بها مقيدة. وليملل الذي عليه الحق ولا يكن المملي الا
من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته في ذمته واقراره به والاملال والاملاء
لغتان قد نطق بهما القرآن فهي تملى عليه. ولا يبخس منه من الحق شيئا والبخس النقص
وقرئ شيا بطرح الهمزة وشيا بالتشديد. سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف
او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا. او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه
لعي به او خرس. فليملل وليه الذي يلي امره من وصي ان كان سفيها او صبيا او
وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وقوله ان يمل هو فيه
انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه. واستشهدوا واشهدوا
واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان على الدين. من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية
والبلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن علي رضي الله عنه لا يجوز شهادة
العبد في شيء وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتي انها جائزة ويجوز عند
ابي حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل. فان لم يكونا
فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان وشهادة
النساء مع الرجال مقبولة عند ابي حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص. ممن ترضون
ممن تعرفون عدالتهم. ان تضل احديهما ان لا تهتدي احديهما للشهادة بان تنساها
من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه على انه مفعول له اي ارادة ان تضل
فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله. قلت لما كان الضلال
سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب
منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة
للاذكار فكأنه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم
اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه

لو انتصاب محلا ان تضل

وقرئ فتذكر بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وفتذاكر وقرأ حمزة ان تضل
احديهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ
ان تضل احديهما على البناء للمفعول والتأنيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل
احديهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر. اذا ما دعوا ليقيموا
الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة
الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم
احد فنزلت. ولا تسأموا كني بالسأم عن الكسل لان الكسل صفة المنافق ومنه الحديث
لا يقول المؤمن كسلت ويجوز ان يراد من كثرت مداينته فاحتاج ان يكتب
لكل دين صغير او كبير كتابا فربما مل كثرة الكتب والضمير في تكتبوه للدين او الحق
صغيرا او كبيرا على اي حال كان الحق من صغر او كبر ويجوز ان يكون الضمير
للكتاب وان تكتبوه مختصرا او مشبعا ولا تخلوا بكتابته. الى اجله الى وقته الذي
اتفق الغريمان على تسميته. ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر اي
ذلكم الكتب اقسط اعدل من القسط واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة
وادنى ان لا ترتابوا واقرب من انتفاء الريب. فان قلت مم بني افعلا
التفضيل اعني اقسط واقوم. قلت يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا
مبنيين من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى
ذي قسط واقوم من قويم وقرئ ولا يسأموا ان يكتبوه بالياء فيهما. فان قلت
ما معنى تجارة حاضرة وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى
ادارتها بينهم. قلت اريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها
بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس
ان لا تكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع
على كان التامة وقيل هي الناقصة على ان الاسم تجارة حاضرة والخبر
تديرونها وبالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني اسد
هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما
واشهدوا اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا او كالئا لانه

الحواء مجتمع بيوت العرب

والبعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع
يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن ان شاء
اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار
يحتمل البناء للفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر رضي الله عنه ولا يضارر بالاظهار
والكسر وقراءة ابن عباس ولا يضارر بالاظهار والفتح والمعنى نهي الكاتب والشهيد
عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان او النهي
عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يحمل
الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وقراءة الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا وان تضاروا
فانه فان الضرار فسوق بكم وقيل وان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه على سفر مسافرين
وقرأ ابن عباس وابي كتابا وقال ابن عباس ارايت ان وجدت الكاتب ولم تجد
الصحيفة والدواة وقرأ ابو العالية كتبا وقرأ الحسن كتابا جمع كاتب فرهن
فالذي يستوثق به رهن وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن
كسقف وسقف وفرهان فان قلت لم شرط السفر في الارتهان
ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله درعه في غير سفر قلت
ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز
الكتب والاشهاد امر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر
بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد وعن مجاهد والضحاك
انهما لم يجوزاه الا في حال السفر اخذا بظاهر الاية واما القبض فلا بد من
اعتباره وعند مالك يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض فان امن
بعضكم بعضا فان امن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به
وقرأ ابي فان اومن اي آمنه الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء
والاستغناء عن الارتهان من مثله فليؤد الذي اؤتمن امانته حث للمديون
على ان يكون عند ظن الدائن به وامنه منه وائتمانه له وان يؤدي اليه
الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمي الدين امانة وهو مضمون لائتمانه
عليه بترك الارتهان منه والقراءة ان تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال او بياء فتقول

الذيتمن او الذي تمن وعن عاصم انه قرأ الذتمن بادغام الياء في التاء
قياسا على اتسر في الافتعال من اليسر وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة
فهي في حكم الهمزة واتزر عامي وكذلك ريا في رؤيا آثم خبر ان وقلبه
رفع بآثم على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتداء
وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان فان قلت هلا اقتصر على قوله فانه
آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده قلت
كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان آثما مقترفا بالقلب اسند اليه
لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد
هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي ولان القلب رئيس
الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد
كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان فيه ولئلا يظن
ان كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه
ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر
الجوارح وهي لها كالاصول التي تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات
الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب
فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنه اكبر الكبائر
الاشراك بالله لقوله فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة
وقرئ قلبه بالفتح كقوله سفه نفسه وقرأ ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله آثما
وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه من السوء يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء
لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه او اضمر ويعذب من يشاء ممن استوجب
العقوبة بالاصرار ولا يدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس وحديث النفس
لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله
بن عمر رضي الله عنه انه تلاها فقال لئن آخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع
نشيجه فذكر لابن عباس رضي الله عنه فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد وجد
المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين

عطفا على جواب الشرط ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب فان قلت
كيف يقرأ الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء في اللام لاحن
مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى
اعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط
الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وقرأ
الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم كقوله متى تأتنا تلمم بنا في
ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب
لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال
كقولك ضربت زيدا رأسه واحببت زيدا عقله وهذا البدل واقع في الافعال
وقوعه في الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان والمؤمنون ان عطف على الرسول
كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا الى الرسول والمؤمنين اي كلهم
آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين وان كان مبتدأ كان الضمير
للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان
يجوز ان يجمع كقوله وكل اتوه داخرين وقرأ ابن عباس وكتابه يريد القرآن او
الجنس وعنه الكتاب اكثر من الكتب فان قلت كيف يكون الواحد اكثر من الجمع
قلت لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس
كلها لم يخرج منه شيء واما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع لا نفرق
يقولون لا نفرق وعن ابي عمرو يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرأ عبد الله
لا يفرقون واحد في معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك
دخل عليه بين سمعنا اجبنا غفرانك منصوب باضمار فعله يقال غفرانك
لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله بالسكون الا وسعها
ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر
عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله يريد الله
بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس
ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وقرأ ابن ابي عبلة وسعها بالفتح

لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر
لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها فان قلت لم خص الخير
بالكسب والشر بالاكتساب قلت في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه
النفس وهي منجذبة اليه وامارة به كانت في تحصيله اعمل واجد فجعلت لذلك
مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال
اي لا تؤاخذنا بالنسيان او الخطأ ان فرط منا فان قلت النسيان والخطأ
متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما قلت ذكر النسيان والخطأ
والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال الا ترى الى قوله وما انسانيه
الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فتكون وسوسته
سببا للتفريط الذي منه النسيان ولانهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط
منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطأ فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة
ساحتهم عما يؤاخذون به كانه قيل ان كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به
~~ان كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به~~ فما فيهم سبب مؤاخذة الا الخطأ والنسيان
ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته
والاعتداد بالنعمة فيه اصرا عبئا الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل
لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد
والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة ابي ولا تحمل علينا بالتشديد
فان قلت اي فرق بين هذه التشديدة والتي في ولا تحملنا قلت
هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات
الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة
عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله
ولا تحمل علينا اصرا مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا
من حق المولى ان ينصر عبيده او فان ذلك عادتك او فان ذلك من امورك التي عليك
توليها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه لما دعا بهذه الدعوات قيل له

قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه عليه السلام اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي وعنه عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل فان قلت هل يجوز ان يقال قرأت سورة البقرة او قرأت البقرة قلت لا بأس بذلك وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من آخر سورة البقرة وخواتيم البقرة وعن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود انه رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذي لا اله غيره رمى الذي انزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة والمجادلة واذا قيل قرأت البقرة لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقوله واسأل القرية وعن بعضهم انه كره ذلك وقال يقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة عن رسول الله صلى الله عليه السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة

سورة آل عمران

سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

ميم حقها ان يوقف عليها كما وقف على الف ولام وان يبدأ ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم واما فتحها فهي حركة الهمزة القيت عليها حين اسقطت للتخفيف فان قلت كيف جاز القاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لان ثبات حركتها كثباتها قلت هذا ليس بدرج لان ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت وانما حذفت تخفيفا والقيت حركتها على الساكن قبلها لتدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال فان قلت هلا زعمت انها حركة لالتقاء الساكنين قلت لان التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف وذلك

وذلك قولك هذا ابرهيم وداود واسحق ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان في الف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر فان قلت انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين فاذا جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا قلت الدليل على ان الحركة ليست لملاقاة الساكن انه كان يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا اصيم ومديق فلما حركوا الدال علم ان حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين فان قلت فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر قلت هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة والتوراة والانجيل اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وقراءة الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان افعيل بفتح الهمزة عديم في اوزان العرب فان قلت لم قيل نزل الكتاب وانزل التوراة والانجيل قلت لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة وقرأ الاعمش نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب هدى للناس لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم فان قلت ما المراد بالفرقان قلت جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل او الكتب التي ذكرها كأنه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه او من هذه الكتب او اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر او كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشأنه واظهارا لفضله بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها ذو انتقام له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم لا يخفى عليه شيء في العالم فعبر عنه بالسماء والارض فهو مطلع على كفر من كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة وقرأ طاوس تصوركم اي صوركم لنفسه ولتعبده كقولك اثلت مالا اذا جعلته اثلة اي اصلا وتأثلته اذا اثلته لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا كأنه نبه بكونه مصورا في الرحم على انه

تصغير اصم ومدق

عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه متشابهات مشتبهات محتملات هن ام الكتاب اي اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها ومثال ذلك لا تدركه الابصار الى ربها ناظرة لا يأمر بالفحشاء امرنا مترفيها فان قلت فهلا كان القرآن كله محكما قلت لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ولاعرضوا عما يحتاجون فيه الى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المؤمن المعتقد ان لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف اذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره واهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة الى معتقده وقوة في ايقانه الذين في قلوبهم زيغ هم اهل البدع فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تأويله وطلب ان يأولوه التأويل الذي يشتهونه وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم لا يهتدي الى تأويله الحق الذي يجب ان يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا في العلم اي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدئ والراسخون في العلم يقولون ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه والاول هو الوجه ويقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به اي بالمتشابه كل من عند ربنا اي كل واحد منه ومن المحكم من عنده او بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التأمل ويجوز ان يكون يقولون حالا من الراسخين وقرأ عبد الله ان تأويله

بل الثاني هو الوجه ويؤيده قراءة ابن مسعود لتزنا وبه الا عند الله والراسخون

الا عند الله وقرأ ابي ويقول الراسخون لا تزغ قلوبنا لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا وارشدتنا لدينك او لا تمنعنا الطافك بعد اذ لطفت بنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة وقرئ لا تزغ قلوبنا بالتاء والياء ورفع القلوب جامع الناس اي تجمعهم لحساب يوم كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقرئ جامع الناس على الاصل ان الله لا يخلف الميعاد معناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله والميعاد الموعد قرأ علي رضي الله عنه لن يغني بسكون الياء وهذا من الجد في استثقال الحركة على حروف اللين من في قوله من الله مثله في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله او من طاعة الله شيئا اي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك اي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفي معناه قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وقرئ وقود بالضم بمعنى اهل وقودها والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وعن ابن عباس هم قريظة والنضير الدأب مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شأنه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم ويجوز ان ينتصب محل الكاف بلن تغني او بالوقود اي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن اولئك او توقد بهم النار كما توقد بهم تقول انك لتظلم الناس كدأب ابيك تريد كظلم ابيك ومثل ما كان يظلمهم وان فلانا لمحارف كدأب ابيه تريد كما حورف ابوه كذبوا بآياتنا تفسير لدأبهم مما فعلوا وفعل بهم على انه جواب سؤال مقدر عن حالهم قل للذين كفروا هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله يوم بدر قالوا هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقيل جمعهم رسول الله بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقرئ سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم

حذف لفظ البدل في قوله هذا اخر ذكر حذف الباس في قوله لا عليكم

الكسب

المحارف الذي انحرف عنه الكسب

على ما قيل لهم قل لهم ستغلبون فإن قلت اي فرق بين القراءتين
قلت معنى القراءة بالتاء الأمر بأن يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر
الى جهنم فهو إخبار بمعنى ستغلبون وتحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي
يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الأمر بأن يحكي لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه
كأنه قال أدّ اليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون قد كان لكم آية
الخطاب لمشركي قريش في فئتين التقتا يوم بدر يرونهم مثليهم يرى المشركون المسلمين
مثلي عدد المشركين قريبا من الفين او مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين
اراهم الله اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من
الله كما امدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء اي ترون يا مشركي قريش المسلمين
مثلي فئتكم الكافرة او مثلي انفسهم فإن قلت فهذا مناقض لقوله في سورة
الأنفال ويقللكم في اعينهم قلت قللوا اولا في اعينهم حتى اجترؤا عليهم
فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين ونظيره
من المحمول على اختلاف الأحوال قوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان
وقوله وقفوهم انهم مسؤلون وتقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى في اعينهم ابلغ في القدرة واظهار
الآية وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين على ما قرر عليهم من مقاومة
الواحد الاثنين في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين بعد ما كلفوا ان يقاوم
الواحد العشرة في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولذلك وصفهم
بالقلة لأنه قليل بالإضافة الى عشرة الأضعاف وكان الكافرون ثلاثة امثالهم وقراءة
نافع لا تساعد عليه وقرأ ابن مصرف يُرَوْنهم على البناء للمفعول بالياء والتاء اي
يريهم الله ذلك بقدرته وقرئ فئة تقاتل واخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين
وبالنصب على الاختصاص او على الحال من الضمير في التقتا رأي العين يعني رؤية
ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات والله يؤيد بنصره كما ايد
اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو زين للناس المزين هو الله سبحانه للابتلاء كقوله
انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم ويدل عليه قراءة مجاهد زَيَّن للناس على
تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لأنا لا نعلم احدا اذم لها من

من خالقها حب الشهوات جعل الأعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة
محروصا على الاستمتاع بها والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها شهوات لأن الشهوة
مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال زين للناس
حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر اولا في النفوس ان المزين لهم حبه ما هو الا
شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الأجناس فيكون اقوى لتخسيسها وادل على ذم من يستعظمها
ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله والقنطار المال الكثير قيل ملء مسك
ثور وعن سعيد بن جبير مائة الف دينار ولقد جاء الإسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل
قد قنطروا والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدرة
مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المطهمة او المرعية من اسام
الدابة وسومها والأنعام الأزواج الثمانية ذلك المذكور متاع الحيوة للذين اتقوا عند ربهم
جنات كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هل ادلك على
رجل عالم عندي رجل من صفته كيت وكيت ويجوز ان يتعلق اللام بخير واختص
المتقين لأنهم هم المنتفعون به ويرتفع جنات على هو جنات وينصره قراءة
من قرأ جنات بالجر على البدل من خير والله بصير بالعباد يثيب ويعاقب
على الاستحقاق او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات الذين
يقولون نصب على المدح او رفع ويجوز الجر صفة للمتقين او للعباد والواو المتوسطة
بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وقد مر الكلام في ذلك
وخص الأسحار لأنهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة فيه إليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل
حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم
شهد الله شبهت دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما
اوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرهما
بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك اقرار الملائكة واولي العلم بذلك
واحتجاجهم عليه قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الأرزاق والآجال
ويثيب ويعاقب وفيما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية

فيما بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا فإن قلت
لم جاز افراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز
قلت انما جاز هذا لعدم الإلباس كما جاز في قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب
نافلة ان انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه
بالذكورة او على المدح فإن قلت أليس من حق المنتصب على المدح ان يكون
معرفة كقولك الحمد لله الحميد انا معشر الأنبياء لا نورث انا بني نهشل لا ندعي لأب
قلت قد جاء نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي
ويأوي الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي فإن قلت هل يجوز ان
يكون صفة للمنفي كأنه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو قلت لا يبعد فقد
رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف فإن قلت قد جعلته
حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا من هو في لا اله الا هو قلت
نعم لأنها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي ان يكون في الجملة التي هي زيادة
في فائدتها عامل فيها كقولك انا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله
شجاعا وهو اوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح فإن قلت
هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة واولي العلم كما دخلت الوحدانية
قلت نعم اذا جعلته حالا من هو او نصبا على المدح منه او صفة للمنفي
كأنه قيل شهد الله والملائكة واولوا العلم انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط وقرأ
عبد الله القائم بالقسط على انه بدل من هو او خبر مبتدأ محذوف وقرأ ابو حنيفة
قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية
والعدل يعني انه العزيز الذي لا يغالبه اله آخر الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في افعاله
فإن قلت ما المراد باولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه
ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون
وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد
وقرئ انه بالفتح وان الدين بالكسر على ان الفعل واقع على انه بمعنى شهد الله
على انه او بانه وقوله ان الدين عند الله الإسلام جملة مستأنفة مؤكدة للجملة

الجملة الأولى فإن قلت ما فائدة هذا التوكيد قلت فائدته ان
قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فإذا اردفه قوله ان الدين عند
الله الإسلام فقد آذن ان الإسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه
فليس عنده في شيء من الدين وفيه ان من ذهب الى تشبيه او ما يؤدي اليه كاجازة
الرؤية او ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام
وهذا بين جلي كما ترى وقرئا مفتوحين على ان الثاني بدل من الأول كأنه قيل
شهد الله ان الدين عند الله الإسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا
صريحا لأن دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ الأول بالكسر والثاني بالفتح على ان
الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا ايضا شاهد على ان دين الإسلام
هو العدل والتوحيد فترى القراءات كلها متعاضدة على ذلك وقراءة عبد الله ان لا
اله الا هو وقرأ أبي ان الدين عند الله للإسلام وهي معقوبة لقراءة من فتح الأول وكسر
الثانية وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم
شهداء لله فإن قلت فعلام عطف على هذه القراءة والملائكة واولوا
العلم قلت على الضمير في شهداء وجاز لوقوع الفاصل بينهما فإن قلت
لم كرر قوله لا اله الا هو قلت ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية
وانه لا اله الا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن بإثبات الوحدانية
إثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالأمرين كأنه قيل لا اله الا هذا الموصوف
بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل الذين
اوتوا الكتاب اهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الإسلام وهو
التوحيد والعدل من بعد ما جاءهم العلم انه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت
النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا احق بأن تكون النبوة فينا من قريش
لأنهم اميون ونحن اهل الكتاب وهذا تجوير لله بغيا بينهم اي ما كان ذلك الاختلاف
وتظاهرهم بمذهب ومولاهم بمذهب الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ
الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطأون اعقابهم لا شبهة في الإسلام وقيل هو اختلافهم
في نبوة محمد عليه السلام حيث آمن به بعض وكفر بعض وقيل هو اختلافهم في الإيمان

بالأنبياء فمنهم من آمن بموسى ومنهم من آمن بعيسى وقيل هم اليهود واختلافهم أن
موسى عليه السلام حين احتضر استودع التوراة سبعين حبرا من بني إسرائيل وجعلهم
أمناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف أبناء السبعين بعد ما
جاءهم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى
واختلافهم في أمر عيسى بعد ما جاءهم العلم أنه عبد الله ورسوله فإن حاجوك فإن جادلوك
في الدين فقل أسلمت وجهي لله أي أخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم أجعل فيها لغيره
شركا بأن أعبده وأدعوه إلها معه يعني أن ديني دين التوحيد وهو الدين القيم الذي
ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قوله قل
يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا فهو
دفع للمحاجة بأن ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما
معنى المحاجة فيه ومن اتبعن عطف على التاء في أسلمت وحسن للفاصل ويجوز أن
يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقل للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى
والأميين والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب أأسلمتم يعني أنه قد أتاكم من البينات ما
يوجب الإسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن
لخصت له المسألة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا إلا سلكته هل فهمتها لا أم لك
ومنه قوله عز وعلا فهل أنتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام
استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الإنصاف لأن المنصف إذا تجلت له الحجة لم يتوقف
إذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب أسدادا بينه وبين الإذعان وكذلك في
هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفي فهل أنتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء
والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه فإن أسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا أنفسهم حيث
خرجوا من الضلال إلى الهدى ومن الظلمة إلى النور وإن تولوا لم يضروك فإنك رسول منبه
ما عليك إلا أن تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى قرأ الحسن ويقتلون النبيين
وقرأ حمزة ويقاتلون الذين يأمرون وقرأ عبد الله وقاتلوا وقرأ أبي يقتلون النبيين
والذين يأمرون وهم أهل الكتاب قتل أولوهم الأنبياء وقتلوا أتباعهم وهم راضون
بما فعلوا وكانوا حراصا على قتل رسول الله والمؤمنين لولا عصمة الله وعن أبي عبيدة بن الجراح

رضي الله عنه قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا
أو رجلا أمر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين
نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني إسرائيل فأمروا
قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في الدنيا والآخرة لأن لهم
اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة فإن قلت لم دخلت الفاء في خبر إن
قلت لتضمن اسمها معنى الجزاء كأنه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من
يكفر فبشرهم وإن لا تغير معنى الابتداء فكأن دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت
أو لعل لامتنع إدخال الفاء لتغير معنى الابتداء أوتوا نصيبا من الكتاب يريد أحبار اليهود
وأنهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة ومن إما للتبعيض وإما للبيان أو حصلوا من
جنس الكتب المنزلة أو من اللوح التوراة وهي نصيب عظيم يدعون إلى كتاب الله وهو
التوراة ليحكم بينهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه دخل مدراسهم فدعاهم فقال له
نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت قال على ملة إبراهيم قالا إن
إبراهيم كان يهوديا قال لهما إن بيننا وبينكم التوراة فهلموا إليها فأبيا وقيل نزلت
في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القرآن لأنهم قد علموا أنه
كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بأن الرجوع
إلى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم لا يزال الإعراض ديدنهم وقرئ ليحكم
على البناء للمفعول والوجه أن يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من أسلم
من أحبارهم وبين من لم يسلم وأنهم دعوا إلى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في
صحته وهو التوراة ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين
لم يسلموا وذلك أن قوله ليحكم بينهم يقتضي أن يكون اختلافا واقعا فيما بينهم لا فيما بينهم
وبين رسول الله ذلك التولي والإعراض بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب
وطمعهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية وغرهم
في دينهم ما كانوا يفترون من أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم كما غرت أولئك
شفاعة رسول الله في كبائرهم فكيف إذا جمعناهم فكيف يصنعون فكيف تكون
حالهم وهو استعظام لما أعد لهم وتهويل لهم وأنهم يقعون فيما لا حيلة في دفعه والتخلص

وأن ما هدوا به أنفسهم وسهلوا عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون وروي أن أول
راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤوس الأشهاد
ثم يأمر بهم إلى النار وهم لا يظلمون يرجع إلى كل نفس على المعنى لأنه في معنى كل الناس
كما تقول ثلاثة أنفس تريد ثلاثة أناسي اللهم الميم في اللهم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان
وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه
وفيه لام التعريف وبقطع الهمزة في يا الله وبغير ذلك مالك الملك أي تملك جنس الملك
فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون تؤتي الملك من تشاء تعطي من تشاء النصيب الذي
قسمت له واقتضته حكمتك من الملك وتنزع ممن تشاء النصيب الذي أعطيته منه
فالملك الأول عام شامل والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل روي أن رسول
الله صلى الله عليه حين افتتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود
هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك وروي أن
رسول الله صلى الله عليه لما خط الخندق يوم الأحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا
وأخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا
سلمان إلى رسول الله يخبره فأخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق
منها برق أضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر المسلمون وقال
أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال أضاءت لي
منها القصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضاءت لي قصور صنعاء
وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون ألا تعجبون
يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها
تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزلت فإن قلت
كيف قال بيدك الخير دون الشر قلت لأن الكلام إنما وقع في الخير الذي يسوقه
إلى المؤمنين وهو الذي أنكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من
أعدائك ولأن كل أفعال الله من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير
كله كإيتاء الملك ونزعه ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة
بينهما وحال الحي والميت في إخراج أحدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب

دلالة

دلالة على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ثم قدر أن يرزق بغير
حساب من يشاء من عباده فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب
ويعزهم وفي بعض الكتب أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فإن العباد
أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وإن العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا
بسب الملوك ولكن توبوا إلي أعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونون
يولى عليكم نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة قبل الإسلام أو غير ذلك
من الأسباب التي يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن ومن
يتولهم منكم فإنه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله
الآية والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الإيمان
من دون المؤمنين يعني أن لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين
فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ومن يوال الكفرة
فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني أنه منسلخ من ولاية
الله رأسا وهذا أمر معقول فإن موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان قال
تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك ليس النوك عنك بعازب إلا أن تتقوا منهم تقاة
إلا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه وقرئ تقية قيل للمتقي تقاة وتقية
كقولهم ضرب الأمير لمضروبه رخص لهم في موالاتهم إذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة
مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع
من قشر العصا كقول عيسى صلوات الله عليه كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله
نفسه فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز أن يضمن
تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن وينتصب تقاة أو تقية على المصدر
كقوله اتقوا الله حق تقاته قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه من ولاية الكفار
أو غيرها مما لا يرضى الله يعلمه ولم يخف عليه وهو الذي يعلم ما في السموات
وما في الأرض لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم
والله على كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله
نفسه وهي ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم

أن نفسه

وهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهي
قادرة على المقدورات كلها فكان حقها أن تحذر وتتقى فلا يجسر أحد على قبيح ولا
يقصر عن واجب فإن ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد
السلطان أنه أراد الاطلاع على أحواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا
وبث من يتجسس عن بواطن أموره لأخذ حذره وتيقظ في أمره واتقى كل ما يتوقع
فيه الاسترابة به فما بال من علم أن العالم الذات الذي يعلم السر وأخفى مهيمن عليه
وهو آمن اللهم إنا نعوذ بك من اغترارنا بسترك يوم تجد منصوب بتود والضمير في
بينه لليوم أي يوم القيمة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو أن بينها
وبين ذلك اليوم أمدا بعيدا ويجوز أن ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت
وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره أي والذي عملته من سوء تود هي لو
تباعد ما بينها وبينه ولا يصح أن تكون ما شرطية لارتفاع تود فإن قلت
فهل يصح أن تكون شرطية على قراءة عبد الله ودت قلت لا كلام في صحته
ولكن الحمل على الابتداء والخبر أوقع في المعنى لأنه حكاية الكائن في ذلك اليوم
وأثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز أن يعطف وما عملت على ما عملت ويكون تود
حالا أي يوم تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها وبين اليوم أو عمل السوء محضرا كقوله
ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم يقرؤونه ونحوه فينبئهم بما عملوا
أحصاه الله ونسوه والأمد المسافة كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين وكرر قوله
ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه والله رؤوف بالعباد يعني أن
تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لأنهم إذا
عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك إلى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن
الحسن من رأفته بهم أن حذرهم نفسه ويجوز أن يريد أنه مع كونه محذورا لعلمه
وقدرته مرجو لسعة رحمته كقوله إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم محبة
العباد لله مجاز عن إرادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها
ومحبة الله عباده أن يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى إن كنتم مريدين لعبادة
الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من إرادة عبادته يرض عنكم

ويغفر

ويغفر لكم وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه أنهم يحبون الله فأراد
أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله
يكذبه وإذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا
تشك في أنه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته
إلا لأنه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته
ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رأيت المني قد ملأ إزار ذلك
المحب عند صعقته وحمقى العامة حواليه قد ملؤوا أردانهم بالدموع لما رققهم من حاله
وقرئ تحبون ويحببكم ويحبكم من حبه يحبه قال أحب أبا ثروان من حب تمره وأعلم
أن الرفق بالجار أرفق وقال والله لولا تمره ما حببته ولا كان أدنى من عبيد ومشرق
فإن تولوا يحتمل أن يكون ماضيا وأن يكون مضارعا بمعنى فإن تتولوا ويدخل في جملة
ما يقول الرسول لهم آل إبراهيم إسمعيل وإسحق وأولادهما وآل عمران موسى وهرون
ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين ألف
وثمانمائة سنة ذرية بدل من آل إبراهيم وآل عمران بعضها من بعض يعني أن الآلين
ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران
من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من
إسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن إيشى يهوذا بن
يعقوب بن إسحق وقد دخل في آل إبراهيم رسول الله صلى الله عليه وقيل بعضها من
بعض في الدين كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع عليم
يعلم من يصلح للاصطفاء أو يعلم أن بعضهم من بعض في الدين أو سميع عليم لقول
امرأة عمران ونيتها وإذ منصوب به وقيل بإضمار اذكر وامرأة عمران هي امرأة عمران بن ماثان
أم مريم البتول جدة عيسى صلوات الله عليه وهي حنة بنت فاقوذ وقوله إذ قالت
امرأة عمران على أثر قوله وآل عمران مما يرجح أن عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى
والقول الآخر يرجحه أن موسى يقرن بإبراهيم كثيرا في الذكر فإن قلت
كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان
مريم البتول فما أدراك أن عمران هذا هو أبو مريم البتول دون عمران أبي مريم التي هي أخت

لموسى وهرون قلت كفى بكفالة زكريا دليلا على أنه عمران أبو البتول
لأن زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته إيشاع
أخت مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة روي أنها كانت عاقرا لم تلد إلى أن عجزت فبينا هي
في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم إن لك علي
نذرا شكرا إن رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته
وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل محررا معتقا لخدمة بيت المقدس
لا يد لي عليه ولا أستخدمه ولا أشغله بشيء وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم
وروي أنهم كانوا ينذرون هذا النذر فإذا بلغ الغلام خير بين أن يفعل وبين أن لا
يفعل وعن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير إلا للغلمان وإنما بنت الأمر
على التقدير أو طلبت أن ترزق ذكرا فلما وضعتها الضمير لما في بطني وإنما أنث
على المعنى لأن ما في بطنها كان أنثى أو على تأويل الحبلة أو النفس أو النسمة
فإن قلت كيف جاز انتصاب أنثى حالا من الضمير في وضعتها وهو
كقولك وضعت الأنثى أنثى قلت الأصل وضعته أنثى وإنما أنث لتأنيث
الحال لأن الحال وذا الحال لشيء واحد كما أنث الاسم في ما كانت أمك لتأنيث الخبر
ونظيره قوله تعالى فإن كانتا اثنتين وأما على تأويل الحبلة أو النسمة فهو ظاهر
كأنه قيل إني وضعت الحبلة أو النسمة أنثى فإن قلت فلم قالت إني وضعتها أنثى
وما أرادت إلى هذا القول قلت قالته تحسرا على ما رأت من خيبة رجائها
وعكس تقديرها فتحزنت إلى ربها لأنها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكرا ولذلك
نذرته محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى والله
أعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه
والله أعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الأمور وأن يجعله وولده
آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت وفي قراءة ابن
عباس والله أعلم بما وضعت على خطاب الله لها أي إنك لا تعلمين قدر هذا
الموهوب وما علم الله من عظم شأنه وعلو قدره وقرئ وضعت بمعنى ولعل لله
فيه سرا وحكمة ولعل هذه الأنثى خير من الذكر تسلية لنفسها فإن قلت

فما

فما معنى قوله وليس الذكر كالأنثى قلت هو بيان لما في قوله والله أعلم
بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى
التي وهبت لها واللام فيهما للعهد فإن قلت علام عطف قوله وإني سميتها
مريم قلت هو عطف على إني وضعتها أنثى وما بينهما جملتان معترضتان
كقوله وإنه لقسم لو تعلمون عظيم فإن قلت فلم ذكرت تسميتها مريم لربها
قلت لأن مريم في لغتهم بمعنى العابدة فأرادت بذلك التقرب والطلب
إليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وأن يصدق فيها ظنها بها
ألا ترى كيف أتبعته طلب الإعاذة لها ولولدها من الشيطان وإغوائه وما
يروى من الحديث ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل
صارخا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها فالله أعلم بصحته فإن صح فمعناه
أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها فإنهما كانا معصومين وكذلك
كل من كان في صفتهما كقوله لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين واستهلاله
صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول
هذا ممن أغويه ونحوه من التخييل قول ابن الرومي لما تؤذن الدنيا به من صروفها
يكون بكاء الطفل ساعة يولد وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا
ولو سلط إبليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا
من نخسه فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن
فيه وجهان أحدهما أن يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما
يسعط به ويلد وهو اختصاصه لها بإقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل
قبلها أنثى في ذلك أو بأن تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح
للسدانة روي أن حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد
ووضعتها عند الأحبار أبناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة
فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب
قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا
أنا أحق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين

الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها والتقبل
ان يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف اعني فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول
حسن وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كتعجله بمعنى استعجله
وتقصاه بمعنى استقصاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا اخذه باوله
وعنفوانه قال القطامي وخير الامر ما استقبلت منه وليس بان تتبعه اتباعا
ومنه المثل خذ الامر بقوابله اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها
نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها وقرئ
وكفلها زكرياء بوزن علمها وكفلها زكرياء بتشديد الفاء ونصب زكرياء والفاعل هو الله
تعالى يعني وضمها اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وتؤيدها قراءة ابي واكفلها
من قوله تعالى اكفلنيها وقراءة مجاهد فتقبلها ربها وانبتها وكفلها على لفظ الامر في
الافعال الثلثة ونصب ربها تدعوه بذلك اي فاقبلها يا ربها وربها واجعل زكرياء
كافلا لها قيل بنى لها زكرياء عليه السلام محرابا في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم
وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس
وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها
سبعة ابواب وجد عندها رزقا كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع
ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في
الشتاء انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في
غير حينه والابواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك قالت هو من عند الله فلا
تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد وعن النبي صلى
الله عليه انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة رضي الله عنها رغيفين وبضعة
لحم آثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا
ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها صلى الله عليه وسلم انى لك
هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه السلام
الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة بني اسرائيل ثم جمع رسول الله علي بن ابي طالب
والحسن والحسين وجميع اهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت

فاطمة على جيرانها ان الله يرزق من يشاء من جملة كلام مريم عليها السلام او من
كلام رب العزة عز من قائل بغير حساب بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير محاسبة
ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق هنالك في ذلك المكان حيث هو قاعد عند
مريم في المحراب او في ذلك الوقت تقول يستعار هنا وثمة وحيث للزمان لما رأى
حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب في ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد اختها
حنة في النجابة والكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت اختها
كذلك وقيل لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر ذرية ولدا
والذرية تقع على الواحد والجمع سميع الدعاء مجيبه وقرئ فناداه الملائكة قيل
وقيل ناداه جبريل وانما قيل الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل ان الله يبشرك
بالفتح على بان الله وبالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع من القول وقرئ
يبشرك ويبشرك من بشره وابشره ويبشرك بفتح الياء من بشره ويحيى ان كان
اعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا
فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا بكلمة من الله مصدقا بعيسى مؤمنا به
قيل هو اول من آمن به وسمي عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهي
قوله كن من غير سبب آخر وقيل مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمي
الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا الذي يسود قومه اي
يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه وفائقا للناس كلهم في انه لم يركب
سيئة قط ويا لها من سيادة وحصورا الذي لا يقرب النساء حصرا لنفسه اي
منعا لها من الشهوات وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر قال الاخطل
وشارب مربح بالكاس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار فاستعير لمن لا يدخل
في اللعب واللهو وقد روي انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب فقال
ما للعب خلقت من الصالحين ناشئا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء
او كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه في الآخرة لمن الصالحين انى يكون لي غلام
استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم وقد بلغني الكبر كقولهم ادركته السن العالية
والمعنى اثر في الكبر واضعفني وكانت له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون

الحويدرة اسم شاعر وهو تصغير حادرة وهي الغليظة السمينة

كذلك الله يفعل ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين
الشيخ الفاني والعجوز العاقر او كذلك الله مبتدأ وخبر اي على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء
بيان له اي يفعل ما يريد من الافعال الخارقة للعادات آية علامة اعرف بها الحبل
لاتلقى النعمة اذا جاءت بالشكر قال آيتك الا تقدر على تكليم الناس ثلثة ايام وانما
خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء
قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني
في ايام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة فان قلت لم حبس لسانه
عن كلام الناس قلت ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه
على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها الذي طلب الآية من اجله كانه لما طلب
الآية من اجل الشكر قيل له آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب واوقعه
ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه الا رمزا الا اشارة بيد او رأس او غيرهما واصله
التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقرأ يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين
جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه
ومن الناس دفعة كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا بمعنى
الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم والعشي من حين تزول الشمس
الى ان تغيب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر
كسحر واسحار يقال اتيته بكرا فان قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثني
منه قلت لما ادى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما ويجوز ان يكون
استثناء منقطعا يا مريم روي انهم كلموها شفاها معجزة لزكرياء عليه السلام او ارهاصا
لنبوة عيسى اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة السنية
وطهرك مما يستقذر من الافعال ومما قرفك به اليهود واصطفاك آخرا على نساء العالمين
بان وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء امرت بالصلوة بذكر القنوت
والسجود لكونهما من هيئات الصلوة واركانها ثم قيل لها واركعي مع الراكعين بمعنى ولتكن
صلوتك مع المصلين اي في الجماعة او وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم
ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل ان يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلوته

ولا يركع وفيه من يركع فامرت بان تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع ذلك اشارة الى
ما سبق من انباء زكريا ويحيى ومريم وعيسى يعني ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي
فان قلت لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي استماع الانباء
من حفاظها وهو موهوم قلت كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس من اهل
السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة
فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بانه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما كنت
بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون اقلامهم ازلامهم
وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين وقيل هي الاقلام التي كانوا يكتبون بها
التورية اختاروها للقرعة تبركا بها اذ يختصمون في شانها تنافسا في التكفل بها فان قلت
ايهم يكفل بم يتعلق قلت بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم كانه قيل يلقونها
ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون المسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق
والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا اينما كنت
وكذلك عيسى معرب من ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم في الماء فان قلت
اذ قالت بم يتعلق قلت هو بدل من واذ قالت الملائكة ويجوز ان يبدل
من اذ يختصمون على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته
سنة كذا فان قلت لم قيل عيسى ابن مريم والخطاب لمريم قلت
لان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير
اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين فان قلت
لم ذكر ضمير الكلمة قلت لان المسمى بها مذكر فان قلت
لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلثة اشياء الاسم منها عيسى واما المسيح والابن
فلقب وصفة قلت الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز عن غيره فكانه
قيل الذي يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلثة وجيها حال من كلمة
وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين اي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات
وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة في الدنيا النبوة
والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه

وكونه من المقربين رفعه الى السماء وصحبته للملائكة والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه
سمي بالمصدر وفي المهد في محل النصب على الحال وكهلا عطف عليه بمعنى ويكلم الناس
طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت
بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء ومن
بدع التفاسير ان قوله رب انى نداء لجبريل بمعنى يا سيدي ونعلمه عطف على يبشرك
او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدأ وقرأ عاصم ونافع ويعلمه بالياء
علامه بنحو رسولا ومصدقا من المنصوبات المتعددة وقوله
انى قد جئتكم ولما بين يدي باني حكاية عليها هو من المصادر
اقلعها ان يضمر لي وارسلت على ارادة القول تقديره ونعلمه الكتاب والحكمة ويقول
ارسلت رسولا باني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي والثاني ان الرسول والمصدق
فيهما معنى النطق فكانه قيل وناطقا باني قد جئتكم وناطقا باني اصدق ما بين يدي
وقرأ اليزيدي ورسول عطفا على كلمة اني قد جئتكم اصله بانى قد جئتكم
فحذف الجار وانتصب بالفعل واني اخلق بدل من انى قد جئتكم فحذف الجار
وانتصب بالفعل واني اخلق بدل من آية او رفع على هي اني اخلق لكم وقرئ
اني بالكسر على الاستيناف اي اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير
للكاف اي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا فيصير طيرا كسائر الطيور
حيا طيارا وقرأ عيسى الله فانفخها قال كالهيئة يحيى نفخ العمي وقيل لم يخلق غير
الخفاش باذن الله الآية ذلك الاعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة
اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير وروي انه ربما اجتمع عليه
خمسون الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما كانت
مداواته الا بالدعاء وحده وكرر باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية وروي
انه احيا سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فارنا آية فقال يا فلان اكلت
كذا ويا فلان خبي لك كذا وقرئ تذخرون الفال والتخفيف ولاحل رد على قوله
بآية من ربكم اي جئتكم بآية من ربكم ولاحل لكم ويجوز ان يكون مصدقا مردودا عليه
ايضا اي جئتكم بآية وجئتكم مصدقا وما حرم الله عليهم في شريعة موسى الشحوم والثروب

والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى بعض ذلك قيل احل
لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلفوا في احلاله لهم السبت وقرئ حرم على
تسمية الفاعل فهو ما بين يدي من التورية او الله عز وجل او موسى صلوات الله
عليه لان ذكر التورية دل عليه ولانه كان معلوما عندهم وقرئ حرم بوزن كرم وجئتكم
بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي قولي ان الله ربي وربكم لان جميع الانبياء
على هذا القول لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على البدل من آية وقوله فاتقوا الله واطيعون
اعتراض كيف جعل هذا القول آية من ربه لان الله
جعله له علامة يعرف بها انه رسول كسائر الرسل حيث هداه للنظر في ادلة العقل
والاستدلال ويجوز ان يكون تكريرا لقوله وجئتكم بآية من ربكم اي جئتكم بآية بعد اخرى
مما ذكرت لكم من خلق الطير والابراء والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي
بغير اب ومن كلامي في المهد ومن سائر ذلك وقرأ عبد الله وجئتكم بآيات من
ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم ابتدا فقال
ان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله بلا فا ان ربي فليعبدوا ويجوز ان يكون المعنى
وجئتكم بآية على ان الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض فلما احس فلما علم منهم الكفر
علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس الى الله من انصاري متضمنا معنى
الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصرونني كما ينصرني
او يتعلق بمحذوف حالا من الياء اي من انصاري ذاهبا الى الله ملتجئا اليه نحن
انصار الله اي انصار دينه ورسوله وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه
قيل للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن ونظافتهن فقال للحواريات
نعتنا ولا يبكينا الا الكلاب النوابح وفي دينه الحوالج وهو الكثير الحيلة وانما
طلبوا شهادته باسلامهم تاكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون لاممهم يوم القيمة
لقومهم وعليهم مع الشاهدين مع الانبياء الذين يشهدون لاممهم او مع الذين
يشهدون بالوحدانية وقيل مع امة محمد صلى الله عليه لانهم شهداء على الناس
ومكروا اي الذين لكفار بني اسرائيل الذين احس منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا به
من يقتله غيلة ومكر الله ان رفع عيسى الى السماء والقى شبهه على من اراد اغتياله

حتى قتل والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على العقاب
من حيث لا يشعر المعاقب اذ قال الله ظرف لخير الماكرين او لمكر الله اني متوفيك
اي مستوفي اجلك ومعناه اني عاصمك من ان يقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل كتبته
لك ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم ورافعك الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك
من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض
من توفيت مالي على فلان اذا استوفيته وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من
السماء ورافعك الآن وقيل متوفي نفسك بالنوم من قوله والتي لم تمت في منامها
ورافعك وانت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت في السماء آمن مقرب
فوق الذين كفروا الى يوم القيامة يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف
متبعوه هم المسلمون لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه
وكذبوا عليه من اليهود والنصارى فاحكم بينكم تفسير الحكم قوله فاعذبهم فنوفيهم اجورهم
وقرئ فيوفيهم بالياء ذلك اشارة الى ما سبق من نبا عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره
نتلوه ومن الآيات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي
ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه والذكر
الحكيم القرآن وصف بصفة من هو من سببه او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه
ان مثل عيسى ان شانه عيسى وحاله الغريبة كشان آدم وقوله خلقه من تراب
جملة مفسرة لما له شبه عيسى بآدم اي خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة اب ولا ام
فكذلك حال عيسى فان قلت كيف شبه به وقد وجد هو بغير اب ووجد آدم
بغير اب وام قلت هو مثيله في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه
بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبه
به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران ولان الوجود
من غير اب وام اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب
ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن
بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى
لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر واحيا

واحيا حزقيل ثمانية الاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه
طبخ واحرق ثم قام سالما خلقه من تراب قدره جسدا من طين ثم قال له كن اي
انشاه بشرا كقوله ثم انشاناه خلقا آخر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر
مبتدأ محذوف اي هو الحق كقول اهل خيبر محمد والخميس ونهيه عن الامتراء وجل
رسول الله ان يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمانينة وان يكون لطفا
لغيره فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات
الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالراي والعزم كما تقول تعال نفكر في هذه المسالة
ندع ابناءنا وابناءكم اي يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة ثم
نبتهل ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح
والضم اللعنة وبهله الله لعنه وابعده من رحمته من قولك ابهله اذا اهمله وناقة
باهل لا صرار عليها واصل الابتهال هذا ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه
وان لم يكن التعانا وروي انه لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر
فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم
يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم
والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن
فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى
بلادكم فاتوا رسول الله وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي
خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر
النصارى اني لارى وجوها لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا
فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة فقالوا يا ابا القسم راينا
ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال فاذا ابيتم المباهلة
فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب
العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان
نؤدي اليك كل عام الفي حلة الفا في صفر والفا في رجب وثلاثين درعا عادية من حديد
فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران

ولو لا عنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران
واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وعن
عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرحل من شعر
اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة
الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك امر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء
والنساء قلت ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه
حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك ولم
يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته
واعزته هلاك الاستيصال ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم اعز
الاهل والصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل
ومن ثم كانوا يسوقون مع انفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون
الذادة عنها بارواحهم حماة الحقائق وقدمهم في الذكر على الانفس لينبه على
لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها وفيه
دليل لا شيء اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام وفيه برهان واضح على
صحة نبوة النبي عليه السلام لانه لم يرو احد من موافق ولا مخالف انهم اجابوا الى ذلك
ان هذا الذي قص عليك من نبأ عيسى لهو القصص الحق وقرئ بتحريك الهاء على
الاصل وبالسكون لان اللام تنزل من هو منزلة بعضه فخفف كما خفف عضد فهو
اما فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر ان
فان قلت لم جاز دخول اللام على الفصل قلت اذا جاز
دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل اجوز لانه اقرب الى المبتدأ منه
واصلها ان تدخل على المبتدأ ومن في قوله وما من اله الا الله بمنزلة البناء على الفتح
في لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم فان
الله عليم بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب
بما كانوا يفسدون يا اهل الكتاب قيل هم اهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل

يهود المدينة سواء بيننا وبينكم مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتوراة
والانجيل وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا
بعضا اربابا من دون الله يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله
لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل
من غير رجوع الى ما شرع الله كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح
ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله
قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل
لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة وقرئ كلمة بسكون اللام
وقرأ الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت استواء فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا
بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول
الغالب للمغلوب في جدال او صراع او غيرهما اعترف باني انا الغالب وسلم لي الغلبة ويجوز
ان يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون حيث توليتم عن
الحق بعد ظهوره زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابرهيم كان منهم وجادلوا
رسول الله والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية
بعد نزول الانجيل وبين ابرهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان فكيف
يكون ابرهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة افلا تعقلون حتى
لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم هؤلاء ها للتنبيه وهؤلاء انتم مبتدأ وهؤلاء خبره
وحاججتم جملة مستأنفة مبينة للجملة الاولى يعني انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان
حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التوراة والانجيل فلم تحاجون
فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابيكم من دين ابرهيم وعن الاخفش ها انتم هو أانتم
على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم وقيل هؤلاء
بمعنى الذين وحاججتم صلته والله يعلم علم ما حاججتم فيه وانتم جاهلون به ثم اعلمهم بانه
برئ من دينكم وما كان الا حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن منكم او اراد
بالمشركين اليهود والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح ان اولى الناس بابرهيم
ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده

وهذا النبي خصوصا والذين آمنوا من امته وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا
على الهاء في اتبعوه اي اتبعوه واتبعوا هذا النبي وبالجر عطفا على ابرهيم ودت
طائفة هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية وما يضلون الا انفسهم
وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم
او وما يقدرون على اضلال المسلمين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم بآيات الله
بالتوراة والانجيل وكفرهم بها انهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله وغيرها
وشهادتهم اعترافهم بانها آيات الله او تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وانتم تشهدون
نعته في الكتابين او تكفرون بآيات الله جميعا وانتم تعلمون انها حق وقرئ تلبسون
بالتشديد وقرأ يحيى بن وثاب تلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله
كلابس ثوبي زور وقوله اذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا وجه النهار اوله قال من كان
مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار والمعنى اظهروا الايمان بما انزل
على المسلمين في اول النهار واكفروا به في آخره لعلهم يشكون في دينهم ويقولون
ما رجعوا وهم اهل كتاب وعلم الا لامر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم وقيل تواطأ
اثنا عشر من احبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار
من غير اعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا
فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك
شك اصحابه في دينهم وقيل هذا في شأن القبلة لما صرفت الى الكعبة قال كعب
بن الاشرف لاصحابه آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها في اول
النهار ثم اكفروا به في آخره وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا
فيرجعون ولا تؤمنوا متعلق بقوله ان يؤتى احد وما بينهما اعتراض اي ولا تظهروا
ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ارادوا اسروا تصديقكم
بان المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم
دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام او يحاجوكم
عند ربكم عطف على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع بمعنى
ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله
بالحجة

بالحجة فان قلت فما معنى الاعتراض قلت معناه ان الهدى
هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع
كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء يريد الهداية والتوفيق او يتم الكلام عند قوله الا لمن
تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن
تبع دينكم الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم
من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم وقوله ان يؤتى معناه لان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم من فضل الكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير
أأن يؤتى احد بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى ألان يؤتى احد
فان قلت فما معنى قوله او يحاجوكم على هذا قلت معناه دبرتم
ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند
ربكم ويجوز ان يكون هدى الله بدلا من الهدى وان يؤتى احد خبر ان على معنى قل
ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا
باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم وقرئ ان يؤتى احد على ان النافية وهو متصل
بكلام اهل الكتاب اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل
ما اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم ويجوز ان ينتصب
ان يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كانه قيل قل ان الهدى
هدى الله فلا تنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم لان قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
انكار لان يؤتى احد مثل ما اوتوا عن ابن عباس من ان تأمنه بقنطار هو عبد الله
بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومن ان تأمنه
بدينار فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل
المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والخائنون في القليل اليهود
لغلبة الخيانة عليهم الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق
قائما على رأسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه

وقرئ يؤده بكسر الهاء والوصل وبكسرها بغير وصل وبسكونها وقرأ يحيى بن وثاب تئمنه بكسر التاء ودمت بكسر الدال من دام يدام ذلك اشارة الى ترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده اي تركهم اداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي لا يتطرق علينا عتاب وذم في شان الاميين يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس رضي الله عنه انه سأله رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك باس قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم تحل لكم اموالهم الا بطيبة انفسهم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون بلى اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين اي بلى عليهم سبيل فيهم وقوله من اوفى بعهده جملة مستانفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الى من اوفى على ان كل من وفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه فان قلت فهذا عام يخيل انه لو وفى اهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله قلت اجل لانهم اذا وفوا بالعهود وفوا اول شيء بالعهد الاعظم وهو ما اخذ عليهم في كتابهم من الايمان برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى على ان كل من وفى بعهد الله واتقاه فان الله يحبه ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر واعمال السوء فان قلت فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من قلت عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب ونظرائهما من مسلمة اهل الكتاب يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوه عليه من الايمان بالرسول

بالرسول المصدق لما معهم وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت في ابي رافع ولبابة ابن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله واخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم ممتارين فقال لهم هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال لقد هممت ان اميركم واكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح وما رهم وعن الاشعث بن قيس نزلت في كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذن يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطي بها ما لم يعطه والوجه ان نزولها في اهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير في بعهده الى الله ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم فان قلت اي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه قلت اصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر لفريقا هم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف وقرأ اهل المدينة يلوون بالتشديد كقوله لووا رؤوسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون ووجهه انهما قلبا الواو المضمومة همزة ثم خففاها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها فان قلت الام يرجع الضمير في لتحسبوه قلت الى ما دل عليه يلوون السنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء بمعنى يفعلون ذلك

ليحسبه المسلمون من الكتاب ويقولون هو من عند الله تاكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورون وانما يصرحون بانه في التوراة هكذا وقد انزله الله على موسى كذلك لفرط جراءتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نأمر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله والحكم والحكمة وهي السنة ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم العامل المعلم بما كنتم بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم اوجب ان تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقرئ تعلمون من التعليم وتعلمون من التعلم تدرسون تقرؤون وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون اي اكثر الدرس بمعنى درس ويجوز ان يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناهما معنى تدرسون من التدريس وفيه ان من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وان السبب بينه وبينه منقطع حيث لم تثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته ولا يأمركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان احدهما ان تجعل

لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يأمر الناس بان يكونوا عبادا له ويأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ويستخف بي والثاني ان تجعل لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام اظهر وتعضدها قراءة عبد الله ولن يأمركم والضمير في ولا يأمركم وايأمركم للبشر وقيل لله والهمزة في ايأمركم للانكار بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استاذنوه ان يسجدوا له ميثاق النبيين فيه غير وجه احدها ان يكون على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني ان يضيف الميثاق الى النبيين اضافة الى الموثق لا الى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كانه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم والثالث ان يراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع ان يراد اهل الكتاب وان يرد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون ويدل عليه قراءة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب واللام في لما آتيتكم لام التوطئة لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما تحتمل ان تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما آتيناكم وقرأ حمزة لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على ان ما مصدرية والفعلان معها اعني آتيناكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل اني آتيتكم الحكمة وان الرسول الذي آمركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز ان تكون ما موصولة فان قلت كيف يجوز ذلك والعطف على آتيناكم وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز ان يدخل تحت حكم الصلة

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ

قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين
فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون

لما آتيتكم لمهما آتيتكم ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم قلت بلى لما بمعنى
في معنى ما آتيتكم فكأنه قيل للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرأ سعيد بن
جبير لما بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
وجب عليكم الإيمان به ونصرته وقيل أصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهي
الميمان والنون المنقلبة ميما بإدغامها في الميم فحذفوا إحداها فصارت لما ومعناه
من أجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى إصري عهدي وقرئ
أصري بالضم وهي لغة فيه سمي إصرا لأنه مما يؤصر أي يشد ويعقد ومنه الإصار الذي يعقد به
ويجوز أن يكون المضموم جمع إصار فاشهدوا فليشهد
بعضكم على بعض بالإقرار وأنا على ذلكم من إقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا
توكيد عليهم وتحذير من الرجوع إذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل
الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد فأولئك هم الفاسقون أي
المتمردون من الكفار أفغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة للإنكار أو محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز أن يعطف
على محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله وقدم المفعول لأنه المقصود بالإنكار
إلى المعبود بالباطل وروي أن أهل الكتاب اختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما اختلفوا فيه من دين إبراهيم عليه السلام وكل واحد من الفريقين ادعى أنه أولى به
فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا
نأخذ بدينك فنزلت وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة أبي عمرو وعاصم
هم المتولون والراجعون جميع الناس وقرئا بالياء معا وبالتاء معا طوعا بالنظر
في الأدلة والإنصاف من نفسه وكرها بالسيف أو بمعاينة ما يلجئ إلى الإسلام
كنتق الجبل على بني إسرائيل وإدراك الغرق فرعون والإشفاء على الموت فلما رأوا
بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين
ومكرهين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يخبر عن نفسه وعن من معه بالإيمان
فلذلك وحد الضمير في قل وجمع في آمنا ويجوز أن يؤمر بأن يتكلم عن نفسه كما
يتكلم الملوك إجلالا من الله لقدر نبيه فإن قلت لم عدي أنزل في هذه الآية
بحرف

بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين
جميعا لأن الوحي ينزل من فوق وينتهي إلى الرسل فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى
بالآخر ومن قال إنما قيل علينا لقوله قل وإلينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين
لأن الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء ويأتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف ألا
ترى إلى قوله وأنزلنا إليك الكتاب وإلى قوله آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا ونحن
له مسلمون موحدون مخلصون أنفسنا لا نجعل له شريكا في عبادتها ثم قال ومن يبتغ
غير الإسلام يعني التوحيد وإسلام الوجه لله دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين
وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع وقرئ ومن يبتغ غير الإسلام دينا بالإدغام
كيف يهدي الله قوما كيف يلطف بهم وليسوا من أهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على
كفرهم ودل على تصميمهم بأنهم كفروا بعد إيمانهم وبعد ما شهدوا بأن الرسول حق وبعد
ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا
بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة إيمانهم
من البينات وقيل نزلت في رهط كانوا أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بمكة منهم
طعمة بن أبيرق ووحوح بن الأسلت والحارث بن سويد بن الصامت فإن قلت
علام عطف قوله وشهدوا قلت فيه وجهان أن يعطف على ما في إيمانهم من
معنى الفعل لأن معناه بعد أن آمنوا كقوله تعالى فأصدق وأكن وقول الشاعر ليسوا
مصلحين عشيرة ولا ناعب ويجوز أن يكون الواو للحال بإضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا
أن الرسول حق والله لا يهدي لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم
أن اللطف لا ينفعهم إلا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد وأصلحوا
ما أفسدوا أو ودخلوا في الصلاح قيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته
وأرسل إلى قومه أن سلوا هل لي من توبة فأرسل إليه أخوه الجلاس بالآية فأقبل
إلى المدينة فتاب وقبل رسول الله توبته ثم ازدادوا كفرا هم اليهود كفروا
بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقرآن
أو كفروا برسول الله بعد ما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بإصرارهم
على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين

وصدهم عن الإيمان به وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة
وازديادهم الكفر أن قالوا نتربص بمحمد ريب المنون وإن أردنا الرجعة نافقنا
بإظهار التوبة فإن قلت قد علم أن المرتد كيف ما ازداد كفرا فإنه مقبول التوبة
إذا تاب فما معنى لن تقبل توبتهم قلت جعلت عبارة عن الموت على الكفر لأن الذي
لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر كأنه قيل إن اليهود والمرتدين الذين
فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم فإن قلت
فلم قيل في إحدى الآيتين لن تقبل بغير فاء وفي الأخرى فلن يقبل قلت قد أوذن
بالفاء أن الكلام بني على الشرط والجزاء وأن سبب امتناع قبول الفدية هو الموت
على الكفر وبترك الفاء أن الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما
تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم
فإن قلت فحين كان معنى لن تقبل توبتهم بمعنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت
على الكفر مسببا عن ارتدادهم وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب
وركوب الرين وجره إلى الموت على الكفر قلت لأنه كم من مرتد مزداد
للكفر يرجع إلى الإسلام ولا يموت على الكفر فإن قلت فأي فائدة في هذه
الكناية أعني أن كني عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة قلت
الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شأن أولئك الفريق من الكفار وإبراز حالهم
في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي أغلظ الأحوال وأشدها ألا ترى أن الموت
على الكفر إنما يخاف من أجل اليأس من الرحمة ذهبا نصب على التمييز وقرأ
الأعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون نفسا رجال فإن قلت
كيف موقع قوله ولو افتدى به قلت هو كلام محمول على المعنى كأنه قيل فلن
يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهبا ويجوز أن يراد ولو افتدى بمثله
كقوله ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم
كقولك ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه وأبو يوسف أبو حنيفة تريد مثله ولا هيثم
الليلة للمطي وقضية ولا أبا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل أبي حسن
كما أنه يزاد في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد أنت وذلك أن المثلين يسد أحدهما

مسد الآخر فكانا في حكم شيء واحد وأن يراد فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا
كان قد تصدق به ولو افتدى به أيضا لم يقبل منه وقرئ فلن نقبل من أحدهم ملء الأرض
على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ونصب ملء وملء الأرض بتخفيف الهمزتين
لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا أبرارا وقيل لن تنالوا بر الله
وهو ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى تكون نفقتكم من أموالكم التي تحبونها وتؤثرونها
كقوله أنفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رضوان الله عليهم إذا أحبوا شيئا جعلوه
لله وروي أنها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال يا رسول الله إن أحب أموالي إلي بيرحاء
فضعها يا رسول الله حيث أراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ مال رابح أو مال رائح وإني
أرى أن تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة أفعل يا رسول الله فقسمها في أقاربه
وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله
أسامة بن زيد فكأن زيدا وجد في نفسه وقال إنما أردت أن أتصدق فقال رسول الله
أما إن الله تعالى قد قبلها منك وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له
جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت أعجبته فقال إن الله تعالى
يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فأعتقها ونزل بأبي ذر ضيف فقال للراعي
ائتني بخير إبلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني قال وجدت خير الإبل فحلها فذكرت يوم
حاجتكم إليه فقال إن يوم حاجتي إليه ليوم أوضع في حفرتي وقرأ عبد الله حتى تنفقوا
بعض ما تحبون وهذا دليل على أن من في مما تحبون للتبعيض ونحوه أخذت من المال
ومن في من شيء للتبيين أي من أي شيء كان طيب تحبونه أو خبيث تكرهونه
فإن الله به عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه كل الطعام كل المطعومات أو كل أنواع
الطعام والحل مصدر يقال حل الشيء حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا
وفي حديث عائشة رضي الله عنها كنت أطيبه لحله وحرمه ولذلك استوى في الوصف
به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم والذي حرم إسرائيل
وهو يعقوب على نفسه لحوم الإبل وألبانها وقيل العروق كان به عرق النساء فنذر
إن شفي أن يحرم على نفسه أحب الطعام إليه وكان ذلك أحبه إليه فحرمه وقيل أشار
عليه الأطباء باجتنابه ففعل وذلك بإذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى

ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرائيل من قبل انزال التورية وتحريم ما حرم عليهم منها
لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه ابوهم اسرائيل
على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم مما
نعي عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الى قوله عذابا
اليما وفي قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم
شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما غاظهم واشمأزوا منه وامتعضوا مما نطق به
القرآن من تحريم الطيبات عليهم لظلمهم فقالوا لسنا باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم
قديم كانت محرمة على نوح وعلى ابرهيم ومن بعده من بني اسرائيل وهلم جرا الى ان
انتهى التحريم الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم
بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله واكل الربوا واخذ اموال الناس بالباطل وما عدد
من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم
قل فأتوا بالتورية فاتلوها امر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم
ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فروي انهم
لم يجسروا على اخراج التورية وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة
على صدق النبي صلى الله عليه وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه فمن افترى على الله
الكذب بزعمه ان ذلك محرمات على بني اسرائيل قبل انزال التورية من بعد
ما لزمهم من الحجة القاطعة فاولئك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون
من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات قل صدق الله تعريض بكذبهم كقوله ذلك
جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون
فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وهي ملة الاسلام التي عليها محمد ومن آمن معه حتى
تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم
الى تحريف كتاب الله لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي احلها الله
لابرهيم ولمن تبعه وضع للناس صفة لبيت والواضع هو الله تعالى يدل عليه
قراءة من قرأ وضع للناس بتسمية الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله بيتا للناس
انه جعله متعبدا لهم فكانه قال ان اول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله عليه

السلام انه سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل
كم بينهما قال اربعون سنة وعن علي رضي الله عنه ان رجلا قال له اهو اول بيت قال لا
قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واول
من بناه ابرهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه
قريش وعن ابن عباس هو اول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على
وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على
الماء فدحيت الارض تحته وقيل هو اول بيت بناه آدم في الارض وقيل لما اهبط
آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بالفي عام وكان في موضعه
قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات
للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم
النبيط والنميط في اسم موضع بالدهناء ونحوه من الاعتقاب امر راتب وراتم وحمى
مخمطة ومغبطة وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقه من بكه اذا
زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة رضي الله عنه يبك الناس بعضهم بعضا الرجال
والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كانها سميت ببكة وهي الزحمة
قال اذا الشريب اخذته اكه فخله حتى يبك بكه وقيل تبك اعناق الجبابرة اي
تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله مباركا كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره
وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من
المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من
فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم فيه آيات بينات مقام ابرهيم عطف بيان
لقوله آيات بينات فان قلت كيف صح بيان الواحد بالجماعة قلت
فيه وجهان احدهما ان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على
قدرة الله ونبوة ابرهيم عليه السلام من تأثير قدمه في حجر صلد كقوله تعالى ان ابرهيم
كان امة والثاني لاشتماله على آيات لان اثر القدم في الصخرة الصماء آية
وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاؤه دون
سائر آيات الانبياء عليهم السلام آية لابرهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه

من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنة آية ويجوز ان يراد فيه آيات
بينات مقام ابرهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة وما فوقها
ويجوز ان يذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كانه
قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله وكثير سواهما ونحوه في طي
الذكر قول جرير كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها
ومنه قوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في
الصلوة وقرأ ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة آية بينة
على التوحيد وفيها دليل على ان مقام ابرهيم واحد وحده عطف بيان فان قلت
كيف اجزت ان يكون مقام ابرهيم والامن عطف بيان للآيات وقوله ومن دخله
كان آمنا جملة مستأنفة اما ابتدائية واما شرطية قلت اجزت ذلك من
حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان آمنا دل على امن داخله فكانه قيل فيه آيات
بينات مقام ابرهيم وامن داخله الا ترى انك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان
آمنا صح في معنى قولك فيه آية بينة امن من دخله فان قلت كيف كان
سبب هذا الاثر قلت فيه قولان اصحهما انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف
ابرهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا
من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسمعيل انزل حتى نغسل رأسك فلم ينزل فجاءته
بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه
ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه ومعنى
ومن دخله كان آمنا معنى قوله اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس
من حولهم وذلك بدعوة ابرهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل
لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل
الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند ابي حنيفة من لزمه القتل في الحل بقصاص
او ردة او زنا فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى
ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل آمنا من النار وعن النبي صلى الله عليه
من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ

يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي
الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال
يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر
يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر
وعن النبي صلى الله عليه من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم
مسيرة مائتي عام من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس وروي ان رسول الله صلى الله عليه
فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وعليه
اكثر العلماء وعن ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا
وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا
يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك اذا قدر
ان يؤجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث
بمكة اكان يتركه بل ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج والضمير في اليه
للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيل اليه وفي هذا الكلام انواع من التأكيد
والتشديد منها قوله ولله على الناس حج البيت يعني انه حق واجب لله في
رقاب الناس لا ينفكون عن ادائه والخروج عن عهدته ومنها انه ذكر الناس ثم
ابدل عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من التأكيد احدهما ان الابدال
تثنية للمراد وتكرير له والثاني ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال
ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا
على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه من مات ولم يحج فليمت ان
شاء يهوديا او نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر
الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين
وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى
عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان ادل
على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود
فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت

يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين

جمع رسول الله اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال كتب عليكم الحج فلم يحجوا فآمنت به
ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه
فنزلت ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت
مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا حجوا قبل ان يمنع البر جانبه
وعن ابن مسعود رضي الله عنه حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تاكل
منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا وقرئ
حج البيت بالكسر والله شهيد الواو للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم
على صدق محمد والحال ان الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم عليها وهذه الحال
توجب ان لا تجسروا على الكفر بآياته قرأ الحسن تصدون من اصده عن سبيل
الله عن دين حق علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون
المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويبغون من اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل
اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات
والحروب ليعودوا لمثله تبغونها عوجا تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد
والاستقامة فان قلت كيف تبغونها عوجا وهو محال قلت
فيه معنيان احدهما انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم
ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله عن وجهها ونحو ذلك والثاني انكم
تتعبون انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم
من كل مستقيم وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل
او وانتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم
في عظائم امورهم وهم الاحبار وما الله بغافل وعيد فمحل تبغونها نصب على
الحال قيل مر شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على
المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في
مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تالفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في
الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود
ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان

وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم
عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي صلى الله عليه فخرج
اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد
اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعرف القوم انها
نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا
ثم انصرفوا مع رسول الله فما كان يوم اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم وكيف
تكفرون معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجيب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر
والحال ان آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية وبين
اظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم ومن يعتصم بالله ومن يتمسك
بدينه ويجوز ان يكون حثا لهم على الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم فقد
هدي فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كأن الهدى
قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله
متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده حق تقاته واجب تقواه
وما يحق منها وهو القيام بالمواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم
يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وعن عبد الله هو ان
يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو ان لا تأخذك
في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد
حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتاد ولا تموتن معناه
ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت كما تقول لمن تستعين به على
لقاء العدو لا تأتني الا وانت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف
الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان قوله اعتصموا بحبل الله يجوز ان يكون
تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق
يأمن انقطاعه وان يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد
او ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله
ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه او اجتمعوا على التمسك بعهده الى عباده وهو الايمان

وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم

يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم

والطاعة او بكتابه لقول النبي صلى الله عليه القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه
ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى
صراط مستقيم ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت
اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا
ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التي انتم
عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالاسلام كانوا في
الجاهلية بينهم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة فالف الله بين قلوبهم
بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا اخوانا متراحمين متناصحين
مجتمعين على امر واحد قد نظم بينهم وازال الاختلاف وهو الاخوة في الله
وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بينهما العداوة وتطاولت
الحروب مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول
الله وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار جهنم
لما كنتم عليه من الكفر فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا
وانما انث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم
وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتأنيث ولامها واو الا انها في المذكر مقلوبة
وفي المؤنث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة فان قلت
كيف جعلوا على حرف حفرة من النار قلت لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا
في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها
مشفين على الوقوع فيها كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم
تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى ولتكن منكم امة من للتبعيض لان الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف
والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن
معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن
غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده
انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه عبث كالانكار على اصحاب المآصر والجلا

اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون

ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون

والجلادين واضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون كقوله تعالى كنتم
خير امة اخرجت للناس تامرون واولئك هم المفلحون هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم
وعن النبي صلى الله عليه انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف
وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم وعنه عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن
المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله
عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب
لله غضب الله له وعن حذيفة يأتي على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار احب
اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثوري اذا كان
الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف تابع
للمأمور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي عن المنكر فواجب
كله لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح فان قلت ما طريق الوجوب
قلت قد اختلف فيه الشيخان رحمهما الله فعند ابي علي السمع والعقل
وعند ابي هاشم السمع وحده فان قلت ما شرائط النهي قلت
ان يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يامن ان ينكر الحسن وان لا يكون
ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله
وان لا يغلب على ظنه ان المنهي يزيد في منكراته وان لا يغلب على ظنه ان نهيه
لا يؤثر لانه عبث فان قلت فما شروط الوجوب قلت ان يغلب
على ظنه وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد آلاته
وان لا يغلب على ظنه انه لو انكر لحقته مضرة عظيمة فان قلت كيف
يباشر الانكار قلت يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان
الغرض كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا فان قلت
فمن يباشر قلت كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد اجمعوا
ان من رأى غيره تاركا للصلوة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد واما
الانكار الذي بالقتال فللامام وخلفائه اولى لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها
فان قلت فمن يؤمر وينهى قلت كل مكلف وغير مكلف اذا هم

بغير غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها
كما يؤخذون بالصلوة ليمرنوا عليها فان قلت هل يجب على مرتكب المنكر ان ينهى
عما يرتكبه قلت نعم يجب عليه لان ترك ارتكابه وانكاره واجبان عليه فبتركه
احد الواجبين لا يسقط الواجب الآخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن
الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال وايّنا يفعل ما يقول
ودّ الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر فان قلت
كيف قيل يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف قلت الدعاء الى الخير عام في
التكاليف من الافعال والتروك والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فجيء بالعام ثم عطف
عليه الخاص ايذانا بفضله كقوله والصلوة الوسطى كالذين تفرقوا واختلفوا هم اليهود
والنصارى من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق
وقيل هم مبتدعوا هذه الامة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية واشباههم يوم تبيض
وجوه نصب بالظرف وهو لهم او باضمار اذكروا وقرئ تبيضّ وتسودّ بكسر حرف المضارعة
والبياض والسواد من النور والظلمة فمن كان من اهل نور الحق
وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور
بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده
واسودّت صحيفته واظلمت واحاطت به ظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة
رحمته من ظلمات الباطل واهله اكفرتم فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من
حالهم والظاهر انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله بعد اعترافهم
به قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة
والنضير وقيل هم المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء وعن ابي امامة هم الخوارج
ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت
اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اشيء تقوله
برأيك ام شيء سمعته من رسول الله قال بل سمعته من رسول الله غير مرة قال فما شأنك
دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم
اخذ بيده فقال ان بأرضك منهم كثيرا فأعاذك الله منهم وقيل هم جميع الكفار لاعراضهم عما

ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم

عما اوجبه الاقرار حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ففي رحمة الله ففي
نعمته وهو الثواب المخلد فان قلت كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد قوله ففي
رحمة الله قلت موقع الاستيناف كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون
لا يظعنون عنها ولا يموتون تلك آيات الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك
ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه وما الله يريد ظلما
فيأخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن ونكّر ظلما وقال
للعالمين على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه فسبحان من يحلم عمن يصفه
بارادة القبائح والرضا بها كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام
وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى وكان الله
غفورا ومنه قوله كنتم خير امة كأنه قيل وجدتم خير امة وقيل كنتم في علم الله خير امة وقيل
كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة موصوفين به اخرجت اظهرت وقوله
تأمرون كلام مستأنف بيّن به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم
ويقوم بما يصلحهم وتؤمنون بالله جعل الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان
من آمن ببعض ما يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث او حساب او عقاب
او ثواب او غير ذلك لم يعتد بايمانه فكأنه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا والدليل عليه قوله ولو آمن
اهل الكتاب مع ايمانهم بالله لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما
آثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان لهم
من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لاجله مع الفوز
بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه
واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر لن يضروكم الا اذى الا ضررا مقتصرا على
اذى بقول من طعن في الدين او تهديد او نحو ذلك وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين
ولا يضروكم بقتل او اسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم
وفيه تثبيت لمن اسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم
بانهم لا يقدرون ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يبالى به مع انه وعدهم الغلبة عليهم

كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون

والاستقامة منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل فان قلت هلا جزم المعطوف
في قوله ثم لا ينصرون قلت عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الاخبار ابتداء
كأنه قيل ثم اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت فاي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى
قلت لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وحين رفع
كان نفي النصر وعدا مطلقا كأنه قال ثم شأنهم وقصتهم التي اخبركم عنها وابشركم
بها بعد التولية انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم
لهم امر وكان كما اخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر
فان قلت فما الذي عطف عليه هذا الخبر قلت جملة الشرط والجزاء
كأنه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت
فما معنى التراخي في ثم قلت التراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان
عليهم اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار فان قلت ما موقع الجملتين اعني
منهم المؤمنون ولن يضروكم قلت هما كلامان واردان على سبيل الاستطراد
عند اجراء ذكر اهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان فان من شأنه كيت وكيت
ولذلك جاءا من غير عاطف بحبل من الله في محل النصب على الحال بتقدير الا معتصمين
او متمسكين او متلبسين بحبل من الله وهو استثناء من اعم عام الاحوال والمعنى ضربت
عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس
يعني ذمة الله وذمة المسلمين اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى
الذمة لما قبلوه من الجزية وباؤا بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم المسكنة
كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود
عليهم لعنة الله وغضبه ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبواء
بغضب الله اي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء ثم قال ذلك بما
عصوا اي ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر وحده
ليس بسبب في استحقاق سخط الله وان سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق
بالكفر ونحوه ثم خاطب انهم اغرقوا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس
بالباطل الضمير في ليسوا لاهل الكتاب اي ليس اهل الكتاب مستوين وقوله من

من اهل الكتاب امة قائمة كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله
تأمرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة امة قائمة مستقيمة عادلة من قولك
اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم وعبّر عن تهجدهم بتلاوة
القرآن في ساعات الليل مع السجود لانه ابين لما يفعلون وادل على حسن صورة
امرهم وقيل عنى صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود اخّر
رسول الله صلوة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال
اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية
وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان لامة اي امة قائمة تالون مؤمنون
وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن
الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل
دون بعض ومن الايمان باليوم الآخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم
كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه
لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي واولئك
الموصوفون بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله
ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز ان يريد بالصالحين المسلمين فلن تكفروه
لما جاء وصف الله تعالى بالشكر في قوله والله شكور حليم في معنى توفية الثواب
نفى عنه نقيض ذلك فان قلت لم عدّي الى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان الا
الى واحد تقول شكر النعمة وكفرها قلت ضمّن معنى الحرمان فكأنه
قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه وقرئ تفعلوا وتكفروا بالياء والتاء والله
عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده
الا اهل التقوى الصرّ الريح الباردة نحو الصرصر قال لا تعدلن اتاويين تضربهم
نكباء صرّ باصحاب المحلات كما قالت ليلى الاخيلية ولم يغلب الخصم الالدّ وملاء
الجفان سديفا يوم نكباء صرصر فان قلت فما معنى قوله كمثل ريح فيها
صرّ قلت فيه اوجه احدها ان الصرّ في صفة الريح بمعنى الباردة

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون

توصف بها القرية بمعنى فيها قرة صر كما تقول برد بارد على المبالغة والثاني ان يكون الصر
مصدرا في الاصل بمعنى البرد فجئ به على اصله والثالث ان يكون من قوله تعالى لقد
كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ومن قولك ان ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل
قال ودون الرحمن للضعفاء كاف شبه ما كانوا ينفقون من اموالهم في المكارم والمفاخر
وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه
البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به الى الله مع كفرهم وقيل ما انفقوا
في عداوة رسول الله فضاع عنهم لانهم لم يبلغوا بانفاقه ما انفقوه لاجله وشبه بحرث
قوم ظلموا انفسهم فاهلك عقوبة لهم على معاصيهم لان الاهلاك عن سخط اشد
وابلغ فان قلت الغرض تشبيه ما انفقوا في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي
ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح قلت
هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله كمثل الذي استوقد نارا ويجوز ان يراد
مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ
تنفقون بالتاء وما ظلمهم الله الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بان لم يقبل
نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب الحرث الذين
ظلموا انفسهم اي وما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا
به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن انفسهم يظلمونها هم ولا يجوز ان يراد
ولكنه انفسهم يظلمون على اسقاط ضمير الشان لانه انما يجوز في الشعر بطانة
الرجل ووليجته خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه بشقوره ثقة به شبه ببطانة
الثوب كما يقال فلان شعاري وعن النبي صلى الله عليه الانصار شعار والناس
دثار من دونكم من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلقه بلا تتخذوا
وببطانة على الوصف اي بطانة كائنة دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم خبالا يقال
الا في الامر يألو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا آلوك
نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا امنعك نصحا ولا انقصكه والخبال
الفساد ودوا ما عنتم ودوا عنتكم على ان ما مصدرية والعنت شدة الضرر
والمشقة واصله انهياض العظم بعد جبره اي تمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم

بعض نسخ القرآن بعد ازفينا ... يد

اشد الضرر والمشقة قد بدت البغضاء من افواههم لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم انفسهم
وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وعن قتادة قد
بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك
وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص
في الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه ان كنتم تعقلون ما بين لكم فعملتم به
فان قلت كيف موقع هذه الجمل قلت يجوز ان يكون لا يألونكم خبالا
صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كانه قيل بطانة غير مألينكم خبالا بادية بغضاؤهم
واما قد بينا فكلام مبتدأ واحسن منه وابلغ ان تكون مستأنفات كلها على وجه
التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة ها للتنبيه وانتم مبتدأ واولاء خبره اي انتم
اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم بيان
لخطائهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وقيل اولاء موصول تحبونهم
صلته والواو في وتؤمنون للحال وانتصابها من لا يحبونكم اي لا يحبونكم والحال
انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم ولا يؤمنون بشيء
من كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ونحوه فانهم يألمون
كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل
والبنان والابهام قال الحرث بن ظالم المري فاقتل اقواما لئاما اذلة يعضون
من غيظ رؤس الاباهم قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى
يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز
اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار ان الله عليم بذات الصدور
فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو
بعضهم ببعض وهو كلام داخل في جملة المقول او خارج منها فان قلت
فكيف معناه على الوجهين قلت اذا كان داخلا في جملة المقول
فمعناه اخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم
بما هو اخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا ان شيئا من اسراركم
يخفى عليه واذا كان خارجا فمعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك

إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط

على ما يسرون فاني اعلم ما هو اخفى من ذلك وهو ما اضمروه في صدورهم ولم
يظهروه بالسنتهم ويجوز ان لا يكون ثم قول وان يكون قوله قل موتوا بغيظكم امرا لرسول الله بطيب
النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم
به كانه قيل حدث نفسك بذلك الحسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها
من المنافع والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على
ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة فان قلت كيف وصفت
الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة قلت المس مستعار لمعنى الاصابة فكان
المعنى واحدا الا ترى الى قوله ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة ما اصابك
من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه
الخير منوعا وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم او وان
تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في
كنف الله فلا يضركم كيدهم وقرئ لا يضركم من ضاره يضيره ويضره ويضركم على ان ضمة
الراء لاتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء
وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد
قال الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك ان الله بما
تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط ففاعل بكم ما انتم اهله وقرئ بالياء بمعنى انه
عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه واذ واذكر اذ غدوت من اهلك بالمدينة
وهو غدوه الى احد من حجرة عائشة رضي الله عنها روي ان المشركين نزلوا باحد
يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن
سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم
بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها
علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان
دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا
رجعوا خائبين وقال بعضهم اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم
وقال عليه السلام اني قد رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورأيت في

واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم

ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها
المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين فاتتهم بدر
واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس
لامته فلما رأوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله والوحي
يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى
يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من
شوال فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح ان رأى صدرا
خارجا قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد
وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا
تبوئ المؤمنين تنزلهم وقرأ عبد الله للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيئ مقاعد
للقتال مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى اجريا مجرى صار واستعمل
المقعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق قبل ان تقوم
من مقامك من مجلسك وموضع حكمك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم اذ همت
بدل من اذ غدوت او عمل فيه معنى سميع عليم والطائفتان حيان من الانصار بنو سلمة
من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان خرج رسول الله صلى الله عليه
في الف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح
ان صبروا فانخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل انفسنا
واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم
فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا
مع رسول الله وعن ابن عباس رضي الله عنه اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد
فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس وكما لا تخلو النفس عند الشدة
من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه
كما قال عمرو بن الاطنابة اقول لها اذا جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي
حتى قال معاوية عليكم بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي في الركاب يوم صفين
فما ثبتني الا قول عمرو بن الاطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله

ولذا تعالى يقول والله وليهما ويجوز أن يراد والله ناصرهما ومتولي أمرهما فما لهما
تفشلان ولا تتوكلان على الله **فإن قيل** ما معنى ما روي من قول بعضهم عند
نزول الآية والله ما يسرنا أنا لم نهم بالذي هممنا به وقد أخبرنا الله بأنه ولينا **قلت**
معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وإنزاله فيهم آية ناطقة
بصحة الولاية وأن تلك الهمة غير المأخوذ بها لأنها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت
سببا لنزولها والفشل الجبن والخور وقرأ عبد الله والله وليهم كقوله وإن طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا أمرهم بأن لا يتوكلوا إلا عليه ولا يفوضوا أمورهم إلا إليه ثم ذكر
ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة والأذلة
جمع قلة والذلان جمع الكثرة وجاء بجمع القلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلا
وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال أو قلة السلاح والمال والمركوب وذلك أنهم خرجوا
على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم إلا فرس واحد
وقلتهم أنهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرة زهاء ألف
مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة
كان لرجل يسمى بدرا فسمي به فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون
بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصرته أو لعلكم ينعم الله عليكم نعمة أخرى تشكرونها فوضع
الشكر موضع الإنعام لأنه سبب له إذ تقول ظرف لنصركم على أن يقول لهم ذلك
يوم بدر أو بدل ثان من إذ غدوت على أن يقوله لهم يوم أحد **فإن قيل**
كيف يصح أن يقوله لهم يوم أحد ولم ينزل فيه الملائكة **قلت** قاله لهم مع اشتراط
الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا أمر رسول
الله فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت وإنما قدم لهم
الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله
ألن يكفيكم إنكار أن لا يكفيهم الإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة وإنما
جيء بلن الذي هو لتأكيد النفي للإشعار بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم
وشوكته كالآيسين من النصر بلى إيجاب لما بعد لن يعني بلى يكفيكم الإمداد
بهم فأوجب الكفاية ثم قال إن تصبروا وتتقوا يمددكم بأكثر من ذلك العدد

مسومين للقتال ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا من قولك قفل من غزوته
وخرج من فوره إلى غزوة أخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول أبي حنيفة رحمه الله
الأمر على الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر إذا غلت فاستعير
للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل
خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث والمعنى أنهم إن يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم
ربكم بالملائكة في حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم يريد أن الله يعجل نصركم
وييسر فتحكم إن صبرتم واتقيتم وقرأ منزّلين بالتشديد ومنزِلين بكسر الزاي
بمعنى منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلمين ومعلمين
أنفسهم أو خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم وعن الضحاك
معلمين بالصوف الأبيض في نواصي الدواب وأذنابها وعن مجاهد مجزوزة أذناب
خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير
يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
لأصحابه تسوموا فإن الملائكة قد تسومت وما جعله الله إلا بشرى لكم
وما جعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بأنكم تنصرون ولتطمئن به قلوبكم
كما كانت السكينة لبني إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم وما
النصر إلا من عند الله لا من عند المقاتلة إذا تكاثروا ولا من عند الملائكة
والسكينة ولكن ذكر الإمداد مما يقوي به الله رجاء النصر والطمع في الرحمة ويربط
على قلوب المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي
النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة
منهم بالقتل والأسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من
رؤساء قريش وصناديدهم أو يكبتهم أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا
خائبين غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا
ويقال كبته بمعنى كبده إذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول أبي الطيب
لأكبت حاسدا وأري عدوا هو من الكبد والرئة واللام متعلقة بقوله ولقد
نصركم الله ببدر أو بقوله وما النصر إلا من عند الله أو يتوب عطف على ما قبله

وليس لك من الأمر شيء اعتراض والمعنى أن الله مالك أمرهم فإما أن يهلكهم أو يهزمهم
أو يتوب عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصروا على الكفر وليس لك من أمرهم شيء وإنما
أنت عبد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم وقيل أو يتوب منصوب بإضمار أن وأن يتوب
في حكم اسم معطوف بأو على الأمر أي ليس لك من أمرهم شيء أو من التوبة عليهم
أو من تعذيبهم أو ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم وقيل أو بمعنى
إلا أن كقولك لألزمنك أو تعطيني حقي على معنى ليس لك من أمرهم شيء إلا أن
يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شجه عتبة بن أبي
وقاص يوم أحد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى أبي حذيفة
يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم
إلى ربهم فنزلت وقيل أراد أن يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه أن فيهم من يؤمن
عن الحسن رحمه الله يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء أن يغفر إلا للتائبين
ويعذب من يشاء ولا يشاء أن يعذب إلا المستوجبين للعذاب وعن عطاء
يغفر لمن يتوب إليه ويعذب من لقيه ظالما وإتباعه قوله أو يتوب عليهم
أو يعذبهم فإنهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وأنهم المتوب عليهم أو الظالمون
ولكن أهل الأهواء والبدع يتصامون ويتعامون عن آيات الله فيخبطون
خبط عشواء ويطيبون أنفسهم بما يفترون على ابن عباس من قولهم يهب
الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا تأكلوا الربا
أضعافا مضاعفة نهي عن الربا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل
منهم إذا بلغ الدين محله زاد في الأجل فاستغرق بالشيء الطفيف
مال المديون واتقوا النار التي أعدت للكافرين كان أبو حنيفة رحمه الله يقول
هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين
إن لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد أمد ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين
لرحمته بتوفيقهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تأمل هذه الآيات وأمثالها
لم يحدث نفسه بالأطماع الفارغة والتمني على الله وفي ذكره تعالى لعل وعسى
في نحو هذه المواضع وإن قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن من

دقة مسلك التقوى وصعوبة إصابة رضا الله وعزة التوصل إلى رحمته وثوابه
في مصاحف أهل المدينة والشام سارعوا بغير واو وقرأ الباقون بالواو ويعضده
قراءة أبي وعبد الله وسابقوا ومعنى المسارعة إلى المغفرة والجنة الإقبال على ما
تستحقان به عرضها السموات والأرض أي عرضها كعرض السموات والأرض كقوله
عرضها كعرض السماء والأرض والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت بأوسع ما
علمه الناس من خلقه وأبسطه وخص العرض لأنه في العادة أدنى من الطول للمبالغة
كقوله بطائنها من إستبرق وعن ابن عباس رضي الله عنهما كسبع سموات وسبع أرضين
لو وصل بعضها ببعض في السراء والضراء في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة
والعسر لا يخلون بأن ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من كثير أو قليل كما
يحكى عن بعض السلف أنه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها أنها
تصدقت بحبة عنب أو في جميع الأحوال لأنها لا تخلو من حال مسرة ومضرة لا تمنعهم
حال فرح وسرور ولا حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس
أو في حبس فإنه لا يدع الإحسان وافتتح بذكر الإنفاق لأنه أشق شيء على النفس
وأدله على الإخلاص ولأنه كان في ذلك الوقت أعظم الأعمال للحاجة إليه في مجاهدة
العدو ومواساة فقراء المسلمين والكاظمين الغيظ كظم القربة إذا ملأها وشد فاها وكظم البعير
إذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو أن يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر
له أثرا وعن النبي عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه
أمنا وإيمانا وعن عائشة رضي الله عنها أن خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى
ما تركت لذي غيظ شفاء والعافين عن الناس إذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه وروي
ينادي مناد يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم إلا من عفا
وعن ابن عيينة أنه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أن هؤلاء في أمتي قليل إلا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الأمم التي مضت
والله يحب المحسنين يجوز أن تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل
تحته هؤلاء المذكورون وأن تكون للعهد فتكون إشارة إلى هؤلاء والذين عطف على
المتقين أي أعدت للمتقين وللتائبين وقوله أولئك إشارة إلى الفريقين ويجوز

ان يكون والذين مبتدأ خبره اولئك فاحشة فعلة متناهية في القبح او ظلموا انفسهم
او اذنبوا اي ذنب كان مما يؤاخذون به وقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس ما دونه
من القبلة واللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا
الله تذكروا عقابه او وعيده او نهيه او حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء
منه فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين ومن يغفر الذنوب
الا الله وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب من الذنب كمن
لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه وان عدله يوجب المغفرة للتائب
لان العبد اذا جاء في الاعتذار والتنصل باقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز
وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط
وان الذنوب وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم والمعنى انه وحده معه مصححات
المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يصروا ولم يقيموا
على قبيح فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه ما اصر من استغفر وان
عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم
يعلمون حال من فعل الاصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى وليسوا ممن يصرون
على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر من لم يعلم
قبح القبيح وفي هذه الآيات بيان قاطع ان الذين آمنوا على ثلث طبقات متقون
وتائبون ومصرون وان الجنة للمتقين منهم والتائبين منهم دون المصرين ومن
خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه نعم اجر العاملين بعد قوله جزاؤهم لانهما
في معنى واحد وانما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على ان ذلك جزاء واجب
على عمل واجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى
ما اقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن
شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب
نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن يقول الله
يوم القيامة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم وعن
رابعة البصرية انها كانت تنشد ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس

والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات
قد خلت من قبلكم سنن يريد ما سنه الله في الامم المكذبين من وقائعه كقوله وقتلوا
تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله
التي قد خلت من قبل هذا بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب
يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من
آثار هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين يعني انه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو
زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين ويجوز ان يكون قوله قد خلت جملة
معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين ويكون
قوله هذا بيان اشارة الى ما لخص وبين من امر المتقين والتائبين والمصرين ولا تهنوا
ولا تحزنوا تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما اصابهم يوم احد وتقوية من قلوبهم
يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به
ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم
اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون شانا لان قتالكم
لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم
في النار او هي بشارة لهم بالعلو والغلبة اي وانتم الاعلون في العاقبة وان جندنا
لهم الغالبون ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي بمعنى ولا تهنوا ان صح ايمانكم على ان
صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة باعدائه او بالاعلون
اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة ان يمسسكم قرح بفتح القاف
وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرأ
ابو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا
منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم
عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى ان لا تضعفوا دونه فانهم يالمون كما تالمون
وترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك يوم احد فقد نالوا منهم قبل ان
يخالفوا امر رسول الله فان قلت كيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم احد
مثل قرح المشركين قلت بل كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار

ولم يدل على قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم
في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون وتلك الايام تلك مبتدأ والايام صفته
نداولها خبره ويجوز ان يكون تلك الايام مبتدأ وخبرا كما تقول هي الايام تبلي كل
جديد والمراد بالايام اوقات الظفر والغلبة نداولها بين الناس نصرفها
بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله وهو من ابيات الكتاب فيوما
علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر وفي امثالهم الحرب سجال وعن ابي سفيان
انه صعد الجبل يوم احد فلبث ساعة ثم قال اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة
اين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله صلى الله عليه وهذا ابو بكر وها انا عمر
قال ابو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب سجال فقال عمر رضي الله عنه لا سواء
قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك فقد خبنا اذن وخسرنا
والمداولة مثل المعاودة قال يرد المياه فلا يزال مداولا في الناس بين تمثل
وسماع يقال داولت بينهم الشيء فتداولوه وليعلم الله الذين آمنوا فيه وجهان احدهما
ان يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا
ذلك وهو من باب التمثيل يعني فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان
منكم من غير الثابت والا فالله عز وجل لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها وقيل معناه
وليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني ان تكون
العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله
وانما حذف للايذان بان المصلحة فيما فعل ليست واحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم
ان العبد يسوءه ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر ان لله في ذلك من المصالح ما
هو غافل عنه ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين
يوم احد او وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة بما يبتلى به صبركم
من الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين
اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين
على الايمان المجاهدين في سبيل الله المحصين من الذنوب والتمحيص التطهير
والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز و

فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو اصلح لهم وان كانت على الكافرين
فلمحقهم ومحو آثارهم ام حسبتم ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما يعلم الله يعني لما
تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفائه
يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا
ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل
وتقول وعدني ان يفعل كذا ولما يريد ولم يفعل وانا اتوقع فعله وقرئ ولما
يعلم الله بفتح الميم وقيل اراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين
نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن وقرئ
بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على ان الواو
للحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت خوطب
به الذين لم يشهدوا بدرا فكانوا يتمنون ان يحضروا مشهدا مع رسول الله ليصيبوا من
كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين الحوا على رسول الله في الخروج الى
المشركين وكان رايه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل ان تشاهدوه
وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رأيتموه وانتم تنظرون اي رأيتموه معاينين
مشاهدين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان
تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله
بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده فان قلت كيف يجوز تمني
الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم قلت قصد متمني الشهادة الى نيل
كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه الى ذلك المتضمن كما ان من يشرب الدواء
دواء الطبيب النصراني قاصد الى حصول المامول من الشفاء ولا يخطر بباله ان فيه
جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيقا لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة رضي
الله عنه حين نهض الى مؤتة وقيل له ردكم الله لكنني اسأل الرحمن مغفرة
وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا او طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الاحشاء
حتى يقولوا اذا مروا على جدثي ارشدك الله من غاز وقد رشدا لما رمى عبد
الله بن قمئة الحارثي رسول الله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه اقبل يريد قتله

فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم أحد حتى قتله ابن قمئة
وهو يرى أنه رسول الله فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا إن محمدا قد قتل وقيل
كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفأوا وجعل رسول الله يدعو
عباد الله حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله
فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت
وروي أنه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن أبي يأخذ لنا أمانا
من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا إلى إخوانكم و
دينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم إن كان قتل محمد فإن رب
محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا
على ما مات عليه ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء وأبرأ إليك مما جاء به
هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين أنه مر بأنصاري يتشحط
في دمه فقال يا فلان أشعرت أن محمدا قد قتل فقال إن كان قتل فقد بلغ فقاتلوا
على دينكم والمعنى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا
وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه
لأن الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة وإلزام الحجة لا وجوده بين أظهر
قومه أفإن مات الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب
والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه
بموت أو قتل مع علمهم أن خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب أن يجعل
سببا للتمسك بدين محمد لا للانقلاب عنه [red: أو قتل] لم ذكر القتل وقد علم أنه لا
يقتل [red] لكونه مجوزا عند المخاطبين [red: انقلبتم] كما علموه
من ناحية قوله والله يعصمك من الناس [red] هذا مما يختص العلماء منهم
وذوي البصيرة الأخرى أنهم سمعوا خبر قتله فهربوا على أنه يخلها العصمة من
فتنة الناس وإضلالهم والانقلاب على الأعقاب الإدبار عما كان رسول
الله يقوم به من أمر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد أحد من المسلمين
ذلك اليوم إلا ما كان من قول المنافقين ويجوز أن يكون على وجه التغليظ عليهم

فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله وإسلامه فلن يضر الله شيئا
يعني فما ضر إلا نفسه لأن الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزي الله الشاكرين
الذين لم ينقلبوا كأنس بن النضر وأضرابه وسماهم شاكرين لأنهم شكروا نعمة
الإسلام فيما فعلوا المعنى أن موت الأنفس محال أن يكون إلا بمشيئة الله فأخرجه
مخرج فعل لا ينبغي لأحد أن يقدم عليه إلا أن يأذن له الله فيه تمثيلا ولأن ملك الموت
هو الموكل بذلك فليس له أن يقبض نفسا إلا بإذن من الله وهو على معنيين
أحدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو بإعلامهم أن الحذر لا ينفع
وأن أحدا لا يموت قبل بلوغ أجله وإن خوض المهالك واقتحم المعارك والثاني
ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو عليهم والتفافهم عليه وإسلام قومه
له نهزة للمختلسين من الحفظ والكلاءة وتأخير الأجل كتابا مصدر مؤكد لأن المعنى
كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب
الدنيا تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد نؤته منها أي من ثوابها وسنجزي
الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وقرئ يؤته
وسيجزي بالياء فيهما وقرئ قاتل وقتل وقتل بالتشديد والفاعل ربيون أو
ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه بمعنى قتل كائنا معه ربيون والقراءة بالتشديد
تنصر الوجه الأول وعن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون
الربانيون وقرئ بالحركات الثلاث والفتح على القياس والضم والكسر من
تغييرات النسب وقرئ فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا عند قتل النبي
وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما أصابهم من
الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة
المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبي
في طلب الأمان من أبي سفيان وما كان قولهم إلا قولهم وهو إضافة الذنوب
والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا والدعاء بالاستغفار
منها مقدما على طلب تثبيت الأقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو
ليكون طلبهم إلى ربهم عن زكاء وطهارة وخضوع أقرب إلى الاستجابة فآتاهم الله

يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا
خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين

ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وخص ثواب الآخرة
بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وأنه هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا
والله يريد الآخرة إن تطيعوا الذين كفروا قال علي رضي الله عنه نزلت في
قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم وعن
الحسن إن تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لأنهم كانوا يستغوونهم
ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما أصابه
وأصحابه ما أصابهم وإنما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه
وعن السدي إن تستكينوا لأبي سفيان وأصحابه وتستأمنوهم يردوكم إلى دينهم
وقيل هو عام في جميع الكفار وأن على المؤمنين أن يجانبوهم ولا يطيعوهم
في شيء ولا ينزلوا على حكمهم ولا على مشورتهم حتى لا يستجروهم بل الله مولاكم أي ناصركم
لا تحتاجون معه إلى نصرة أحد وولايته وقرئ بالنصب على بل أطيعوا الله مولاكم
سنلقي قرئ بالنون والياء والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله في
قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا إلى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة
وقيل ذهبوا إلى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم
ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله
الرعب في قلوبهم فأمسكوا بما أشركوا بسبب إشراكهم أي كان السبب في إلقاء
الله الرعب في قلوبهم إشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا أي آلهة لم ينزل الله بإشراكها
حجة [red: سلطانا] كأن هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الإشراك [red]
لم يعن أن هناك حجة إلا أنها لم تنزل عليهم لأن الشرك لا يستقيم أن تقوم عليه حجة
وإنما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر ولقد صدقكم
الله وعده وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله إن تصبروا وتتقوا
ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز أن يكون الوعد قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين
كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا إلى المدينة قال
ناس من المؤمنين من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك
أن رسول الله صلى الله عليه جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة

منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله
ذو فضل على المؤمنين إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم

عند الجبل وأمرهم أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين أو عليهم
فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى
انهزموا والمسلمون على آثارهم يحسونهم أي يقتلونهم قتلا ذريعا حتى إذا فشلتم
الفشل الجبن وضعف الرأي وتنازعوا فقال بعضهم فقد انهزم المشركون فما
موقفنا ههنا وقال بعضهم لا نخالف أمر رسول الله فثبت مكانه عبد الله بن
جبير أمير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة
ونفر أعقابهم ينهبون وهم الذين أرادوا الدنيا فكر المشركون وقتلوا عبد الله
بن جبير وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى هزموهم
وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليمتحن صبركم على المصائب
وثباتكم على الإيمان عندها ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان
أمر رسول الله والله ذو الفضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو أو هو متفضل
عليهم في جميع الأحوال سواء أديل لهم أو أديل عليهم لأن الابتلاء رحمة كما أن النصرة
رحمة [red] أين متعلق حتى إذا [red] محذوف تقديره حتى إذا
فشلتم منعكم نصره ويجوز أن يكون المعنى صدقكم الله وعده إلى وقت فشلكم إذ تصعدون
نصب بصرفكم أو بقوله ليبتليكم أو بإضمار اذكر والإصعاد الذهاب في الأرض
والإبعاد فيه يقال صعد في الجبل وأصعد في الأرض يقال أصعدنا من مكة
إلى المدينة وقرأ الحسن تصعدون يعني في الجبل وتصعدون الوادي قراءة أبي
إذ تصعدون في الوادي وقرأ أبو حيوة تصعدون بفتح التاء وتشديد
العين من تصعد في السلم وقرأ الحسن تلون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها
وقرئ يصعدون ويلوون بالياء والرسول يدعوكم كان يقول إلي عباد الله إلي
عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة في أخراكم في ساقتكم وجماعتكم
الأخرى وهي المتأخرة يقال جئت في آخر الناس وأخراهم كما تقول في أولهم و
أولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الأولى فأثابكم عطف على صرفكم أي فجازاكم
الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم بسبب غم أذقتموه رسول الله بعصيانكم له أو غما
مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما أرجف به من قتل رسول الله

ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله

والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والمقصود لكيلا تحزنوا لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار ويجوز ان يكون الضمير في فاثابكم للرسول اي فاساكم في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم فاثابكم غما اغتمه لاجلكم بسبب غم اغتممتموه لاجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم امره وانما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما اصابكم من غلبة العدو انزل الله الامن على المؤمنين وازال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن ابي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه وما احد الا ويميل تحت حجفته وعن الزبير لقد رايتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف فارسل الله علينا النوم

يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم

سورة ال عمران

لهم الغالبون يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الامر من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق يقولون

ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون
ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون

٣٠

سورة ال عمران

وقرئ بالياء يعني الذين كفروا لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين اولا في زعمهم ان من سافر من اخوانهم او

وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده من بعد خذلانه او هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقرأ عبيد بن عمير وان يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا وفيه ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله والتأييد وتحذير من المعصية ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان وعلى الله وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه يقال غل شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية يقال اغل الجازر اذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد والغل الحقد الكامن في الصدر ومنه قوله عليه السلام من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وقوله هدايا الولاة غلول وعنه ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه لا اغلال ولا اسلال ويقال اغله اذا وجده غالا كقولك ابخلته واجبنته ومعنى وما كان لنبي ان يغل وما صح له ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع الى المعنى الاول لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وفيه وجهان احدهما ان يبرأ رسول الله من ذلك وينزه وينبه على عصمته بان النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيئا منه وان لا يستريب به احد كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها وروي انها نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز لطلب الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم والثاني ان يكون مبالغة في النهي لرسول الله على ما روي انه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمي حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر ولو قرئ ان يغل من اغل بمعنى غل لجاز يأت بما غل يوم القيامة يأت بالذي غله يحمله على عنقه

كما جاء في الحديث جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وروي الا لا اعرفن احدكم يأتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك وعن بعض جفاة العرب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الآية فقال اذا احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز ان يراد به يأتي بما احتمل من وباله وتبعته واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله فلا يظلمون ما كسبت لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء بسخط من الله بسبب المعاصي ومأواه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين الاول ان الاول مكتسب العبد والثاني مكتسب منه هم درجات اي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله انت تتحرى هم درجات لمن دونهم وقيل ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم والمعاقبين والتفاوت بين الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين على من آمن مع رسول الله من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون بمبعثه من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فما وجه المنة عليهم في ان كان من انفسهم اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة فكان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله وقراءة فاطمة رضي الله عنها من انفسهم اي من اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه فيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسوس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس

أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير

ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوازن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم وفيه وجهان ان يراد لمن من الله على المؤمنين منه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة او يكون في محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه يتلو عليهم آياته بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات والخبائث وقيل يأخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم وان كانوا من قبل من قبل بعثة الرسول لفي ضلال ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وان الشأن والحديث كانوا من قبل في ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه اولما اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين ولما نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه والهمزة للتقريع والتقريع والواو عاطفة للجملة على ما مضى من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا انى هذا من اين هذا كقوله انى لك هذا قل هو من عند انفسكم وقوله من عند الله والمعنى انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او تخليتكم المركز وعن علي رضي الله عنه لاخذكم الفداء من اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم تارة ويصيب منكم اخرى وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين فهو كائن باذن الله اي بتخليته استعار الاذن لتخليته الكفار وانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لان الاذن مخل بين المأذون له ومراده وليعلم المؤمنين وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا وانما لم يقل فقالوا لانه جواب لسؤال اقتضاه

دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم ويجوز ان تقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون وبين ان يقاتلوا ان لم يكن بهم غم الآخرة دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه راسا لنفاقهم ودغلهم وذلك ما روي ان عبد الله بن ابي انخزل مع حلفائه فقيل له فقال ذلك وقيل او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف بصره لو امكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله او ادفعوا اراد اكثر سوادهم ووجه آخر وهو ان يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه لخطأ رأيكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء بالانفس الى التهلكة لان رأي عبد الله كان في الاقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يعني انهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين يقولون بافواههم لا يتجاوز ايمانهم افواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وان ايمانهم موجود في افواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم لافواههم والله اعلم بما يكتمون من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم والشماتة بهم وغير ذلك لانكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات وانا اعلم كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته الذين قالوا في اعرابه اوجه ان يكون نصبا على الذم او على الرد على الذين نافقوا او رفعا على هم الذين قالوا او على الابدال من واو يكتمون ويجوز ان يكون مجرورا بدلا عن الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم احد او اخوانهم

في البيت وفي سكك الدار وتعدوا اي وقالوا وقد قعدوا عن القتال لو اطاعونا
اخواننا فيما امرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن
انفسكم الموت ان كنتم صادقين يعني انكم وجدتم الى دفع القتل وهو القعود عن القتال
فجدوا الى دفع الموت سبيلا يعني ان ذلك الدفع غير مغن عنكم لانكم ان دفعتم القتل
الذي هو احد اسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر اسبابه المبثوثة ولا بد لكم
من ان يتعلق بكم بعضها وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا
فان قلت فقد كانوا صادقين في انهم دفعوا القتل عن انفسهم بالقعود فما
معنى قوله ان كنتم صادقين قلت معناه ان النجاة من القتل يجوز ان يكون
سببها القعود عن القتال وان يكون غيره لان اسباب النجاة كثيرة وقد يكون
قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم ان سبب نجاتكم القعود وانكم
صادقون في مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب غيره ووجه آخر ان كنتم صادقين
في قولكم لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين
كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرءوا عن انفسكم الموت استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا
دفاعين لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا ولا تحسبن الخطاب
لرسول الله او لكل احد وقرئ بالياء على ولا يحسبن رسول الله او ولا يحسبن
حاسب ويجوز ان يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين
قتلوا امواتا اي ولا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا فان قلت كيف
جاز حذف المفعول الاول قلت هو في الاصل مبتدأ فحذف كما حذف
المبتدأ في قوله احياء والمعنى هم احياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ ولا تحسبن بفتح
السين وقتلوا بالتشديد واحياء بالنصب على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم
مقربون عنده ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك يرزقون مثل ما يرزق
سائر الاحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي
هم عليها من التنعم برزق الله فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو التوفيق
في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم
احياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي صلى الله عليه لما

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله

لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر تدور في انهار الجنة
وتاكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ويستبشرون
باخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم اي لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم يريد
الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم
ومنزلتهم الا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم
من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم الله
بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم
على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم
واحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لاخوانه في الله وبشرى للمؤمنين بالفوز في
المآب وكرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
من ذكر النعمة والفضل وان ذلك اجر لهم على ايمانهم يجب في عدل الله وحكمته
ان يحصل لهم ولا يضيع وقرئ وان الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر على
الابتداء وعلى ان الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي وتعضدها قراءة عبد الله
والله لا يضيع الذين استجابوا مبتدأ خبره للذين احسنوا او صفة للمؤمنين او نصب
على المدح روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا
وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة
فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا
بالامس فخرج صلى الله عليه مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية
اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب
في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ومن في الذين احسنوا منهم للتبيين مثلها
في قوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا
لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لي عائشة
ان ابويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني ابا بكر والزبير الذين قال لهم الناس
ان الناس قد جمعوا لكم روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا
موسم بدر لقابل ان شئت فقال صلى الله عليه ان شاء الله فلما كان القابل خرج ابو

ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون

يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين

في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي
نعيم بن مسعود فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب
ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان خرج محمد ولم
اخرج زاده ذلك جراءة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم
فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم
احد الا شريد افتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم احد
وقيل مر بابي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من
زبيب ان ثبطوهم فكره المسلمون الخروج فقال صلى الله عليه والذي نفسي بيده لاخرجن
ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وهي
الكلمة التي قالها ابراهيم صلوات الله عليه حين القي في النار حتى وافوا بدرا
واقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى
المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق
وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاولون المثبطون والآخرون ابو سفيان
واصحابه فان قلت كيف قيل الناس ان كان نعيم هو المثبط وحده
قلت قيل ذلك لانه من جنس الناس كما قال فلان يركب الخيل ويلبس
البرود وما له الا فرس واحد وبرد فرد ولانه حين قال ذلك لم يخل من ناس من
اهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه فان قلت
الام يرجع المستكن في فزادهم قلت الى المقول الذي هو ان الناس قد
جمعوا لكم فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا او الى مصدر قالوا كقولك
من صدق كان خيرا له او الى الناس اذا اريد به نعيم وحده فان قلت كيف
زادهم نعيم او مقوله ايمانا قلت لما لم يسمعوا قوله واخلصوا عنده النية والعزم
على الجهاد واظهروا حمية الاسلام كان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد
الايقان بتناصر الحجج ولان خروجهم على اثر تثبيطه الى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات
من جملة الايمان لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل وعن ابن عمر قلنا يا رسول الله
ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار

وعن عمر انه كان ياخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا وعنه لو وزن ايمان ابي بكر بايمان
هذه الامة لرجح به حسبنا الله محسبنا الله اي كافينا يقال احسبه الشيء اذا كفاه والدليل
على انه بمعنى المحسب انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته لكونه في
اسم الفاعل غير حقيقية ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة
من الله وهي السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة كقوله ليس عليكم
جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو واتبعوا
رضوان الله بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا
وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء
وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم الشيطان
خبر ذلكم بمعنى انما ذلكم المثبط هو الشيطان ويخوف اولياءه جملة مستانفة بيان
لشيطنته او الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر والمراد بالشيطان
نعيم او ابو سفيان ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف بمعنى انما ذلكم قول
الشيطان اي قول ابليس لعنه الله يخوف اولياءه يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان
واصحابه ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود يخوفكم اولياءه وقوله فلا تخافوهم
وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله فان قلت فالام
يرجع الضمير في فلا تخافوهم على هذا التفسير قلت الى الناس
في قوله ان الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافوني
فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما يأمركم به ان كنتم مؤمنين يعني ان الايمان
يقتضي ان تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا يخشون احدا الا الله يسارعون
في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين
وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام فان قلت فما معنى قوله ولا يحزنك ومن
حق الرسول ان يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد قلت معناه
لا يحزنوك لخوف ان يضروك ويعينوا عليك الا ترى الى قوله انهم لن يضروا الله شيئا يعني
انهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم
بين كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة اي نصيبا

انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين

إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم

من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك أبلغ ما ضرب به الإنسان نفسه فإن قلت هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا في الآخرة وأي فائدة في ذكر الإرادة قلت فائدته الإشعار بأن الداعي إلى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى أن أرحم الراحمين يريد أن لا يرحمهم إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان إما أن يكون تكريرا للذين قبله للتأكيد والتسجيل عليهم بما أضاف إليهم وإما أن يكون عاما للكفار والأول خاصا فيمن نافق من المتخلفين أو ارتد عن الإسلام أو على العكس وشيئا نصب على المصدر لأن المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر الذين كفروا فيمن قرأ بالتاء نصب وإنما نملي لهم خير لأنفسهم بدل منه ولا تحسبن أنما نملي للكافرين خير لهم وأن مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين كقوله أم تحسب أن أكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن أن إملاءنا خير وكان حقها في قياس علم الخط أن تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الإمام متصلة فلا تخالف وتتبع سنة الإمام في خط المصاحف فإن قلت كيف صح مجيء البدل ولم يذكر إلا أحد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد قلت صح ذلك من حيث أن التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحى ألا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز أن يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب أن الإملاء خير لأنفسهم أو ولا تحسبن حال الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم ومن قرأ بالياء رفع والفعل متعلق بأن وما في حيزه والإملاء لهم تخليتهم وشأنهم مستعار من أملى لفرسه إذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو إمهالهم وإطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن أن الإملاء خير لهم من منعهم أو قطع آجالهم إنما نملي لهم ما هذه حقها أن تكتب متصلة لأنها كافة دون الأولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كأنه قيل ما بالهم لا يحسبون الإملاء خيرا لهم فقيل إنما نملي لهم ليزدادوا إثما فإن قلت كيف جاز أن يكون ازدياد الإثم غرضا لله تعالى في إملائه لهم قلت هو علة للإملاء وما كل علة بغرض ألا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس شيء منها بغرض لك وإنما هي علل وأسباب

فكذلك ازدياد الإثم جعل علة للإملاء وسببا فيه فإن قلت كيف يكون ازدياد الإثم علة للإملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب قلت لما كان في علم الله المحيط بكل شيء أنهم مزدادون إثما فكأن الإملاء وقع من أجله وبسببه على طريق المجاز وقرأ يحيى بن وثاب بكسر الأولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا أن إملاءنا لازدياد الإثم كما يفعلون وإنما هو ليتوبوا ويدخلوا في الإيمان وقوله إنما نملي لهم خير لأنفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه أن إملاءنا خير لأنفسهم إن عملوا فيه وعرفوا إنعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة فإن قلت ما معنى قوله ولهم عذاب مهين على هذه القراءة قلت معناه ولا تحسبوا أن إملاءنا لزيادة الإثم وللتعذيب والواو للحال كأنه قيل ليزدادوا إثما معدا لهم عذاب مهين اللام لتأكيد النفي على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمنين الخلص والمنافقين حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز من ميز وفي رواية عن ابن كثير يميز من أماز بمعنى ميز فإن قلت لمن الخطاب في أنتم قلت للمصدقين جميعا من أهل الإخلاص والنفاق كأنه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي إلى نبيه وإخباره بأحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب أي وما كان الله ليؤتي أحدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند إخبار الرسول بنفاق الرجل وإخلاص الآخر أنه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وإيمانها ولكن الله يرسل الرسول فيوحي إليه ويخبره بأن في الغيب كذا وأن فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الإخلاص فيعلم ذلك من جهة إخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات ويجوز أن يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بأن يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها إلا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الأرواح في الجهاد وإنفاق الأموال في سبيل الله فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فإن ذلك مما استأثر الله به وما كان الله ليطلع

ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب

فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم

أحدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها ولكن يجتبي من رسله من يشاء فيخبره ببعض المغيبات فآمنوا بالله ورسله بأن تقلدوه حق تقليده وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وأن تنزلوهم منازلهم بأن تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون إلا ما علمهم الله ولا يخبرون إلا بما أخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شيء وعن السدي قال الكافرون إن كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت ولا يحسبن من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا أي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله أو ضمير أحد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الأول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل وقرأ الأعمش بغير هو سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم أي سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق وفي أمثالهم تقلدها طوق الحمامة إذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكاة حية يطوقها في عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه إلى قدمه وتنقر رأسه وتقول أنا مالك وعن النبي صلى الله عليه وسلم في مانع الزكاة يطوق بشجاع أقرع وروي بشجاع أسود وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار ولله ميراث السموات والأرض وله ما فيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقرئ بما تعملون بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات وهي أبلغ في الوعيد والياء على الظاهر قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلو إما أن يقولوه عن اعتقاد لذلك أو عن استهزاء بالقرآن وأيهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر إلا عن متمردين في كفرهم ومعنى سماع الله له أنه لم يخف عليه وأنه أعد له كفاءه من العقاب سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة أو سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فإن قلت كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب وهلا قيل ولقد كتبنا قلت ذكر وجود السماع أولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن نفوتنا أبدا إثباته وتدوينه

ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة

كما لن نفوتنا قتلهم الأنبياء وجعل قتلهم الأنبياء قرينة له إيذانا بأنهما في العظم أخوان وبأن هذا ليس بأول ما ركبوه من العظائم وأنهم أصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق وأن من قتل الأنبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع أبي بكر رضي الله عنه إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإلى إقام الصلوة وإيتاء الزكوة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي إن الله فقير حين سألنا القرض فلطمه أبو بكر في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه إلى رسول الله وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قولهم يد الله مغلولة ونقول لهم ذوقوا وننتقم منهم بأن نقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب الحريق كما أذقتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه أحس وذق وقال أبو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق وقرأ حمزة سيكتب بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء وقرأ الحسن والأعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه ويقال ذوقوا ذلك إشارة إلى ما تقدم من عقابهم وذكر الأيدي لأن أكثر الأعمال يزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالأيدي على سبيل التغليب فإن قلت فلم عطف قوله وأن الله ليس بظلام للعبيد على ما قدمت أيديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيئات في استحقاق التعذيب قلت معنى كونه غير ظلام للعبيد أنه عادل عليهم ومن العدل أن يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن عهد إلينا أمرنا في التوراة وأوصانا بأن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه الآية الخاصة وهو أن يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتأكله كما كان أنبياء بني إسرائيل تلك آيتهم كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتأكله وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لأن أكل النار القربان لم يجب الإيمان للرسول الآتي به إلا لكونه آية ومعجزة فهو إذن وسائر الآيات سواء فلا يجوز أن يقترحه على الله تعالى من يجيء بالآيات وقد ألزمهم الله أن أنبياءهم جاؤهم بالبينات الكثيرة التي أوجبت عليهم التصديق وجاؤهم أيضا بهذه التي اقترحوها فلم قتلوهم إن كانوا صادقين أن الإيمان يلزمهم بإتيانها وقرئ بقربان بضمتين ونظيره السلطان فإن قلت ما معنى قوله وبالذي قلتم قلت معناه وبالذي قلتموه من قولهم قربان تأكله النار ومؤداه كقوله ثم يعودون لما قالوا أي المعنى ما قالوا

ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد

فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير
كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة فمن زحزح عن النار
وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور

في صحاف اهل الشام وبالزبر وهي الصحف والكتاب المنير التورية والانجيل
والزبور وهذه تسلية لرسول الله من تكذيب قومه وتكذيب اليهود قرأ اليزيدي ذائقة
الموت على الاصل وقرأ الاعمش ذائقة بطرح التنوين مع النصب كقوله ولا ذاكر الله
الا قليلا كيف اتصل قوله وانما توفون اجوركم اتصاله به
على ان كلكم تموتون ولا بد لكم من الموت ولا توفون اجوركم على طاعتكم ومعاصيكم عقيب
موتكم وانما توفونها يوم قيامكم عن القبور فهذا يوهم نفي ما يروى ان القبر
روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار كلمة التوفية تزيل هذا
الوهم لان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض
الاجور الزحزحة التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة فقد فاز فقد حصل
له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب
السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في
المآب وعن النبي صلى الله عليه من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه
منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وهذا شامل
للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام
ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن
سعيد بن جبير رضي الله عنه انما هذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها
متاع بلاغ خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون من الاذى
والشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق
من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه والبلاء في الانفس القتل والاسر
والجراح وما يرد عليها من انواع المخاوف والمصائب وفي الاموال الانفاق في سبيل
الخير وما يقع فيها من الآفات وما يسمعون من اهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف
وصد من اراد الايمان وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف من هجائه
رسول الله وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير فان ذلك
فان الصبر والتقوى من عزم الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور اي مما عزم الله
ان يكون يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا واذ اخذ الله

واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه
فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون

واذكر وقت اخذ الله ميثاق اهل الكتاب لتبيننه الضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب
بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلن
فنبذوه وراء ظهورهم فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه
والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه
بين عينيه وكفى به دليلا على انه مأخوذ على العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه
وان لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب
لمسارهم او لجر منفعة وحطام دنيا او لتقية مما لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم
وغيرة ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي صلى الله عليه من كتم علما عن اهله
الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب
وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك وعن محمد بن
كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله
حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ
على اهل العلم ان يعلموا وقرئ ليبيننه ولا يكتمونه بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية
مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن لا تحسبن خطاب
لرسول الله واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم
تأكيد لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين وقرئ لا تحسبن فلا تحسبنهم بضم الباء
على خطاب المؤمنين ولا يحسبن ولا يحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما على ان
الفعل للرسول وقرأ ابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان
الفعل للذين يفرحون بمفازة والمفعول الاول محذوف على لا يحسبنهم الذين يفرحون
بمفازة بمعنى لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين وفلا يحسبنهم تأكيد ومعنى بما
اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى انه كان وعده مأتيا
لقد جئت شيئا فريا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى اعطوا
وعن علي رضي الله عنه بما اوتوا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه روي
ان رسول الله صلى الله عليه سأل اليهود عن شيء مما في التورية فكتموا الحق
واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله

رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون
بما فعلوا من تدليسهم عليك بما سألتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما اوتوا
اوتوه من علم التورية وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله ويحبون ان يحمدوا
بما لم يفعلوا من اتباع دين ابراهيم حيث ادعوا ان ابراهيم كان على اليهودية وانهم على دينه
وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله فلما قفل اعتذروا اليه بانهم رأوا المصلحة
في التخلف واستحمدوا اليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما اتوا من اظهار الايمان
للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم
يفعلوه على الحقيقة لابطانهم الكفر ويجوز ان يكون شاملا لكل من يأتي بحسنة فيفرح بها
فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه ولله ملك
السموات والارض فهو يملك امرهم وهو على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم
لآيات لادلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته لاولي الالباب للذين
يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين
عما فيها من عجائب الفطر وفي النصائح الصغار املأ عينيك من زينة هذه الكواكب واجلها
في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل ان يسافر
بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر رضي الله عنهما قلت لعائشة رضي الله عنها
اخبريني باعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه فبكت واطالت ثم قالت كل امره
عجب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل
لك ان تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب
هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء
ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله
واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الارض
فاتاه بلال يؤذنه بصلوة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله ابتكي وقد غفر الله
لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا ابكي
وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قرأها
ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن علي رضي الله عنه ان النبي

صلى الله عليه كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات
والارض وحكي ان الرجل من عباد بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلثين سنة اظلته سحابة
فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت له امه لعل فرطة فرطت منك في مدتك قال ما اذكر
قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما اتيت الا من ذاك يذكرون الله
ذكرا دائما على اي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر في اغلب احوالهم
وعن ابن عمر رضي الله عنه وعروة بن الزبير وجماعة انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا
يذكرون الله فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون
الله على اقدامهم وعن النبي صلى الله عليه من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله
وقيل معناه يصلون في هذه الاحوال على حسب استطاعتهم قال رسول الله لعمران بن
الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء وهذه حجة
للشافعي رضي الله عنه في اضطجاع المريض على جنبه كما في اللحد وعند ابي حنيفة رحمه الله
انه يستلقي اذا وجد خفة قعد ومحل على جنوبهم نصب على الحال عطفا على ما قبله كانه
قيل قياما وقعودا ومضطجعين ويتفكرون في خلق السموات والارض وما يدل عليه
اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض
عجائبه على عظم شان الصانع وكبرياء سلطانه وعن سفيان الثوري انه صلى خلف المقام
ركعتين ثم رفع رأسه الى السماء فلما رأى الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم من طول حزنه
وتفكره وعن النبي صلى الله عليه بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى النجوم
والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال النبي صلى
الله عليه لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث
الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وذكر
عن النبي صلى الله عليه لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل
عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا
يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول
اي يقولون ذلك وهو في محل الحال بمعنى يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير
حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفتك

ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله فقنا عذاب النار لانه جزاء
من عصى ولم يطع ربنا ما خلقت هذا اشارة الى ما ذكر من الخلق على
ان المراد به المخلوق كانه قيل ويتفكرون في مخلوق السموات والارض او الى انها في معنى
المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم
كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويجوز ان يكون باطلا حالا من هذا وسبحانك
اعتراض للتنزيه من العبث وان يخلق شيئا بغير حكمة فقد اخزيته فقد ابلغت في اخزائه
وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه في كلامهم من ادرك الضمان فقد ادرك ومن سبق
فلانا فقد سبق وما للظالمين اللام اشارة الى من يدخل النار واعلام بان من
يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها سمعت رجلا يقول كذا اوقعت الفعل
على الرجل وحذفت المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته
حالا عنه فاغناك عن ذكره ولولا الوصف او الحال لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام
فلان او قوله فان قلت فاي فائدة في الجمع بين المنادي وينادي
ذكر المنادي مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشأن المنادي لانه لا منادي اعظم من
مناد ينادي للايمان ونحوه قولك مررت بهاد يهدي للاسلام وذلك ان المنادي
اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء النائرة او لاغاثة المكروب او لكفاية
بعض النوازل او لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي الطريق
ويهدي لسداد الرأي وغير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت
من شأن المنادي والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا والى كذا وندبه له ونادى له
ونحوه هداه للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان
جميعا والمنادي هو الرسول ادعو الى الله ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب
القرآن ان آمنوا اي آمنوا او بان آمنوا ذنوبنا كبائرنا سيئاتنا صغائرنا مع الابرار
مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم والابرار جمع بر او بار كرب وارباب
وصاحب واصحاب على رسلك على هذه صلة للوعد في قولك وعد الله الجنة
على الطاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك الا تراه كيف اتبع ذكر المنادي
للايمان وهو الرسول وقوله آمنا وهو التصديق ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف
اي

ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار

فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض

سورة آل عمران

اي ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل محملون ذلك فانما عليهم ما حمل
وقيل على السنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الاعداء انك لا
تخلف الميعاد معناه طلب التوفيق
فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد او هو باب من اللجاء الى الله والخضوع له كما كان
الانبياء عليهم السلام يستغفرون مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم
والتضرع اليه واللجاء الذي هو سيماء العبودية فاستجاب وقال استجاب له واستجابه فلم يستجبه
عند ذاك مجيب اني لا اضيع قرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على ارادة القول
وقرئ لا اضيع بالتشديد من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم من بعض اي يجمع ذكوركم
واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الآخر اي من اصله او كانه منه لفرط اتصالكم
واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء
مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني
اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا تفصيل
لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال
السنية الفائقة وهي المهاجرة عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة
واضطروا الى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشأوا بما سامهم المشركون من الخسف
واوذوا في سبيلي من اجله وبسببه يريد سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا وغزوا
المشركين واستشهدوا وقرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم
بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا
وقاتلوا على بنائهما للفاعل ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا
من عند الله لان قوله لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم وعنده مثل
اي يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد
يريد اختصاصه به وبملكه وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف
يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة
وحسن الاثابة من احتمال المشاق في دين الله والصبر على صعوبة
تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب

لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد

موصولا اليه بالعمل بالجهل والغباوة وروي عن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزبه
امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآية وعن
الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم الا انه اتبع
ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء لا يغرنك الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه او لكل احد اي لا تنظر الى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب
ودرك العاجل واصابة حظوظ الدنيا ولا تغترر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الارض
وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويدهقنون عن ابن عباس هم اهل مكة
وقيل هم اليهود وروي ان ناسا من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب
والرخاء ولين العيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع
والجهد فان قلت كيف جاز ان يغتر رسول الله بذلك حتى ينهى عن
الاغترار به قلت فيه وجهان احدهما ان مدرة القوم ومتقدمهم يخاطب
بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم والثاني ان رسول الله
صلى الله عليه كان غير مغرور بحالهم فاكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله
فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين فلا تطع المكذبين وهذا
في النهي نظير قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين آمنوا آمنوا وقد
جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب
منزلة المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب وقرئ لا
يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي ذلك متاع قليل وهو
التقلب في البلاد اراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة او في جنب ما اعد
الله للمؤمنين من الثواب او اراد انه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل
قال رسول الله صلى الله عليه ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه
في اليم فلينظر بم يرجع وبئس المهاد وساء ما مهدوا لانفسهم النزل والنزل ما
يقام للنازل قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات
له نزلا وانتصابه اما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز
ان يكون بمعنى مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله وما عند الله
من

لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار

وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب

سورة آل عمران

من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرأ مسلمة
بن محارب والاعمش نزلا بالسكون وقرأ يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد
وان من اهل الكتاب عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة
اهل الكتاب وقيل من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم
كانوا على دين عيسى عليه السلام فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي ملك
الحبشة ومعنى اصحمة عطية بالعربية وذلك انه لما مات نعاه جبريل الى رسول
الله صلى الله عليه فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم
فخرج الى البقيع ونظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر
فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه
فنزلت ودخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما كقوله وان منكم
لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين
لله حال من فاعل يؤمن لان من يؤمن في معنى الجمع لا يشترون بآيات الله
ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من احبارهم وكبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم
اي ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعدوه في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين
يؤتكم كفلين من رحمته ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستحق
كل عامل من الاجر ويجوز ان يراد انما توعدون لآت قريب بعد ذكر الموعد
اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا اعداء الله في الجهاد اي غالبوهم في الصبر
على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة باب من الصبر
ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته و
رابطوا واقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو
قال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى
الله عليه من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه
لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ
سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرأ السورة التي
يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون

سورة النساء مدنية وهي مائة وست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم
يا أيها الناس يا بني آدم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم
أبيكم فان قلت علام عطف قوله وخلق منها زوجها قلت فيه
وجهان أحدهما أن يعطف على محذوف كأنه قيل من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها
وخلق منها زوجها وإنما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه
صفتها وهي أنه أنشأها من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من أضلاعها
وبث منهما نوعي جنس الإنس وهما الذكور والإناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل
لكيفية خلقهم منها والثاني أن يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا أيها الناس
للذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه والمعنى خلقكم من نفس آدم لأنهم من جملة
الجنس المفرع منه وخلق منها أمكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الأمم
الفائتة للحصر فان قلت الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته أن يجاء عقيب
الأمر بالتقوى بما يوجبها أو يدعو إليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه إياهم من نفس واحدة
على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا إليها قلت لأن ذلك مما يدل
على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات
عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي إلى أن يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولأنه يدل
على النعمة السابغة عليهم فحقهم أن يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام
بشكرها أو أراد بالتقوى تقوى خاصة وهي أن يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا
يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة
من أرومة واحدة فيما يجب لبعضكم على بعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا
المعنى مطابق لمعاني السورة وقرئ وخالق منها زوجها وباث منهما على لفظ اسم
الفاعل وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو خالق تساءلون به تتساءلون فادغمت
التاء في السين وقرئ تسألون بطرح التاء الثانية أي يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول

نسألك بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وأنا شدك الله والرحم أو تسألون
غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رأيت الهلال وتراءيناه وتنصره
قراءة من قرأ تسألون به مهموزا وغير مهموز وقرئ والأرحام بالحركات الثلث فالنصب على
وجهين إما على واتقوا الله والأرحام أو أن يعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت
بزيد وعمرا وينصره قراءة ابن مسعود تساءلون به وبالأرحام والجر على عطف الظاهر على
المضمر وليس بسديد لأن الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد فكانا
في قولك مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره
أشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه
وغلام زيد ألا ترى إلى صحة قولك رأيتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لأنه لم
يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بأنها على تقدير تكرير الجار ونظيرها قول الشاعر فاذهب
فما بك والأيام من عجب والرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل والأرحام كذلك
على معنى والأرحام مما يتقى أو والأرحام مما يتساءل به والمعنى أنهم كانوا يقرون بأن لهم خالقا فكانوا
يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الله الذي خلقكم واتقوا الله الذي تتناشدون به واتقوا الأرحام
فلا تقطعوها أو واتقوا الله الذي تتعاطفون بإذكاره وإذكار الرحم وقد آذن عز وعلا إذ قرن
الأرحام باسمه أن صلتها منه بمكان كما قال ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا
وعن الحسن إذا سألك بالله فأعطه وإذا سألك بالرحم فأعطه وللرحم حجنة عند العرش ومعناه
ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه الرحم معلقة بالعرش فإذا أتاها الواصل بشت به وكلمته
وإذا أتاها القاطع احتجبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله عليه السلام تخيروا لنطفكم فقال يقول
لأولادكم وذلك أن يضع ولده في الحلال ألم تسمع قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام وأول
صلته أن يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فإنما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة
ويجتنب الدعوة ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله اليتامى الذين
مات آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة وقيل
اليتم في الأناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الأمهات فان قلت كيف جمع
اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى قلت فيه وجهان أن يجمع على
يتمى كأسرى لأن اليتم من وادي الآفات والأوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كأسارى

ويجوز أن يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الأسماء نحو صاحب وفارس ثم يقلب اليتائم يتامى
على القلب وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن
الآباء إلا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال فإذا استغنوا بأنفسهم عن
كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت
قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه يتيم أبي طالب إما على القياس وإما حكاية للحال
التي كان عليها صغيرا ناشئا في حجر عمه توضيعا له وأما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم
فما هو إلا تعليم الشريعة لا لغة يعني أنه إذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار فان قلت
فما معنى قوله وآتوا اليتامى أموالهم قلت إما أن يراد باليتامى الصغار وبإيتائهم أموالهم
أن لا يطمع فيها الأولياء والأوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها أيديهم الخاطفة
حتى تأتي اليتامى إذا بلغوا سالمة غير محذوفة وإما أن يراد الكبار تسمية لهم يتامى على
القياس أو لقرب عهدهم إذ بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها على أن
فيه إشارة إلى أن لا يؤخر دفع أموالهم إليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا إن أونس منهم الرشد
وأن يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هي في رجل من غطفان
كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا إلى النبي صلى الله
عليه فنزلت فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير
فدفع ماله إليه فقال النبي عليه السلام ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فإنه يحل داره
يعني جنته فلما قبض الفتى ماله أنفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه ثبت الأجر
ثبت الأجر وبقي الوزر قالوا يا رسول الله قد عرفنا أنه ثبت الأجر فكيف بقي
الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت أجر الغلام وبقي الوزر على والده ولا تتبدلوا
الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما أبيح لكم من المكاسب
ورزق الله المبثوث في الأرض فتأكلوه مكانه أو لا تستبدلوا الأمر الخبيث وهو اختزال
أموال اليتامى بالأمر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز
منه التعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار قال ذو الرمة فيا كرم السكن الذين
تحملوا عن الدار والمستخلف المتبدل أراد ويا لؤم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل
هو أن يعطي رديا ويأخذ جيدا وعن السدي أن يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا

وهذا ليس بتبدل وإنما هو تبديل إلا أن يكارم صديقا له فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من
مال الصبي ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا تضموها إليها في
الإنفاق حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال
فان قلت قد حرم عليهم أكل مال اليتامى وحده ومع أموالهم فلم ورد النهي عن
أكله معها قلت لأنهم إذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامى بما رزقهم الله تعالى
من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح أبلغ والذم أحق ولأنهم كانوا يفعلون
كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون أزجر لهم والحوب الذنب العظيم ومنه قوله عليه
السلام إن طلاق أم أيوب لحوب فكأنه قيل إنه كان ذنبا عظيما كبيرا وقرأ الحسن حوبا
بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا ونظير الحوب والحاب القول والقال والطرد
والطرد ولما نزلت الآية في اليتامى وما في أكل أموالهم من الحوب الكبير خاف الأولياء
أن يلحقهم الحوب بترك الإقساط في حقوق اليتامى وأخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل
منهم ربما كانت تحته العشر من الأزواج والثماني والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل
بينهن فقيل لهم إن خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضا ترك
العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لأن من تحرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب
مثله فهو غير متحرج ولا تائب عنه لأنه إنما وجب أن يتحرج من الذنب ويتاب عنه لقبحه
والقبح قائم في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى
فقيل إن خفتم الحوب في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا
حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال أو يكون وليها فيتزوجها ضنا
بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن
أن يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم إن خفتم أن لا تقسطوا في يتامى
النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويقال للإناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة
على القلب كما قيل أيامى والأصل أيائم ويتائم وقرأ النخعي تقسطوا بفتح التاء على أن
لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريد وإن خفتم أن تجوروا ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لأن
منهن ما حرم كاللاتي في آية التحريم وقيل ما ذهابا إلى الصفة ولأن الإناث من العقلاء
يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى وما ملكت أيمانكم مثنى وثلاث ورباع معدولة

عن اعداد مكررة وانما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن
تكررها وهي نكرات يعرفن بلام التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن
النصب على الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين
وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فان قلت الذي اطلق للناكح في الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث
او اربع فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير
ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد من العدد الذي اطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال
وهو الف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولو افردت لم يكن له معنى
فان قلت فلم جاء العطف بالواو دون او قلت كما جاء بالواو في المثال
الذي حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين او ثلاثة ثلاثة
او اربعة اربعة اعلمت انه لا يسوغ لهم ان يقتسموه الا على احد هذه القسمة وليس لهم ان
يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب
معنى تجويز الجمع بين انواع القسمة الذي دلت عليه الواو وتحريره ان الواو دلت على اطلاق
ان ياخذ الناكحون من ارادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع ان شاؤا مختلفين في تلك
الاعداد وان شاؤا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك وقرا ابرهيم وثلث وربع
على القصر من ثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا بين هذه الاعداد كما خفتم ترك العدل
فيما فوقها فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع راسا فان الامر كله يدور مع العدل
فاينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدة بالرفع على فالمقنع واحدة او فكفت واحدة
او فحسبكم واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين
الاماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري انهن اقل تبعة واقصر شغبا واخف مؤنة من
المهائر لا عليك اكثرت منهن ام اقللت عدلت بينهن في القسم ام لم تعدل عزلت عنهن
ام لم تعزل وقرا ابن ابي عبلة من ملكت ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسري
ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وميزان فلان
عائل وعال الحاكم في حكمه اذا جار وروي ان اعرابيا حكم عليه حاكم فقال له اتعول علي وقد
روت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه الا تعولوا الا تجوروا والذي
يحكى عن الشافعي انه فسر الا تعولوا ان لا تكثر عيالكم فوجهه ان يجعل من قولك عال

الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه
ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال
والرزق الطيب وكلام مثله من اعلام العلم وائمة الشرع ورؤس المجتهدين حقيق بالحمل
على الصحة والسداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا فقد روي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من في اخيك سوءا وانت تجد لها في الخير محملا وكفى
بكتابنا المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهدا بانه اعلى كعبا واطول باعا
في علم كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا واساليب فسلك في
تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات فان قلت كيف يقل عيال من تسرى وفي
السراري نحو ما في المهائر قلت ليس كذلك لان الغرض بالتزوج التوالد
والتناسل بخلاف التسري ولذلك جاز العزل عن السراري بغير اذنهن فكان التسري
مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وقرا
طاوس ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي
من حيث المعنى الذي قصده صدقاتهن مهورهن وفي حديث شريح قضى ابن عباس لها
بالصدقة وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن وصدقاتهن
بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وقرئ صدقتهن بضم الصاد
والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة كقولك في ظلمة ظلمة نحلة من نحله
كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث ابي بكر
الصديق رضي الله عنه لعائشة اني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية
وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكانه قيل وانحلوا النساء
صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحال من المخاطبين
اي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات اي منحولة
معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن
وقيل النحلة الملة ونحلة الاسلام خير النحل وفلان ينتحل كذا اي يدين به والمعنى
آتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول لها ويجوز ان يكون حالا من الصدقات
اي دينا من الله شرعه وفرضه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون

مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن تولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج
به مالك اي تعظمه الضمير في منه جار مجرى اسم الاشارة كانه قيل عن شيء من ذلك كما
قال تعالى قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من افواه
العرب ما روي عن رؤبة انه قيل له في قوله كانه في الجلد توليع البهق فقال اردت
كان ذاك او يرجع الى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق لانك لو قلت وآتوا النساء
صداقهن لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله فاصدق واكن من الصالحين كانه قيل اصدق
ونفسا تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فان
وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما
يضطرهن الى الهبة من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم فكلوه فانفقوه قالوا فان
وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة علم انها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي ان رجلا
اتى مع امراته شريحا في عطية اعطتها اياه وهي تطلب ان ترجع فقال شريح رد عليها فقال
الرجل اليس قد قال الله تعالى فان طبن لكم قال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه
وعنه اقيلها فيما وهبت ولا اقيله لانهن يخدعن وحكي ان رجلا من آل ابي معيط
اعطته امراته الف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته الى عبد
الملك بن مروان فقال الرجل اعطتني طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فاين الاية التي
بعدها فلا تاخذوا منه شيئا اردد عليها وعن عمر رضي الله عنه انه كتب الى قضاته ان
النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امراة اعطت ثم ارادت ان ترجع فذلك لها وعن
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه سئل عن هذه الاية فقال اذا جادت لزوجها
بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان فلا يواخذكم الله به في الاخرة وروي
ان ناسا كانوا يتاثمون ان يرجع احدهم في شيء مما ساق الى امراته فقال الله تعالى ان
طابت نفس واحدة من غير اكراه ولا خديعة فكلوه سائغا هنيئا وفي الاية دليل على
ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل
فان طبن لكم عن شيء منه ولم يقل فان وهبن او سمحن اعلاما بان المراعى هو تجافي
نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فان طبن لكم عن شيء منه ولم يقل فان طبن لكم عنه
بعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها الا باليسير
وعن

وعن الاوزاعي لا يجوز تبرعها ما لم تلد او تقم في بيت زوجها سنة ويجوز ان يكون تذكير الضمير
لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو انث لتناول ظاهره هبة الصداق
كله لان بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا الهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام
ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما يحمد عاقبته
وقيل هو ما يساغ في مجراه وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم الى فم المعدة المريء لمروء الطعام
فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء
مريء وقد يوقف على فكلوه ويبتدا هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا
مقام المصدرين كانه قيل هنأ مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة
التبعة السفهاء المبذرون اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي لهم باصلاحها وتثميرها
والتصرف فيها والخطاب للاولياء واضاف الاموال اليهم لانها من جنس ما يقيم به الناس
معايشهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والدليل على
انه خطاب للاولياء في اموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم جعل الله لكم قياما اي
تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكانها في انفسها قيامكم وانتعاشكم
وروي قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرا عبد الله بن عمر قواما بالواو وقوام
الشيء ما يقام به كقولك هو ملاك الامر لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن
ولان اترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان وكانت
له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس وعن غيره وقيل له انها تدنيك من الدنيا
لئن ادنتني من الدنيا لقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان
اذا احتاج احدكم كان اول ما ياكل دينه وربما راوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب
الى دكانك وارزقوهم فيها واجعلوها مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتتربحوا حتى
تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فلا ياكلها الانفاق وقيل هو امر لكل
احد ان لا يخرج ماله الى احد من السفهاء قريب او اجنبي رجل او امراة يعلم انه يضعه
فيما لا ينبغي ويفسده قولا معروفا قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا
اليكم اموالكم وعن عطاء اذا ربحت اعطيتك وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا
وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله واياك وبارك الله فيك

وكلما سكنت اليه النفس واحسنته لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف وما
انكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم
بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا تبينتم منهم رشدا اى هداية دفعتم اليهم اموالهم من غير
تاخير عن حد البلوغ وبلوغ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به
وهو التوالد والتناسل والايناس استيضاح فاستعير للتبيين واختلف فى الابتلاء والرشد
فالابتلاء عند ابى حنيفة واصحابه ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يتبين حاله فيما يجئ
والرشد التهدى الى وجوه التصرف وعن ابن عباس الصلاح فى العقل والحفظ للمال وعند
مالك والشافعى الابتلاء ان تتبع احواله وتصرفه فى الاخذ والاعطاء وتبصر مخايله وميله
الى الدين والرشد الصلاح فى الدين لان الفسق مفسدة للمال فان قلت
فان لم يونس منه رشد الى حد البلوغ قلت عند ابى حنيفة رحمه الله ينتظر الى خمس
وعشرين سنة لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثمانى عشرة سنة فاذا زادت عليها
سبع سنين وهى مدة معتبرة فى تغير احوال الانسان لقوله عليه السلام مروهم بالصلوة لسبع دفع
اليه ماله اونس منه رشد او لم يونس وعند اصحابه لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد
فان قلت ما معنى تنكير الرشد قلت معناه نوعا من الرشد وهو الرشد
فى التصرف والتجارة او طرفا من الرشد ومخيلة من مخائله حتى لا ينتظر به تمام الرشد
فان قلت كيف نظم الكلام قلت ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم
جعل غاية للابتلاء وهى حتى التى تقع بعدها الجمل كالتى فى قوله فما زالت القتلى تمج دماءها
بدجلة حتى ماء دجلة اشكل والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى
الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة
من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذى هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى
الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وقرأ ابن مسعود
فان احستم بمعنى احسستم قال احسن به فهن اليه شوس وقرئ رشدا بفتحتين
ورشدا بضمتين اسرافا وبدارا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم
كبرهم تفرطون فى انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهى قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها
من ايدينا ثم قسم الامر بين ان يكون الوصى غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغنى يستعف

من اكلها ولا يطمع ويقتنع بما رزقه الله من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله
والفقير ياكل قوتا مقدرا محتاطا فى تقديره على وجه الاجرة او استقراضا على ما
فى ذلك من اختلاف ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان للوصى حقا
لقيامه عليها وعن النبى صلى الله عليه ان رجلا قال له ان فى حجرى يتيما افآكل من
ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله فقال افاضربه قال مما كنت ضاربا
منه ولدك وعن ابن عباس ان ولى اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت
تبغى ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر
بنسل ولا ناهك فى الحلب وعنه يضرب بيده مع ايديهم فلياكل بالمعروف ولا يلبس
عمامة فما فوقها وعن ابرهيم لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة
وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن
الشعبى ياكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضى
وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن
وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه
وان اعسر فهو فى حل وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انى انزلت نفسى من مال الله
منزلة والى اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا
ايسرت قضيت واستعفف ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة فاشهدوا عليهم
بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك ابعد من التهاتم والتجاحد وادخل
فى الامانة وبراءة الساحة الا ترى انه اذا لم يشهد فادعى عليه صدق مع اليمين
عند ابى حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعى لا يصدق الا بالبينة فكان فى الاشهاد
الاستبراء من توجه الحلف المفضى الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة
وكفى بالله حسيبا اى كافيا فى الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا فعليكم بالتصادق
واياكم والتكاذب الاقربون هم المتوارثون من ذوى القرابات دون غيرهم مما قل
منه او كثر بدل من مما ترك بتكرير العامل ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص
بمعنى اعنى نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستاثر به
ويجوز ان ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة

روى ان اوس بن صامت الانصارى ترك امراته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه
سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء
والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت
ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه فى مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعى حتى انظر
ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا
ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فى اولادكم فاعطى ام كحة الثمن والبنات
الثلثين والباقى ابنى العم واذا حضر القسمة اى قسمة التركة اولوا القربى ممن لا يرث
فارزقوهم منه الضمير لما ترك الوالدان والاقربون وهو امر على الندب قال الحسن
كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشئ من رثة
المتاع فحضهم الله تعالى على ذلك تاديبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة
لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق وروى ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابى بكر
رضى الله عنه قسم ميراث ابيه وعائشة رضى الله عنها حية فلم يدع فى الدار احدا الا
اعطاه وتلا هذه الاية وقيل هو على الوجوب وقيل هو منسوخ باية الميراث كالوصية
وعن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس
والقول المعروف ان يلطفوا لهم القول ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا
ما اعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعى ادركنا الناس وهم يقسمون
على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق والذهب فاذا قسم
الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم
قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم لو تركوا فى حيز صلة للذين والمراد بهم الاوصياء
امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من فى حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم
على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك فى انفسهم ويصوروه
حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز ان يكون المعنى وليخشوا على اليتامى
من الضياع وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك
من الله شيئا فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا
على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولاد انفسهم لو كانوا ويجوز ان

يتصل بما قبله وان يكون امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء
اقاربهم واليتامى والمساكين وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضائعين
محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة فان قلت ما معنى وقوع
لو تركوا وجوابه صلة للذين قلت معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم
انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع
بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال لقد زاد الحيوة الى حبا بناتى انهن من الضعاف
احاذر ان يرثن البؤس بعدى وان يشربن رنقا بعد صاف وقرئ ضعفاء وضعافى
وضعافى نحو سكارى وسكارى والقول السديد من الاوصياء ان لا يوذوا اليتامى
ويكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بنى ويا ولدى
ومن الجالسين الى المريض ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف فى وصيتك
فتجحف باولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه لسعد انك ان تترك ولدك اغنياء
خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة رضى الله عنهم يستحبون
ان لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث ومن المتقاسمين
ميراثهم ان يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين ظلما ظالمين او على وجه الظلم من
اولياء السوء وقضاته فى بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان فى بطنه وفى
بعض بطنه قال كلوا فى بعض بطنكم تعفوا ومعنى ياكلون نارا ياكلون ما يجر
الى النار فكانه نار فى الحقيقة وروى انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة
والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه
كان ياكل مال اليتيم فى الدنيا وقرئ سيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها
سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف يوصيكم الله يعهد اليكم ويامركم فى اولادكم
فى شان ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال تفصيله للذكر مثل حظ
الانثيين فان قلت هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف
حظ الذكر قلت ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك
ولان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قصد الى بيان فضل الذكر وقولك للانثيين
مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى وما كان قصدا الى بيان فضله كان ادل

على فضلة من التفصيل لبيان نقص غيره عنه ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون
الإناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الإناث
فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع إدلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به
فإن حظ الأنثيين الثلثان فكأنه قيل للذكر الثلثان — قلت أريد حال الاجتماع
لا الانفراد أي إذا اجتمع الذكر والأنثيان كان له سهمان كما أن لهما سهمين وأما
في حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان تأخذان الثلثين والدليل على
أن الغرض حكم الاجتماع أنه أتبعه حكم الانفراد وهو قوله فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن
ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم أي من أولادكم فحذف الراجع إليه لأنه مفهوم كقولهم السمن
منوان بدرهم فإن كن نساء أي فإن كانت البنات أو المولودات نساء خلصا ليس
معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين يجوز أن يكون خبرا ثانيا لكان وأن
يكون صفة لنساء أي نساء زائدات على اثنتين وإن كانت واحدة وإن كانت البنت
أو المولودة منفردة فذة ليس معها أخرى فلها النصف وقرئ واحدة بالرفع على
كان التامة والقراءة بالنصب أوفق لقوله فإن كن نساء وقرأ زيد بن ثابت النصف
بالضم والضمير في ترك للميت لأن الآية لما كانت في الميراث علم أن التارك هو الميت
فإن قلت قوله للذكر مثل حظ الأنثيين كلام مسوق لبيان
حظ الذكر من الأولاد لا لبيان حظ الأنثيين فكيف صح أن يردف قوله فإن
كن نساء وهو لبيان حظ الإناث — قلت وإن كان مسوقا لبيان حظ
الذكر إلا أنه لما فقه منه وتبين حظ الأنثيين مع أخيهما كان كأنه مسوق
للأمرين جميعا فلذلك صح أن يقال فإن كن نساء — فإن قلت هل يصح أن يكون الضميران
في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على أن كان تامة — قلت
لا أبعد ذلك — فإن قلت لم قيل فإن كن نساء ولم يقل وإن كانت امرأة
لأن الغرض ثمة خلوصهن إناثا لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع
الذكور في قوله للذكر مثل حظ الأنثيين وبين انفرادهن فأريد هنا أن يميز بين
كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها — فإن قلت قد ذكر
حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر
حكم

حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر — قلت أما حكمهما ففيه اختلاف
فابن عباس أبى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى فإن كن نساء فوق اثنتين فأعطاهما حكم
الواحدة وهو ظاهر مكشوف وأما سائر الصحابة فقد أعطوهما حكم الجماعة والذي يعلل به قولهم
أن قوله للذكر مثل حظ الأنثيين قد دل على أن حكم الأنثيين حكم الذكر وذلك أن الذكر
كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالأنثيان كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الأنثيين
قيل فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى فإن كن جماعة بالغات ما بلغن
من العدد فلهن ما للأنثيين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم أن حكم الجماعة حكم
الثنتين بغير تفاوت وقيل إن البنتين أمس رحما بالميت من الأختين فأوجبوا لهما
ما أوجب الله تعالى للأختين ولم يروا أن يقصروا بهما عن حظ من هو أبعد رحما منهما وقيل
إن البنت لما وجب لها مع أخيها الثلث كانت أحرى أن يجب لها الثلث إذا كانت مع أخت
مثلها ويكون لأختها معها مثل ما كان يجب لها أيضا مع أخيها لو انفردت معه فوجب لهما
الثلثان ولأبويه الضمير للميت ولكل واحد منهما بدل من لأبويه بتكرير العامل وفائدة
هذا البدل أنه لو قيل ولأبويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولأبويه السدسان
لأوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها — فإن قلت فهلا قيل
ولكل واحد من أبويه السدس وأي فائدة في ذكر الأبوين أولا ثم في الإبدال منهما — قلت
لأن في الإبدال والتفصيل بعد الإجمال تأكيدا وتشديدا كالذي تراه في الجمع بين المفسر
والتفسير والسدس مبتدأ وخبره لأبويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن
ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن والولد يقع على الذكر
والأنثى ويختلف حكم الأب في ذلك فإن كان ذكرا اقتصر بالأب على السدس وإن كان
أنثى عصب مع إعطاء السدس — فإن قلت قد بين حكم الأبوين في الإرث مع
الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فإن لم يكن له ولد فلأمه الثلث وأي فائدة في قوله وورثه أبواه
— قلت معناه فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فحسب فلأمه الثلث مما ترك كما
قال لكل واحد منهما السدس مما ترك لأنه إذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين كان للأم ثلث
ما يبقى بعد إخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك إلا عند ابن عباس والمعنى أن الأبوين إذا
خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين — فإن قلت ما العلة في

الحوز الجمع قاموس

أن كان لها ثلث ما بقي لا دون ثلث المال — قلت فيه وجهان أحدهما أن الزوج
إنما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فأشبه الوصية في قسمة ما وراءه والثاني أن
الأب أقوى في الإرث من الأم بدليل أنه يضعف عليها إذا خلصا ويكون صاحب فرض
وعصبة وجامعا بين الأمرين فلو ضرب لها الثلث كملا لأدى إلى حط نصيبه عن نصيبها
ألا ترى أن امرأة لو تركت زوجا وأبوين فأعطي الزوج النصف والأم الثلث والباقي للأب
حازت الأم سهمين والأب سهما واحدا فينقلب الحكم إلى أن يكون للأنثى مثل حظ الذكرين
فإن كان له إخوة فلأمه السدس الإخوة يحجبون الأم عن الثلث وإن كانوا لا يرثون مع الأب
فيكون لها السدس وللأب خمسة الأسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدا إلا عند
ابن عباس وعنه أنهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الأم — فإن قلت فكيف صح
أن يتناول الإخوة الأخوين والجمع خلاف التثنية — قلت الإخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة
بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع في إفادة الكمية وهذا موضع الدلالة على
الجمع المطلق فدل بالإخوة عليه وقرئ فلإمه بكسر الهمزة اتباعا للجرة ألا تراها لا تكسر
في قوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية من بعد وصية متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث
كلها لا بما يليه وحده كأنه قيل قسمة هذه الأنصباء من بعد وصية يوصي بها وقرئ يوصى
بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا — فإن قلت ما معنى أو
— قلت معناها الإباحة وأنه إن كان أحدهما أو كلاهما قدم على قسمة الميراث
كقولك جالس الحسن أو ابن سيرين — فإن قلت لم قدمت الوصية على الدين والدين
مقدم عليها في الشريعة — قلت لما كانت الوصية مشبهة بالميراث في كونها مأخوذة
من غير عوض كان إخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب أنفسهم بها
فكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فإن نفوسهم مطمئنة إلى أدائه فلذلك قدمت
على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة إلى إخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة أو
للتسوية بينهما في الوجوب ثم أكد ذلك ورغب فيه بقوله آباؤكم وأبناؤكم أي لا تدرون
من أنفع لكم من آبائكم وأبنائكم الذين يموتون أمن أوصى منهم أم من لم يوص يعني أن من
أوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بإمضاء وصيته فهو أقرب لكم نفعا وأحضر جدوى
ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة أقرب وأحضر من عرض الدنيا
دعا

دعا بالحقيقة الأمر لأن عرض الدنيا وإن كان عاجلا قريبا في الصورة إلا أنه فان فهو
في الحقيقة الأبعد الأقصى وثواب الآخرة وإن كان آجلا إلا أنه باق فهو في الحقيقة الأقرب
الأدنى وقيل إن الابن إن كان أرفع درجة من أبيه في الجنة سأل أن يرفع أبوه إليه فيرفع وكذلك
الأب إن كان أرفع درجة من ابنه سأل أن يرفع ابنه إليه فأنتم لا تدرون في الدنيا أيهم أقرب
لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم
لكم أنفع فوضعتم أنتم الأموال على غير حكمة وقيل الأب تجب له النفقة على الابن إذا احتاج
وكذلك الابن إذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدرى أيهما أقرب نفعا وليس شيء من
هذه الأقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له لأن هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض
أن يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدم فريضة نصبت نصب المصدر المؤكد
أي فرض ذلك فرضا إن الله كان عليما بمصالح خلقه حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث
وغيرها فإن كان لهن ولد منكم أو من غيركم جعلت المرأة على النصف من الرجل بحق
الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن وإن كان رجل
يعني الميت ويورث من ورث أي يورث منه وهو صفة لرجل وكلالة خبر كان أي وإن كان
رجل موروث منه كلالة أو يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من الضمير في يورث وقرئ
يورث ويورّث بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حال أو
مفعول به — فإن قلت ما الكلالة — قلت ينطلق على ثلاثة على من لم يخلف
ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة
الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن
والكلالة في الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الإعياء قال الأعشى
فآليت لا أرثي لها من كلالة فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لأنها بالإضافة
إلى قرابتهما كالة ضعيفة وإذا جعل صفة للموروث أو الوارث فبمعنى ذي كلالة كما
تقول فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي ويجوز أن يكون صفة كالهجاجة والفقاقة للأحمق
— فإن قلت فإن جعلتها اسما للقرابة في الآية فعلام تنصبها — قلت على أنها
مفعول له أي يورث لأجل الكلالة أو يورث غيره لأجلها — فإن قلت فإن جعلت يورث على
البناء للمفعول من أورث فما وجهه — قلت الرجل حينئذ هو الوارث لا الموروث
وكلالة حال

المورث منه

فان قلت فالضمير في قوله فلكل واحد منهما الى من يرجع قلت الى الرجل
والى اخيه او اخته وعلى الرجل اليهما فان قلت اذا رجع الضمير اليهما افاد استواءهما
في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الانثى فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه
قلت نعم لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد
سويت بين الذكر والانثى وعن ابي بكر رضي الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيه
برايي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله منه بريء
الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عطاء والضحاك ان الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن
جبير هو الوارث وقد اجمعوا على ان المراد اولاد الام وتدل عليه قراءة ابي وله اخ او
اخت من الام وقراءة سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من ام وقيل انما استدل على ان
الكلالة ههنا الاخوة للام خاصة بما ذكر في آخر السورة من ان للاختين الثلثين وان
للاخوة كل المال فعلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا
على الثلث شيئا انه يعني بهم الاخوة للام والا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من
سائر الاخوة الاخياف والاعيان واولاد العلات وغيرهم غير مضار حال اي يوصي بها
وهو غير مضار لورثته وذلك ان يوصي بزيادة على الثلث او يوصي بالثلث فما دونه
ونيته مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله وعن قتادة كره الله الضرار في الحياة
وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين ان يوصي بدين ليس عليه
ومعناه الاقرار وصية من الله مصدر مؤكد اي يوصيكم بذلك وصية كقوله فريضة من الله
ويجوز ان تكون منصوبة بغير مضار اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادة
على الثلث او وصية من الله بالاولاد وان لا يدعهم عالة باسرافه في الوصية وينصر
هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة والله عليم بمن جار او عدل في
وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد فان قلت فيوصي ضمير الرجل
اذا جعلته الموروث فكيف تعمل اذا جعلته الوارث قلت كما عملت في قوله
تعالى فلهن ثلثا ما ترك لانه علم ان التارك والموصي هو الميت فان قلت فاين
ذو الحال فيمن قرأ يوصي على ما لم يسم فاعله قلت يضمر يوصي فينتصب عن
فاعله لانه لما قيل يوصي بها علم ان ثم موصيا كما قال يسبح له على ما لم يسم فاعله فعلم

اي ثم مسبحا فاضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما دل عليه يسبح كان غير مضار حالا عما يدل
عليه يوصى بها تلك اشارة الى الاحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث
وسماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها
ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق يدخله نون بالياء والنون وكذلك يدخله نارا وقيل يدخله
وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال فان قلت هل
يجوز ان يكونا صفتين لجنات ونارا قلت لا لانهما جريا على غير من هما له
فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها ياتين الفاحشة يرهقنها
يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى وفي قراءة ابن مسعود ياتين بالفاحشة
والفاحشة الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح فامسكوهن في البيوت قيل
معناه فخلدوهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن في اول الاسلام ثم نسخ
بقوله تعالى الزانية والزاني الآية ويجوز ان يكون غير منسوخ بان يترك ذكر الحد
لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن في البيوت بعد ان يحددن صيانة
لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال او يجعل الله
لهن سبيلا هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لانه لم
يكن مشروعا في ذلك الوقت فان قلت ما معنى يتوفاهن الموت والتوفي
والموت بمعنى واحد كانه قيل يميتهن الموت قلت يجوز ان يراد حتى يتوفاهن
ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ان الذين توفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت
او حتى ياخذهن الموت ويستوفي ارواحهن واللذان ياتيانها منكم يريد الزاني
والزانية فآذوهما فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله فان تابا
واصلحا وغيرا الحال فاعرضوا عنهما واقطعوا التوبيخ والمذمة فان التوبة تمنع استحقاق
الذم والعقاب ويحتمل ان يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالايذاء ذمهما
وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عنهما
ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين وقرئ واللذان
بتشديد النون واللذان بالهمزة وتشديد النون التوبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته
وغفر له يعني انما القبول والغفران واجب على الله تعالى لهؤلاء بجهالة في موضع الحال

يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه والشهوة لا مما تدعو اليه
الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته من قريب من
زمان قريب والزمان القريب ما قبل حضرة الموت الا ترى الى قوله حتى اذا حضر احدهم الموت
فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب
وعن ابن عباس قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو
قريب وعن النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وروى ابو ايوب عن النبي صلى الله عليه ان الله يقبل
توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال
حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال وعزتي
لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر فان قلت ما معنى من في قوله من قريب قلت
معناه التبعيض اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين
حضرة الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب
والا فهو تائب من بعيد فان قلت ما فائدة قوله فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله
انما التوبة على الله لهم قلت قوله انما التوبة على الله اعلام بوجوبها عليه كما يجب
على العبد بعض الطاعات وقوله فاولئك يتوب الله عليهم عدة بانه يفي بما وجب
عليه واعلام بان الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب ولا الذين يموتون
عطف على الذين يعملون السيئات سوى بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت
وبين الذين ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال الآخرة
فكما ان المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة
الموت لمجاوزة كل واحد منهما اوان التكليف والاختيار اولئك اعتدنا لهم في الوعيد
نظير قوله فاولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين ان الامرين كائنان لا محالة
فان قلت من المراد بالذين يعملون السيئات اهم الفساق من اهل القبلة ام
الكفار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد الكفار لظاهر قوله وهم كفار وان
يراد الفساق لان الكلام انما وقع في الزانيين والاعراض عنهما ان تابا واصلحا
ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن
العالمين وقوله فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا من ترك الحج فقد كفر لان من

من كان مصدقا فمات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر لانه لا
يجترئ على ذلك الا قلب مصمت كانوا يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن
بانواع من الظلم فزجروا عن ذلك كان الرجل اذا مات له قريب من اب او اخ او حميم عن
امراة القى ثوبه عليها وقال انا احق بها من كل احد فقيل لا يحل لكم ان ترثوا النساء
كرها اي ان تاخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك
او مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم ان تمسكوهن حتى ترثوا منهن
وهن غير راضيات بامساككم وكان الرجل اذا تزوج امراة ولم تكن من حاجته حبسها
مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض
ما آتيتموهن والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها
به فخرج بعضه وبقي بعضه الا ان ياتين بفاحشة مبينة وهي النشوز وشكاسة الخلق
وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فقد
عذرتم في طلب الخلع وتدل عليه قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة
الزنا فان فعلت حل لزوجها ان يسألها الخلع وقيل كانوا اذا اصابت امرأة فاحشة
اخذ منها ما ساق اليها واخرجها وعن ابي قلابة ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد
رجل على بطنها وعن قتادة لا يحل له ان يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه يعني وان زنت
وقيل نسخ ذلك الحدود وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف
وهو النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول فان كرهتموهن فلا تفارقوهن
لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو اصلح في الدين واحمد وادنى الى الخير
واحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في اسباب الصلاح وكان الرجل اذا طمحت
عينه الى استطراف امرأة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه
بما اعطاها ليصرفه الى تزوج غيرها فقيل وان اردتم استبدال زوج مكان زوج الآية
والقنطار المال العظيم من قنطرت الشيء اذا رفعته ومنه القنطرة لانها بناء مشيد
قال كقنطرة الرومي اقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد وعن عمر رضي الله عنه انه
قام خطيبا فقال ايها الناس لا تغالوا بصدق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا او تقوى
عند الله لكان اولاكم بها رسول الله صلى الله عليه ما اصدق امرأة من نسائه اكثر

وقد مر بيان القنطار في اوائل سورة آل عمران ٣

من اثنتي عشر اوقية فقامت اليه امراة فقالت يا امير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم احديهن قنطارا فقال عمر كل احد اعلم من عمر ثم قال لاصحابه تسمعونني اقول مثل هذا فلا تنكرونه علي حتى ترد علي امراة ليست من اعلم النساء والبهتان ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عند ذلك اي يتحير بهتانا على الحال اي باهتين وآثمين او على انه مفعول له وان لم يكن غرضا كقولك قعدت عن القتال جبنا والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كانه قيل واخذن به منكم ميثاقا غليظا اي افضى بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقيل هو قول الولي عند العقد انكحتك على ما في كتاب الله من امساك بمعروف او تسريح باحسان وعن النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وكانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه من ذوي مروءاتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي ومن ثم قيل ومقتا كانه قيل هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح قبيح ممقوت في المروءة ولا مزيد على ما يجمع القبحين وقرئ لا تحل لكم بالتاء على ان ترثوا بمعنى الوراثة وكرها بالفتح والضم من الكراهة والاكراه وقرئ فاحشة مبينة هنا وبعد بمعنى بينت او تبينت كما قرئ مبينة بكسر الياء وفتحها ويجعل الله بالرفع على انه في موضع الحال وآتيتم احديهن يعني حل مهرها احديهن كما قرئ فلا تاخذوا عليه

فان قلت تعضلوهن ما وجه اعرابه **قلت** النصب عطفا على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي لا يحل لكم ان ترثوا النساء ولا ان تعضلوهن **فان قلت** اي فرق بين تعديه ذهب بالباء وبينها بالهمزة **قلت** اذا عدي بالباء فمعناه الاخذ والاستصحاب كقوله تعالى فلما ذهبوا به واما الاذهاب فكالازالة **فان قلت** الا ان ياتين ما هذا الاستثناء **قلت** هو استثناء من اعم عام الظرف او المفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان ياتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا لان ياتين بفاحشة **فان قلت** من اي وجه صح قوله فعسى ان تكرهوا جزاء للشرط **قلت** من حيث ان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه **فان قلت** كيف استثنى ما قد سلف مما نكح اباؤكم كما

كما استثنى غير ان سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق الى اباحته كما تعلق بالمحال في التابيد في نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل في سم الخياط معنى حرمت عليكم امهاتكم تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء ولان تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم اكله وقرئ وبنات الاخت بتخفيف الهمزة وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا في مسئلتين احديهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج اخت ابنه من الرضاع لان المعنى في النسب وطؤه امها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخيه من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع في النسب وطء الاب اياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع من نسائكم متعلق بربائبكم ومعناه ان الربيبة من المراة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها

فان قلت هل يصح ان يتعلق بقوله وامهات نسائكم **قلت** لا يخلو اما ان يتعلق بهن وبالربائب فيكون حرمتهن وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعا واما ان يتعلق بهن دون الربائب فيكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربائب مبهمة فلا يجوز الاول لان معنى من مع احد المتعلقين خلاف معناه مع الاخر الا ترى انك اذا قلت وامهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النساء وتمييز المدخول بهن واذا قلت وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانك جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وليس بصحيح ان يعني بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيان مختلفان ولا يجوز الثاني لان الذي يليه هو الذي يستوجب التعليق ما لم يعترض امر لا يرد الا ان تقول اعلقه بالنساء والربائب واجعل من للاتصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فاني لست منك ولست مني ما انا من دد ولا الدد

وامهات النساء متصلات بالنساء لانهن امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على ان تحريم امهات النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله عز سلطانه وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في رجل تزوج امراة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه قال لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله الا ما روي عن علي وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير انهم قرؤا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا هكذا وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في باب المهر وسمي ولد المراة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربهما كما يرب ولده في غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يربهما

فان قلت ما فائدة قوله في حجوركم **قلت** فائدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن او لكونهن بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم اذا دخلتم بامهاتهن وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والالفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة فكانت الحال خليقة بان تجروا اولادهن مجرى اولادكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم وعن علي رضي الله عنه انه شرط ذلك في التحريم وبه اخذ داود **فان قلت** ما معنى دخلتم بهن **قلت** هي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند ابي حنيفة وعن عمر رضي الله عنه انه خلا بجارية فجردها فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك وعن مسروق انه امر ان تباع جاريته بعد موته وقال اما اني لم اصب منها الا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر وعن الحسن في الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحماد بن ابي سليمان اذا نظر الى فرج امراة فلا ينكح امها ولا ابنتها وعن الاوزاعي اذا دخل بالام فعراها ولمسها بيده واغلق الباب وارخى الستر فلا يحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار ان التحريم لا يقع الا بالجماع وحده الذين من اصلابكم دون من

دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الاسدية بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال عز وجل لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وان تجمعوا في موضع الرفع عطف على المحرمات اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح لان التحريم في الاية تحريم النكاح واما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمان وعلي رضي الله عنهما انهما قالا احلتهما اية وحرمتهما اية يعنيان هذه الاية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل الا ما قد سلف ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما

هذا جزو الخامس

والمحصنات القراءة بفتح الصاد وعن طلحة بن مصرف انه قرأ بكسر الصاد وهن ذوات الازواج لانهن احصن فروجهن بالتزويج فهن محصنات ومحصنات الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وان كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم **فان قلت** علام عطف قوله واحل لكم **قلت** على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اي كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم وروي عن اليماني كتب الله عليكم على الجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم ومن قرأ واحل لكم على البناء للمفعول فقد عطفه على حرمت ان تبتغوا مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم باموالكم التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم محصنين غير مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم وتنفقوها فيما لا يحل فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والاموال المهور وما يخرج في المناكح **فان قلت** اين مفعول تبتغوا **قلت** يجوز ان يكون مقدرا وهو النساء والاجود ان لا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون ان تبتغوا بدلا من ما وراء ذلكم والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني وماذيني من المذي فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن فآتوهن اجورهن عليه فاسقط الراجع الى ما لانه لا يلبس

قوله سورة الشورى اول الآية ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور

كقوله ان ذلك لمن عزم الامور باسقاطه منه ويجوز ان يكون ما في معنى النساء ومن للتبعيض
او البيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن اجورهن مهورهن
لان المهر ثواب على البضع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او وضع موضع ايتاء
لان الايتاء مفروض او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة فيما تراضيتم به من بعد الفريضة
فيما يحط عنه من المهر او يهب له من كله او يزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا به من
مقام او فراق وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتح الله مكة على رسوله
ثم نسخت كان الرجل ينكح المراة وقتا معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك
ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها
وعن عمر لا اوتى برجل تزوج امراة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه
انه اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا
ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس
هي محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرا فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى ويروى انه رجع
عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف الطول الفضل
يقال لفلان على فلان طول اي زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو طائل قال لقد زادني
حبا لنفسي انني بغيض الى كل امرئ غير طائل ومنه قولهم ما خلا منه بطائل اي بشيء يعتد به
مما له فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان
والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة قال ابن عباس
من ملك ثلثمائة درهم فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه
مذهب الشافعي رضي الله عنه واما ابو حنيفة رحمه الله فيقول الغني والفقير سواء
في جواز نكاح الامة ويفسر الاية بان من لم يملك فراش الحرة على ان النكاح هو الوطء
فله ان ينكح امة وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ومما وسع الله على
هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وكذلك قوله من فتياتكم
المؤمنات الظاهر انه لا يجوز نكاح الامة الكتابية وهو مذهب اهل الحجاز وعند اهل
العراق يجوز نكاحها ونكاح الامة المؤمنة افضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب
واستشهدوا على ان الايمان ليس بشرط فيهن على الاتفاق لكنه افضل فان قلت
م

لم كان نكاح الامة منحطا عن نكاح الحرة قلت لما فيه من اتباع الولد الام في الرق ولثبوت
حق المولى فيها وفي استخدامها ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان
راجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وقوله من فتياتكم اي من فتيات
المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين فان قلت فما معنى قوله
والله اعلم بايمانكم قلت معناه ان الله اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم في
الايمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة والمراة
افضل في الايمان من الرجل وحق المؤمنين ان لا يعتبروا الا فضل الايمان لا فضل الاحساب
والانساب وهذا تانيس بنكاح الاماء وترك الاستنكاف منه بعضكم من بعض اي انتم
وارقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الايمان لا يفضل حر عبدا الا برجحان
فيه باذن اهلهن اشتراط لاذن الموالي في نكاحهن ويحتج به لقول ابي حنيفة ان لهن
ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالي لا عقدهم وآتوهن اجورهن
بالمعروف وادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضاء واللز
فان قلت الموالي هم ملاك مهورهن لا هن والواجب اداؤها اليهم فلم قيل وآتوهن
قلت لانهن وما في ايديهن مال الموالي فكان اداؤها اليهن اداء الى الموالي او على
ان اصله فآتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات عفائف ولا متخذات اخدان اخلاء
في السر كانه قيل غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له فاذا احصن بالتزويج وقرئ
احصن فعليهن نصف ما على المحصنات اي الحرائر من العذاب من الحد لقوله وليشهد
عذابهما ويدرأ عنها العذاب ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف ذلك اشارة الى
نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الاثم الذي تؤدي اليه غلبة الشهوة واصل
العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة
المآثم وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها خشي ان يواقعها فيحد فيتزوجها وان تصبروا
في محل الرفع على الابتداء اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم وعن النبي صلى
الله عليه الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت يريد الله ليبين لكم اصله يريد
الله ان يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين كما زيدت في لا ابا لك لتاكيد
اضافة الاب والمعنى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم

ويهديكم سنن الذين من قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا
بهم ويتوب عليكم ويرشدكم الى الطاعات ان قمتم بها كانت كفارات لسيئاتكم فيتوب عليكم ويكفر
والله يريد ان يتوب عليكم ان تفعلوا ما تستوجبون به ان يتوب عليكم ويريد الذين
يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل اعظم منه
بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح
الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت
الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت يقول يريدون
ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق
الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب
ما ايس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة
وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي فتنة النساء
وقرئ ان يميلوا بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرا ابن عباس وخلق الانسان
على البناء للفاعل ونصب الانسان وعنه رضي الله عنه ثماني آيات في سورة النساء هي
خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب
عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك
به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم بالباطل
بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا الا ان تكون
تجارة عن تراض منكم والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض
او ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة اي تجارة
صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر لان اسباب الرزق اكثرها متعلق بها
والتراضي رضا المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الايجاب والقبول وهو
مذهب ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين
ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم
او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن العاص انه تاوله في
التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله وقرا علي رضي الله عنه ولا تقتّلوا بالتشديد

ان الله كان بكم رحيما ما نهاكم عما يضركم الا لرحمته عليكم وقيل معناه انه امر بني اسرائيل بقتلهم
انفسهم لتكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف
الصعبة ذلك اشارة الى القتل اي ومن يقدم على قتل الانفس عدوانا وظلما لا خطأ ولا اقتصاصا
وقرئ عدوانا بالكسر ونصليه بتخفيف اللام وتشديدها ونصليه بفتح النون من صلاه يصليه
ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله عز وجل او لذلك لكونه سببا للصلي نارا
مخصوصة شديدة العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لان الحكمة تدعو اليه ولا صارف عنه من
ظلم او نحوه كبائر ما تنهون عنه وقرئ كبير ما تنهون عنه اي ما كبر من المعاصي التي نهاكم الله عنها والرسول
نكفر عنكم سيئاتكم نمط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائركم ونجعلها كان لم تكن
لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها على عقاب السيئات والكبيرة
والصغيرة انما وصفتا بالكبر والصغر باضافتهما اما الى طاعة او معصية او ثواب فاعلهما
والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب
المستحق بعقاب ازيد او بندم على الطاعة وعن علي رضي الله عنه الكبائر سبع الشرك والقتل
والقذف والربوا والزنا ومال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر السحر
واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب
لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروي الى سبعين وقرئ يكفر بالياء ومدخلا
بضم الميم وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما ولا تتمنوا نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل
الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة
عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق او قبض ولو بسط
الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو
مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد اخاه على حظه للرجال نصيب مما اكتسبوا
جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط او القبض
كسبا له واسألوا الله من فضله ولا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من
خزائنه التي لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء في الدنيا لنا سهمان
ولهن سهم واحد فنرجو ان يكون لنا اجران في الآخرة على الاعمال ولهن اجر واحد
فقالت ام سلمة ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتب على الرجال فيكون لنا من الاجر

مثل ما لهم فنزلت مما ترك تبيين لكل أي ولكل شيء مما ترك الوالدان والأقربون من المال جعلنا موالي وراثاً يلونه ويحرزونه أو ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والأقربون على أن جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع إلى كل محذوف والكلام مبتدأ وخبر كما تقول لكل من خلقه الله إنساناً من رزق الله أي حظ من رزق الله أو ولكل أحد جعلنا مما ترك أي وراثاً مما ترك على أن من صلة موالي لأنهم في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والأقربون كأنه قيل من هم فقيل الوالدان والأقربون والذين عاقدت أيمانكم مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله فآتوهم نصيبهم ويجوز أن يكون منصوباً على قولك زيداً فاضربه ويجوز أن يعطف على الوالدان ويكون الضمير في فآتوهم للموالي والمراد بالذين عاقدت أيمانكم موالي الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك وتعقل عني وأعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ وعن النبي صلى الله عليه أنه خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فإنه لم يزده الإسلام إلا شدة ولا تحدثوا حلفاً في الإسلام وعن أبي حنيفة رحمه الله لو أسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على أن يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافاً للشافعي وقيل المعاقدة التبني ومعنى عاقدت أيمانكم عاقدتهم أيديكم وماسحتموهم وقرئ عقّدت بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم أيمانكم قوامون على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواماً لذلك والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعاً يعني إنما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على أن الولاية إنما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وأن منهم الأنبياء والعلماء وفيهم الإمامة الكبرى والصغرى والجهاد والأذان والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند

عند أبي حنيفة والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في الميراث وإيمان القسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الأزواج وإليهم الانتساب وهم أصحاب اللحى والعمائم وبما أنفقوا وبسبب ما أخرجوا في نكاحهن من أموالهم في المهور والنفقات روي أن سعد بن الربيع وكان نقيباً من نقباء الأنصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير فلطمها فانطلق بها أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وقال أفرشته كريمتي فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال أردنا أمراً وأراد الله أمراً والذي أراد الله خير ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص إلا في الجرح والقتل وأما اللطمة ونحوها فلا قانتات قائمات بما عليهن للأزواج حافظات للغيب الغيب خلاف الشهادة أي حافظات لمواجب الغيب إذا كان الأزواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والأموال وعن النبي صلى الله عليه خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك وإن أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل للغيب لأسرارهم بما حفظ الله بما حفظهن الله حين أوصى به الأزواج في كتابه وأمر رسوله فقال استوصوا بالنساء خيراً أو بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب أو بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب وأوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظ الله بالنصب على أن ما موصولة أي حافظات للغيب بالأمر الذي يحفظ حق الله والأمانة لله وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم وقرأ ابن مسعود فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فأصلحوا إليهن نشوزهن ونشوزها أن تعصي زوجها ولا تطمئن إليه وأصله الانزعاج في المضاجع في المراقد أي لا تداخلوهن تحت اللحف أو هي كناية عن الجماع وقيل هو أن يوليها ظهره في المضجع ~~وقيل هو أن يوليها ظهره في المضجع~~ وقيل في المضاجع في بيوتهن التي يبتن فيها أي لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع وذلك لتعرف أحوالهن وتحقق أمرهن في النشوز

أمر بوعظهن أولاً ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب إن لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه أكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير إذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا يجب أن يكون ضرباً غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظماً ويجتنب الوجه وعن النبي صلى الله عليه علق سوطك حيث يراه أهلك وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق كنت رابعة أربع نسوة عند الزبير بن العوام فإذا غضب على إحدانا ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير أبيات ولولا بنوها حولها لخبطتها فلا تبغوا عليهن سبيلاً فأزيلوا عنهن التعرض بالأذى والتوبيخ والتجني وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن بعد رجوعهن إلى الطاعة والانقياد وترك النشوز إن الله كان علياً كبيراً فاحذروه واعلموا أن قدرته عليكم أعظم من قدرتكم على من تحت أيديكم ويروى أن أبا مسعود الأنصاري رفع سوطه ليضرب غلاماً له فبصر به رسول الله فصاح به أبا مسعود لله أقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط وأعتق الغلام أو أن الله كان علياً كبيراً وإنكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فأنتم أحق بالعفو عمن يجني عليكم إذا رجع شقاق بينهما أصله شقاقاً بينهما فأضيف الشقاق إلى الظرف على طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار وأصله بل مكر في الليل والنهار أو على أن جعل البين مشاقاً والليل والنهار ماكرين على قولهم نهارك صائم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء حكماً من أهله رجلاً مقنعاً رضياً يصلح لحكومة العدل والإصلاح بينهما وإنما كان بعث الحكمين من أهلهما لأن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال وأطلب للصلاح وإنما تسكن إليهم نفوس الزوجين ويبرز إليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض وإرادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الأجانب ولا يحبان أن يطلعوا عليه فهل يليان الجمع بينهما والتفريق إن رأيا ذلك قد اختلف فيه فقيل ليس إليهما ذلك إلا بإذن الزوجين وقيل ذلك إليهما وما جعلا حكمين إلا وإليهما بناء الأمر على ما يقتضيه اجتهادهما وعن عبيدة السلماني شهدت علياً رضي الله عنه وقد جاءته امرأة وزوجها ومع كل واحد منهما فئام من الناس فأخرج هؤلاء حكماً وهؤلاء حكماً فقال علي للحكمين أتدريان ما عليكما إن عليكما إن رأيتما أن تفرقا فرقتما وإن رأيتما أن تجمعا جمعتما فقال الزوج أما الفرقة فلا فقال

فقال علي كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت المرأة رضيت بكتاب الله لي وعلي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبي ما قضى الحكمان جاز والألف في يريدا إصلاحاً ضمير الحكمين وفي يوفق الله بينهما للزوجين أي إن قصدا إصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك في وساطتهما وأوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والألفة وألقى في نفوسهما المودة والرحمة وقيل الضميران للحكمين أي إن قصدا إصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل الضميران للزوجين أي إن يريدا إصلاح ما بينهما وطلبا الخير وأن يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الألفة وأبدلهما بالشقاق وفاقاً وبالبغضاء مودة إن الله كان عليماً خبيراً يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم وبالوالدين إحساناً وأحسنوا بهما إحساناً وبذي القربى وبكل من بينكم وبينه قربى من أخ أو عم أو غيرهما والجار ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب الذي جواره بعيد وقيل الجار القريب النسيب والجار الجنب الأجنبي وأنشد لبلعاء بن قيس لا يجتويني مجاور أبداً ذو رحم أو مجاور جنب وقرئ والجار ذا القربى نصباً على الاختصاص كما قرئ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى تنبيهاً على عظم حقه لإدلائه بحقي الجوار والقربى والصاحب بالجنب هو الذي صحبك بأن حصل بجنبك إما رفيقاً في سفر وإما جاراً ملاصقاً وإما شريكاً في تعلم علم أو حرفة وإما قاعداً إلى جنبك في مجلس أو مسجد أو غير ذلك من أدنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك أن ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة إلى الإحسان وقيل الصاحب بالجنب المرأة وابن السبيل المسافر المنقطع به وقيل الضيف والمختال التياه الجهول الذي يتكبر عن إكرام أقاربه وأصحابه ومماليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت إليهم وقرئ والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون الذين يبخلون بدل من قوله من كان مختالاً فخوراً أو نصب على الذم ويجوز أن يكون رفعاً عليه وأن يكون مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون أحقاء بكل ملامة وقرئ بالبخل بضم الباء وفتحها وبفتحتين وبضمتين يبخلون بذات أيديهم وبما في أيدي غيرهم فيأمرونهم بأن يبخلوا به مقتاً للسخاء ممن وجد في أمثال العرب

اعجل من الضنين بما في يد غيره وان امرأ منّت يداه على امرئ بنيل يد من غيره لبخيل ولقد رأينا ممن بلي بداء البخل من اذا طرق سمعه ان احدا جاد على احد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه في رأسه كأنما نهب رحله وكسرت خزانته ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده وقيل هم اليهود كانوا يأتون رجالا من الانصار يتنصحون لهم ويقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون وقد عابهم بكتمان نعمة الله وما آتاهم من فضله من الغنى والتفاقر الى الناس وعن النبي صلى الله عليه اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان ترى نعمته على عبده وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنمّ به عنده فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الكريم يسرّه ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرّك بالنظر الى آثار نعمتك فاعجبه كلامه وقيل نزلت في شأن اليهود الذين كتموا صفة رسول الله صلى الله عليه رئاء الناس للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم واي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومفلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة ولا مرزأة في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة وكان الله بهم عليما وعيد الذرة النملة الصغيرة وفي قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس انه ادخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحد من هؤلاء ذرة وفيه دليل على انه لو نقص من الاجر ادنى شيء واصغره او زاده في العقاب لكان ظلما وانه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة وان تك حسنة وان تكن مثقال الذرة حسنة وانما انث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث وقرئ بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في كل وقت من الاوقات المستقبلة غير المتناهية وعن عثمان النهدي انه قال لابي هريرة بلغني انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله تعالى يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا هذه الآية والمراد الكثرة لا التحديد ويؤت من لدنه اجرا عظيما ويعط صاحبها من عنده

على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته وقرئ يضعّفها بالتشديد والتخفيف من ضعّف واضعف وقرأ ابن هرمز نضاعفها بالنون فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا وعن ابن مسعود انه قرأ سورة النساء على رسول الله حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله وقال حسبنا لو تسوى بهم الارض لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها ولا يكتمون الله حديثا لا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان يدفنوا تحت الارض وانهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على افواههم عند ذلك وتكلمت ايديهم وارجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم يتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى بحذف التاء من تتسوى يقال سويته فتسوى نحو لويته فتلوى وتسّوى بادغام التاء في السين كقوله يسمعون وماضيه اسّوى كازّكى روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من اصحاب رسول الله حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت فكانوا لا يشربون في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى لا تقربوا الصلوة لا تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد كقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم كقوله ورانوا بسكر سناتهم كل الرون وقرئ سكارى بفتح السين وسكرى على ان يكون جمعا كهلكى وجوعى لان السكر علة تلحق العقل او مفردا بمعنى وانتم جماعة سكرى كقولك امرأة سكرى وسكرى بضم السين كحبلى على ان يكون صفة للجماعة وحكى جناح بن حبيش كسلى وكسلى بالفتح والضم ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كانه قيل ولا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب يستوي فيه

الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب الا عابري سبيل استثناء من عامة احوال المخاطبين وانتصابه على الحال فان قلت كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها قلت كانه قيل لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز ان لا يكون حالا ولكن صفة لقوله جنبا اي ولا تقربوا الصلوة جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين غير معذورين فان قلت كيف تصح صلوتهم على الجنابة لعذر السفر قلت اريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كانه قيل لا تقربوا الصلوة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين وقال من فسر الصلوة بالمسجد معناه ولا تقربوا المسجد جنبا الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء او كان الماء فيه او احتلمتم فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأذن لاحد ان يجلس في المسجد او يمر فيه وهو جنب الا لعلي رضي الله عنه لان بيته كان في المسجد فان قلت ادخل في حكم الشرط اربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون واهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الامر بالتيمم عند عدم الماء منهم قلت الظاهر انه متعلق بهم جميعا وان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك السفر اذا عدموه لبعده والمحدثون واهل الجنابة كذلك اذا لم يجدوه لبعض الاسباب وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله فان قلت فما يصنع بقوله في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي بعضه وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه قلت قالوا ان من لابتداء الغاية فان قلت قولهم انها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم احد من العرب من قول القائل مسحت برأسه من الدهن ومن الماء ومن التراب الا معنى التبعيض قلت هو كما تقول والاذعان للحق احق من المراء ان الله كان عفوا غفورا كناية عن الترخيص والتيسير لان من كانت عادته ان يعفو عن الخطائين ويغفر لهم آثر ان يكون ميسرا غير معسر فان قلت كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر سببان من اسباب الرخصة

والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل قلت اراد سبحانه ان يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون للماء في التيمم بالتراب فخص اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة ثم عمّ كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف عدو او سبع او عدم آلة استقاء او ارهاق في مكان لا ماء فيه او غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر وقرئ من غيط قيل هو تخفيف غيط كهين في هين والغيط الغائط الم تر من رؤية القلب وعدي بالى على معنى الم ينته علمك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم اوتوا نصيبا من الكتاب حظا من علم التوراة وهم احبار اليهود يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله فانه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والانجيل ويريدون ان تضلوا انتم ايها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه وتنخرطوا في سلكهم لا تكفيهم ضلالتهم بل يحبون ان يضل معهم غيرهم وقرئ ان يضلوا السبيل بفتح الضاد وكسرها والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء واطلعكم على احوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم في اموركم ولا تستشيروهم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فثقوا بولايته ونصرته دونهم او لا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى وقوله والله اعلم وكفى بالله وكفى بالله جمل توسطت بين البيان والمبين على الاعتراض او بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ على ان يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون كقوله وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح اي فمنهما تارة اموت فيها يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد اما لوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها وازالوه عنها وذلك نحو تحريفهم اسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله فان قلت كيف قيل ههنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه قلت اما عن مواضعه فعلى ما فسرناه من ازالته عن مواضعه التي اوجبت حكمة الله وضعه فيها

بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه وأمّا من بعد مواضعه فالمعنى انه كانت له مواضع هو
قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقارّه والمعنيان
متقاربان وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة
قولهم غير مسمع حال من المخاطب اي اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم اي اسمع
منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان اصمّ غير مسمع قالوا
ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه
ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شيئا او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك
عنه ناب ويجوز على هذا ان يكون غير مسمع مفعول اسمع اي اسمع كلاما غير مسمع اياك لان
اذنك لا تعيه نبوا عنه ويحتمل المدح اي اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا
اذا سبّه وكذلك قولهم راعنا يحتمل راعنا نكلمك اي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة
عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزءا برسول الله
يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام ليّا
بألسنتهم فتلا بها وتحريفا اي يفتلون بألسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا
موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا سمعت مكروها او يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم
الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا فان قلت كيف جاءوا بالقول ذي الوجهين بعدما صرحوا
وقالوا سمعنا وعصينا قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه
بالسب ودعاء السوء ويجوز ان يقولوه فيما بينهم ويجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا
به جعلوا كأنهم نطقوا به وقرأ ابي وانظرنا من الانظار وهو الامهال فان قلت الام
يرجع الضمير في قوله لكان خيرا لهم قلت الى انهم قالوا لان المعنى ولو ثبت قولهم
سمعنا واطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم واقوم واعدل واسدّ ولكن لعنهم الله بكفرهم
اي خذلهم بسبب كفرهم وابعدهم عن الطافه فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا اي ضعيفا ركيكا
لا يعبأ به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره او اراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي
للمهم يصيبه اي عديم التشكي او الا قليلا منهم قد آمنوا ان نطمس وجوها ان نمحو
تخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم فنردها على ادبارها فنجعلها على
هيئة ادبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب

على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب الآخر ردها على ادبارها بعد طمسها فالمعنى
ان نطمس وجوها فننكسها الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام ووجه آخر وهو ان يراد
بالطمس القلب والتغيير كما طمس اموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاءهم
اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم
وادبارهم او نردهم الى حيث جاءوا منه وهي اذرعات الشام يريد اجلاء بني النضير
فان قلت لمن الراجع في قوله او نلعنهم قلت للوجوه ان اريد الوجهاء او لاصحاب
الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة
الالتفات او نلعنهم او نخزيهم بالمسخ كما مسخنا اصحاب السبت فان قلت فاين وقوع
الوعيد قلت هو مشروط بالايمان وقد آمن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد
من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة ولان الله اوعدهم باحد الامرين بطمس وجوه
منهم او بلعنهم فان كان الطمس تبديل احوال رؤسائهم او اجلاءهم الى الشام فقد كان
احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن
المتعارف دون المسخ الا ترى الى قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه
الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وكان امر الله مفعولا فلا بد ان يقع احد
الامرين ان لم تؤمنوا فان قلت قد ثبت ان الله عز وعلا يغفر الشرك لمن تاب منه
وانه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر الا بالتوبة فما وجه قوله ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قلت الوجه ان يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا
موجهين الى قوله لمن يشاء كأنه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر
لمن يشاء ما دون الشرك على ان المراد بالاول من لم يتب وبالثاني من تاب نظيره
قولك ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء يريد لا يبذل الدينار لمن لا
يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله فقد افترى اثما اي ارتكبه وهو مفتر مفتعل
ما لا يصح كونه الذين يزكون انفسهم اليهود والنصارى قالوا نحن ابناء الله واحباؤه
وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقيل جاء رجال من اليهود الى رسول
الله صلى الله عليه باطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن
الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فزكاهم

ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله
فان قلت اما قال رسول الله صلى الله عليه والله اني لامين في السماء امين في
الارض قلت انما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل في القسمة اكذابا لهم اذ وصفوه بخلاف
ما وصفه به ربه وشتان من شهد الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه او شهد له من لا يعلم
بل الله يزكي من يشاء اعلام بان تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم
بمن هو اهل للتزكية ومعنى يزكي من يشاء يزكي المرتضين من عباده الذين عرف
منهم الزكاء فوصفهم به ولا يظلمون الى الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم انفسهم
حق جزائهم او من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم ونحوه فلا تزكوا انفسكم
هو اعلم بمن اتقى كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم عند الله ازكياء وكفى
بزعمهم هذا اثما مبينا من بين سائر آثامهم الجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله
والطاغوت الشيطان وذلك ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا
الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله فقالوا انتم اهل الكتاب
وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا
فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال
ابو سفيان انحن اهدى سبيلا ام محمد فقال كعب ماذا يقول محمد قالوا يأمر بعبادة الله
وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف
ونفك العاني وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا وصف اليهود بالبخل والحسد وهما
شر خصلتين يمنعون ما اوتوا من النعمة ويتمنون ان يكون لهم نعمة غيرهم فقال ام لهم نصيب من
الملك ثم قال فاذا لا يؤتون اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا مقدار نقير
لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل والقطمير والمراد
بالملك اما ملك اهل الدنيا واما ملك الله كقوله قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا
لامسكتم خشية الانفاق وهذا اوصف لهم بالشح واحسن لطباقه نظيره من القرآن
ويجوز ان يكون معنى الهمزة في ام لانكار انهم قد اوتوا نصيبا من الملك وكانوا اصحاب
اموال وبساتين وقصور مشيدة كما يكون احوال الملوك وانهم لا يؤتون احدا مما يملكون
شيئا وقرأ ابن مسعود فاذن لا يؤتوا على اعمال اذن عملها الذي هو النصب وهي ملغاة

في قراءة العامة كأنه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا اذن ام يحسدون الناس بل يحسدون
رسول الله والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من
النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم فقد آتينا الزامهم بما عرفوه من ايتاء الله
الكتاب والحكمة آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وانه ليس ببدع ان يؤتيه
الله مثل ما اوتي اسلافه وعن ابن عباس الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان
وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان
ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم فمن اليهود من آمن به اي بما ذكر من حديث
آل ابراهيم ومنهم من صد عنه وانكره مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله
ومنهم من انكر نبوته او من آل ابراهيم من آمن بابراهيم ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد
وكثير منهم فاسقون بدلناهم جلودا غيرها ابدلناهم اياها فان قلت كيف
تعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص قلت العذاب للجملة الحساسة
وهي التي عصت لا للجلد وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن رسول الله صلى الله عليه
تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين مرة يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس
ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه فيها ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اي ادام عزك
وزادك فيه عزيزا لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما لا يعذب الا بعدل من يستحقه
ظليلا صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم ايوم وما اشبه
ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد
وليس ذاك الا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف اليه التفيؤ تحت ذلك الظل
وفي قراءة عبد الله سيدخلهم بالياء ان تؤدوا الامانات الخطاب عام لكل احد في كل امانة
وقيل نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان
يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رضي الله عنه
يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله فصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه
المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه
فقال عثمان لعلي اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شأنك

قرآنا وتلاه عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فهبط جبريل
واخبر رسول الله صلى الله عليه ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقيل هو خطاب للولاة
بأداء الامانات والحكم بالعدل وقرئ الامانة على التوحيد نعما يعظكم به ما اما ان تكون
منصوبة موصوفة بيعظكم به واما ان يكون مرفوعة موصولة به كأنه قيل نعم شيئا يعظكم
به او نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعم ما يعظكم به والمخصوص
ذاك وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل في الحكم وقرئ نعما بفتح النون لما امر الولاة
بأداء الامانات الى اهلها وان يحكموا بالعدل امر الناس بان يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم
والمراد باولي الامر منكم امراء الحق لان امراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون
على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وانما يجمع بين الله ورسوله والامراء الموافقين
لهما في ايثار العدل واختيار الحق والامر بهما والنهي عن اضدادهما كالخلفاء الراشدين
ومن تبعهم باحسان وكان الخلفاء يقولون اطيعوني ما عدلت فيكم فان خالفت فلا طاعة لي
عليكم وعن ابي حازم ان مسلمة بن عبد الملك قال الستم امرتم بطاعتنا في قوله واولي الامر
منكم قال اليس قد نزعت عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله
والرسول وقيل هم امراء السرايا وعن النبي صلى الله عليه من اطاعني فقد اطاع الله
ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع اميري فقد اطاعني ومن يعص اميري فقد عصاني
وقيل هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم
عن المنكر فان تنازعتم في شيء فان اختلفتم انتم واولوا الامر منكم في شيء من امور الدين
فردوه الى الله ورسوله اي ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة وكيف تلزم طاعة امراء الجور
وقد جنح الله الامر بطاعة اولي الامر بما لا يبقى معه شك وهو ان امرهم اولا باداء الامانات
وبالعدل في الحكم وامرهم آخرا بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما اشكل وامراء
الجور لا يؤدون امانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئا الى كتاب ولا الى سنة انما يتبعون
شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم اولوا الامر عند الله
ورسوله واحق اسمائهم اللصوص المتغلبة ذلك اشارة الى الرد الى الكتاب والسنة خير
لكم واصلح تاويلا واحسن عاقبة وقيل احسن تاويلا من تاويلكم انتم دون رد الى ... روي ان
المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه ودعاه المنافق

الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله فقضى لليهودي فلم يرض المنافق
وقال تعال نتحاكم الى عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه
فقال للمنافق اكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على
سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء
الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله
انت الفاروق والطاغوت كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان
وعداوة رسول الله او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار
التحاكم الى غير رسول الله على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله
وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم وقرئ بما انزل وما انزل على البناء
للفاعل وقرأ عباس بن الفضل ان يكفروا بها ذهابا بالطاغوت الى الجمع كقوله
اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم وقرأ الحسن تعالوا بضم اللام على انه حذف اللام
من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة واصلها بالية كعافية وكما قال الكسائي
في آية ان اصلها ايية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت اللام وقعت واو الجمع بعد
اللام من تعالى فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول اهل مكة تعالي بكسر اللام
للمرأة وفي شعر الحمداني تعالي اقاسمك الهموم تعالي والوجه فتح اللام فكيف يكون
حالهم وكيف يصنعون يعني انهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون امرا ولا يوردونه
اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في
الحكم ثم جاؤك حين يصابون فيعتذرون اليك ويحلفون ما اردنا بتحاكمنا الى
غيرك الا احسانا لا اساءة وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا
لحكمك ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين
لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار عند حلول باس الله وقيل جاء اولياء
المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله فقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان
يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه
يحكم له بما حكم به فاعرض عنهم لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ولا تزد على كفهم
بالموعظة والنصيحة عما هم عليه وقل لهم في انفسهم قولا بليغا بالغ في وعظهم

بالتخويف والانذار فان قلت بم تعلق قوله في انفسهم قلت بقوله
بليغا اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون
منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستيصال ان نجم منهم النفاق واطلع
قرنه واخبرهم ان ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله وانه لا فرق
بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة الا لاظهاركم الايمان واسراركم الكفر واضماره
فان فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق الا السيف او يتعلق بقوله قل لهم اي قل لهم
في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا وان الله يعلم ما في
قلوبكم لا يخفى عليه ولا يغني عنكم ابطانه فاصلحوا انفسكم وطهروا قلوبكم وداووها
من مرض النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك
واغلظ او قل لهم في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها
في السر انجع وفي الامحاض ادخل قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم وما ارسلنا من رسول
قط الا ليطاع باذن الله بسبب اذن الله في طاعته وبانه امر المبعوث اليهم بان يطيعوه
ويتبعوه لانه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع
الرسول فقد اطاع الله ويجوز ان يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا
فاستغفروا الله من ذلك بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك عن ايذائك برد
قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم ومستغفرا لوجدوا الله توابا اي لتاب عليهم
ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشأن رسول الله
وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول بمكان من الله فلا
وربك معناه فوربك كقوله فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم كما زيدت
في لئلا يعلم لتاكيد وجوب العلم ولا يؤمنون جواب القسم فان قلت
هلا زعمت انها زيدت لتظاهر لا في لا يؤمنون قلت يأبى ذلك استواء
النفي والاثبات فيه وذلك قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول
كريم فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه حرجا
ضيقا اي لا يضيق صدورهم من حكمك وقيل شكا لان الشاك في ضيق من امره

حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا ويذعنوا لما تأتي به من قضائك لا يعارضونه
بشيء من قولك سلم الامر لله واسلم له وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة
وتسليما تأكيد للفعل بمنزلة تكريره كأنه قيل وينقادوا لحكمه انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم
وباطنهم قيل نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل في شأن الزبير وحاطب بن ابي بلتعة
وذلك انهما اختصما الى رسول الله في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا
زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب حاطب وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله
ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك
كان قد اشار على الزبير برأي فيه السعة له ولخصمه فلما احفظ رسول الله استوعب
للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول
الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حيوة موسى فدعانا الى
التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا
فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل
نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى
الله عليه والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي
وروي عن عمر بن الخطاب انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك
فنزلت الآية في شأن حاطب ونزلت في شأن هؤلاء ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم اي
لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم
حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه الا ناس قليل منهم وهذا توبيخ عظيم والرفع
على البدل من الواو في فعلوه وقرئ الا قليلا بالنصب على اصل الاستثناء او على الا فعلا
قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من اتباع رسول الله وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به لانه الصادق
المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا لايمانهم
وابعد من الاضطراب فيه واذن جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم ايضا بعد
التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا لآتيناهم لان اذن جواب وجزاء من لدنا اجرا عظيما كقوله
ويؤت من لدنه اجرا عظيما في ان المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته اجرا لانه
تابع للاجر لا يثبت الا بثباته ولهديناهم ولطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات

الصديقون افاضل صحابة الانبياء الذين تقدموا في تصديقهم كابي بكر الصديق وصدقوا في اقوالهم وافعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة اقرب عباد الله الى الله وارفعهم درجات عنده وحسن اولئك رفيقا فيه معنى التعجب وقرئ وحسن بسكون السين يقول المتعجب حسن الوجه وجهك وحسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه ويجوز ان يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه كان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال صلى الله عليه والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة ذلك مبتدأ والفضل صفته ومن الله الخبر ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره والمعنى ان ما اعطي المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل به عليهم تبعا لثوابهم وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه او اراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب احوالهم خذوا حذركم الحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم فانفروا اذا نفرتم الى العدو ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية او انفروا جميعا اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وقرئ فانفروا بضم الفاء اللام في لمن للابتداء بمنزلتها في قوله ان الله لغفور وفي ليبطئن جواب قسم محذوف تقديره وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليه ما استكن في ليبطئن والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه والمبطئون منهم المنافقون لانهم كانوا يغزون معهم نفاقا ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم اذا ابطأ وقرئ

ليبطئن بالتخفيف يقال بطأ على فلان وابطأ عليه وبطؤ نحو ثقل ويقال ما بطأ بك فيعدى بالباء ويجوز ان يكون منقولا من بطؤ نحو ثقل من ثقل فيراد ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن ابي وهو الذي ثبط الناس يوم احد فان اصابتكم مصيبة من قتل او هزيمة فضل من الله من فتح او غنيمة ليقولن وقرأ الحسن ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لان قوله لمن ليبطئن في معنى الجماعة كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني والمعنى كأنه لم يتقدم له معكم موادة لان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر انه تهكم بهم لانهم كانوا اعدى عدو للمؤمنين واشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودة الا على وجه العكس تهكما بحالهم وقرئ فافوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز بمعنى التمني فيكونا متمنيين جميعا ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف بمعنى فانا افوز في ذلك الوقت يشرون بمعنى يشترون ويبيعون قال ابن مفرغ وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامه والذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة هم المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى ان صد الذين مرض قلوبهم وضعف نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون ووعد الله المقاتل في سبيل الله ظافرا او مغلوبا ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده في اعزاز دين الله والمستضعفين فيه وجهان ان يكون مجرورا عطفا على سبيل الله اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين ومنصوبا على الاختصاص يعني واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لان سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من ايدي الكفار من اعظم الخير واخصه والمستضعفون هم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد فكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد عليه السلام فتولاهم احسن التولي ونصرهم اقوى النصر ولما خرج استعمل على اهل مكة عتاب بن اسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا

قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة فان قلت لم ذكر الولدان قلت تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وامهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة باخراجهم في الاستسقاء وعن ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين من النساء والولدان ويجوز ان يراد بالرجال والنساء الاحرار والحرائر وبالولدان العبيد والاماء لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان والولائد الولدان لتغليب الذكور على الاناث كما يقال الآباء والاخوة فان قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث قلت هو وصف القرية الا انه مسند الى اهلها فاعطي اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم اهلها ولو انث فقيل الظالمة اهلها لجاز لا لتانيث الموصوف ولكن لان الاهل يذكر ويؤنث فان قلت هل يجوز من هذه القرية الظالمين اهلها قلت نعم كما تقول التي ظلموا اهلها على لغة من يقول اكلوني البراغيث ومنه واسروا النجوى الذين ظلموا رغب الله المؤمنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا باخبارهم انهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان وكيد الشيطان للمؤمنين الى جنب كيد الله للكافرين اضعف شيء واوهنه كفوا ايديكم اي كفوها عن القتال وذلك ان المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون ان يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة كع فريق منهم لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول فان قلت ما محل كخشية الله من الاعراب قلت محلها النصب على الحال من الضمير في يخشون يخشون الناس مثل اهل خشية الله اي مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية يعني او اشد خشية من اهل خشية الله واشد معطوف على الحال فان قلت لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدر يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله قلت ابى ذلك قوله او اشد خشية لانه وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس اشد خشية لم يكن الا حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر

لانك لا تقول خشي فلان اشد خشية فتنصب خشية وانت تريد المصدر انما تقول اشد خشية فتجرها واذا نصبتها لم يكن اشد خشية الا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم الا ان تجعل الخشية خاشية وذات خشية على حد قولهم جد جده فتزعم ان معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله ويجوز على هذا ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله تريد كخشية الله او كخشية اشد خشية منها لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت آخر كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من اجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون بالياء وقرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كانه قيل فيدرككم الموت وشبه بقول القائل من يفعل الحسنات الله يشكرها ويجوز ان يقال حمل على ما يقع موقع اينما تكونوا وهو اينما كنتم كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير يقول لا غائب مالي ولا حرم وهو قول نحوي سيبويهي ويجوز ان يتصل بقوله ولا تظلمون فتيلا اي ولا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم اينما تكونوا في ملاحم حروب او غيرها ثم ابتدأ قوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على اينما تكونوا والبروج الحصون مشيدة مرفعة وقرئ مشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وقرأ نعيم بن ميسرة مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وانما الشاعر قارضها السيئة تقع على البلية والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقال ان الحسنات يذهبن السيئات والمعنى وان تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها الى الله وان تصبهم بلية من قحط وجدب اضافوها اليك وقالوا هي من عندك وما كانت الا بشؤمك كما حكى الله عن قوم موسى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن معك وروي عن اليهود لعنت انها تشاءمت برسول الله فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها فرد الله عليهم قل كل من عند الله يبسط الارزاق ويقبضها على حسب المصالح لا يكادون يفقهون حديثا فيعلموا ان الله

هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب ثم قال ما اصابك يا انسان
خطابا عاما من حسنة اي من نعمة واحسان فمن الله تفضلا منه واحسانا وابتلاء
وامتحانا وما اصابك من سيئة اي من بلية ومصيبة فمن نفسك لانك السبب فيها لجلبها
اليك بذلك وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عايشة رضي الله عنها
ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا
بذنب وما يعفو الله اكثر وارسلناك للناس رسولا اي رسولا للناس جميعا لست برسول
العرب وحدهم انت رسول العرب والعجم كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس قل
يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وكفى بالله شهيدا على ذلك فما ينبغي لاحد
ان يخرج عن طاعتك واتباعك من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه لا يامر الا بما امر الله
به ولا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في امتثال ما امر به والانتهاء عما نهى عنه
طاعة لله روى انه قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال
المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد
غير الله ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى
عن الطاعة فاعرض عنه فما ارسلناك عليهم حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم
اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما انت عليهم بوكيل ويقولون اذا امرتهم بشيء
طاعة بالرفع اي امرنا وشاننا طاعة ويجوز النصب بمعنى اطعناك طاعة وهذا
من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب
الموثوق بهم يقال له كيف اصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كانه قال امري واشاني
حمد الله ولو نصب حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات
الطاعة واستقرارها بيت طائفة زورت طائفة وسوت غير الذي تقول خلاف
ما قلت وما امرت به او خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم ابطنوا الرد
لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون والتبييت
اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت بليل
واما من ابيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها والله يكتب ما يبيتون
يثبته في صحائفهم ليجازيهم عليه على سبيل الوعيد او يكتبه في جملة ما يوحى
اليك

اليك فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا ان ابطانهم يغني عنهم فاعرض عنهم ولا
تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل على الله في شانهم فان الله يكفيك معرتهم
وينتقم لك منهم اذا قوي امر الاسلام وعز انصاره وقرئ بيت طائفة بالادغام
وتذكير الفعل لان تانيث الطائفة غير حقيقي ولانها في معنى الفريق والفوج
تدبر الامر تامله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم
استعمل في كل تامل فمعنى تدبر القرآن تامل معانيه وتبصر ما فيه لو وجدوا فيه
اختلافا كثيرا لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته
ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه
اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه
على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم فلما تجاوب
كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق اخبار علم انه
ليس الا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه احد سواه فان قلت
اليس نحو قوله فاذا هي ثعبان مبين كانها جان فوربك لنسألنهم اجمعين فيومئذ
لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان من الاختلاف قلت ليس باختلاف
عند المتدبرين هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال
ولا استبطان للامور كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله من امن وسلامة
او خوف او خلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى الرسول
لله والى اولي الامر منهم كبار الصحابة البصراء بالامور او الذين كانوا يؤمرون منهم
لعلمه لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بتجاربهم
وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله
واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار
فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول
والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطونه منهم
كيف يدبرونه وما ياتون ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين
شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا

على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم
هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع
او لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يتلقونه منهم
ويستخرجون علمه من جهتهم يقال اذاع السر واذاع به قال اذاعوا به في الناس حتى
كانه بعلياء نار اوقدت بثقوب ويجوز ان يكون المعنى فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه
وقرئ لعلمه باسكان اللام كقوله فما مجربا ازل من الادم دبرت صفحتاه وغاربه والنبط
الماء يخرج من البئر اول ما تحفر وانباطه واستنباطه اخراجه واستخراجه فاستعير لما
يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وهو ارسال الرسل وانزال الكتاب والتوفيق لاتبعتم الشيطان لبقيتم على
الكفر الا قليلا منكم او الا اتباعا قليلا لما ذكر في الاي قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم
الطاعة واضمارهم خلافها قال فقاتل في سبيل الله ان افردوك وتركوك وحدك لا تكلف
الا نفسك غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو ناصرك لا الجنود فان
شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الالوف وقيل دعا الناس في بدر الصغرى الى
الخروج وكان ابو سفيان واعد رسول الله اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا
فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد ولو لم يتبعه احد لخرج وحده وقرئ لا
تكلف بالجزم على النهي ولا نكلف بالنون وكسر اللام اي لا نكلف نحن الا نفسك وحدها
وحرض المؤمنين وما عليك في شانهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله
ان يكف باس الذين كفروا وهم قريش وقد كف باسهم فقد بدا لابي سفيان وقال
هذا عام مجدب وما كان معهم زاد الا السويق ولا يلقون الا في عام مخصب فرجع
بهم والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا الشفاعة الحسنة هي التي
روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر او جلب اليه خير وابتغي بها وجه الله ولم يؤخذ
عليها رشوة وكانت في امر جائز لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق والسيئة
ما كانت بخلاف ذلك وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية
فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها
وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها في معنى الشفاعة الى الله وعن النبي
صلى

بيان اسلام ورده

صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك
فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك مقيتا شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا من اقات
على الشيء قال الزبير بن عبد المطلب وذي ضغن كففت السوء عنه وكنت على اساءته
مقيتا وقال السموال الى الفضل ام علي اذا حوسبت اني على الحساب مقيت واشتقاقه من القوت
لانه يمسك النفس ويحفظها فحيوا باحسن منها ان تقولوا عليكم السلام ورحمة الله اذا قال
السلام عليكم وان تزيدوا وبركاته اذا قال ورحمة الله وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى
الله عليه السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله
فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته
فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الاية فقال انك لم تترك لي فضلا
فرددت عليك مثله او ردوها او اجيبوها بمثلها ورد السلام ورجعه جوابه بمثله لان
المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب التسليمة واجب والتخيير انما وقع بين الزيادة
وتركها وعن ابي يوسف رحمه الله من قال لآخر اقرئ فلانا السلام وجب عليه ان يفعل
وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس الرد واجب وما من رجل يمر
على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه
الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة
العلم والاذان والاقامة وعن ابي يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني
والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام او غيره وذكر الطحاوي ان
المستحب رد السلام على الطهارة وعن النبي صلى الله عليه انه تيمم لرد السلام وقالوا
ويسلم الرجل اذا دخل على امراته ولا يسلم على اجنبية ويسلم الماشي وراكب الفرس
على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وعن ابي
حنيفة لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي عليه السلام اذا سلم عليكم اهل الكتاب
فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم وروي لا تبدا اليهودي
بالسلام وان بداك فقل وعليك وعن الحسن يجوز ان تقول للكافر وعليك السلام ولا
تقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه وعليك
السلام ورحمة الله فقيل له فقال اليس في رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء

ان يبدا اهل الذمة بالسلام اذا دعت الى ذلك حادثة تحوجه اليهم وروى ذلك عن النخعي وعن ابي حنيفة لا تبدأه بسلام في كتاب ولا غيره وعن ابي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا باس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه على كل شئ حسيبا اي يحاسبكم على كل شئ من التحية وغيرها الله لا اله الا هو خبر المبتدا واما اعتراض والخبر ليجمعنكم ومعناه الله والله ليجمعنكم الى يوم القيامة اي ليحشرنكم اليه والقيامة والقيام كالطلاب والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا لانه عز وجل صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك ان الكذب مستقل بصارف عن الاقدام عليه وهو قبحه ووجه قبحه الذي هو كونه كذبا واخبارا عن الشئ بخلاف ما هو عليه فمن كذب لم يكذب الا لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غني عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلى على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء انه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت لهواتك به ما فارقته وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا اني صادق في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الغني الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح فئتين نصب على الحال كقولك مالك قائما روي ان قوما من المنافقين استاذنوا رسول الله في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه يوم احد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا وقيل هم قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه ما لكم اختلفتم في شان قوم قد نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم والله اركسهم اي ردهم في حكم المشركين كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله او اركسهم في الكفر بان خذلهم حتى اركسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم اتريدون ان تهدوا ان تجعلوا

من جملة المهتدين من اضل الله من جعله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك او خذله حتى ضل وقرئ ركسهم وركسوا فيها فتكونون عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى ودوا كفركم وكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الاباء فلا تتولوهم وان آمنوا حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض من اغراض الدنيا ليس بعدها ابدا ولا تعرب فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم وجانبوهم مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم الا الذين يصلون استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون الى قوم ينتهون اليهم ويتصلون بهم وعن ابي عبيدة هو من الانتساب وصلت الى فلان واتصلت به اذا انتميت اليه وقيل ان الانتساب لا اثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله بمن معه من هو من انسابهم والقوم هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله عهد وذلك انه وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجا اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل القوم بنو بكر ابن زيد مناة كانوا في الصلح او جاؤكم لا يخلو من ان يكون معطوفا على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين كانه قيل الا الذين يتصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض لهم وترك الايقاع بهم فان قلت كل واحد من الاتصالين له تاثير في صحة الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالكافين لان الاتصال بهؤلاء او بهؤلاء دخول في حكمهم فهلا جوزت ان يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالكافين واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم قلت هو جائز ولكن الاول اظهر واجرى على اسلوب الكلام وفي قراءة ابي بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم حصرت صدورهم بغير او ووجهه ان يكون جاؤكم بيانا ليصلون او بدلا او استينافا او صفة بعد صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال باضمار قد والدليل عليه قراءة من قرا

حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على او جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم عن ان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم فان قلت كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان اعتزلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليامنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم سلطانا مبينا حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له ولا لاق بحاله كقوله وما كان لنبي ان يغل وما يكون لنا ان نعود ان يقتل مؤمنا ابتداء غير قصاص الا خطا الا على وجه الخطا فان قلت بم انتصب خطا قلت بانه مفعول له اي ما ينبغي له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطا وحده ويجوز ان يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من الاحوال الا في حال الخطا وان يكون صفة للمصدر الا قتلا خطا والمعنى ان من شان المؤمن ان ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطا من غير قصد بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم وقرئ خطاء بالمد وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروي ان عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر خوفا من قومه الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه فاقسمت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل في الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت

على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد مائة جلدة فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدم على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت فتحرير رقبة فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه اكرم موضع منه وقولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعل اي لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالراس في قولهم فلان يملك كذا راسا من الرقيق والمراد برقبة مؤمنة كل رقبة كانت في حكم الاسلام عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزي الا رقبة قد صلت وصامت ولا تجزي الصغيرة وقاس عليها الشافعي كفارة الظهار فاشترط الايمان وقيل لما اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شئ يقضى منها الدين وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارث فهي لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله صلى الله عليه انا وارث من لا وارث له وعن عمر رضي الله عنه انه قضى بدية المقتول فجاءت امراة تطلب ميراثها من عقله فقال لا اعلم لك شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب الي رسول الله يامرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها اشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا تنفذ وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة فان قلت على من تجب الرقبة والدية قلت على القاتل الا ان الرقبة في ماله والدية يتحملها عنه العاقلة فان لم يكن له عاقلة فهي في بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو كقوله الا ان يعفون ونحوه وان تصدقوا خير لكم وعن النبي صلى الله عليه كل معروف صدقة

وقرأ ابي الا ان يتصدقوا الا ان يصدقوا متعلق بعليه او بمسلمة كانه قيل وجبت عليه الدية او يسلمها الا حين يتصدقون عليه ومحله النصب على الظرف بتقدير حذف المضاف كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز ان يكون حالا من اهله بمعنى الا متصدقين فان كان من قوم عدو لكم من قوم كفار اهل حرب وذلك نحو رجل اسلم في قومه الكفار وهو بين اظهرهم لم يفارقهم فتحرير رقبة مؤمنة فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطأ وليس على عاقلته لاهله شيء لانهم كفار محاربون وقيل كان الرجل يسلم ثم ياتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطأ لانهم يظنونه كافرا مثلهم وان كان من قوم بينكم وبينهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين واهل الذمة من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من المسلمين فمن لم يجد رقبة يعني لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه او نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه هذه الآية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم وخطب غليظ ومن ثمة روي عن ابن عباس ما روي من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤون هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم مناهم ان يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ثم ذكر الله سبحانه التوبة في قتل الخطأ لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع واي حسم ولكن لا حياة لمن تنادي فان قلت هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر قلت ما ابين الدليل فيها وهو تناول قوله ومن يقتل اي قاتل كان من مسلم او كافر تائب او غير تائب

ناهيك اي حسبك مهذب

الا ان التائب اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب فليات بدليل مثله فتبينوا وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية وقرئ السلم والسلام وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية اهل الاسلام لست مؤمنا وقرئ مؤمنا بفتح الميم من آمنه اي لا نؤمنك وروي ان مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما راى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله فوجد وجدا شديدا ثم قال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتاخذوا ماله كذلك كنتم من قبل اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم فيه وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما وقوله فتبينوا تكرير للامر بالتبين ليؤكد عليهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك غير اولي الضرر قرئ بالحركات الثلث فالرفع صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم او حال والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وعن زيد بن ثابت كنت الى جنب رسول الله فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك

ثم قال اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال غير اولي الضرر قال زيد انزلها الله وحدها فالحقتها والذي نفسي بيده لكاني انظر الى ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن عباس لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون اليها وعن مقاتل الى تبوك فان قلت معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء قلت معناه الاذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليانف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اريد به التحريك من حمية الجاهل وانفته ليهاب به الى التعلم ولينهض بنفسه عن صفة الجهل الى شرف العلم فضل الله المجاهدين جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير اولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وعن النبي صلى الله عليه لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم هم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوى الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره فان قلت قد ذكر الله سبحانه وتعالى مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم قلت اما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الاضراء واما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية فان قلت لم نصب درجة واجرا ودرجات قلت نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل كانه قيل فضلهم تفضيلة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة واما اجرا فقد انتصب بفضل لانه في معنى اجرهم اجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربه اسواطا بمعنى ضربات كانه قيل وفضلهم تفضيلات ونصب اجرا عظيما على انه حال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة باضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة توفاهم يجوز ان يكون ماضيا كقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم كقراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال

الصدع الشق مهذب

ظلمهم انفسهم قالوا قال الملائكة للمتوفين فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم وهم ناس من اهل مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة فان قلت كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين في الارض جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان حق الجواب ان يقولوا كنا في كذا او لم نكن في شيء قلت معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف وانهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة وهذا دليل على ان الرجل اذا كان في بلد لا يتمكن فيه من اقامة امر دينه كما يجب لبعض الاسباب والعوائق عن اقامة الدين لا تنحصر او علم انه في غير بلده اقوم بحق الله وادوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما السلام اللهم ان كنت تعلم ان هجرتي اليك لم تكن الا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي عند بيتك بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك وروي ان رسول الله صلى الله عليه بعث بهذه الآية الى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة او ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم فان قلت كيف ادخل الولدان في جملة المستثنين من اهل الوعيد كانهم يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا قلت الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مستضعفين وقد لا يكونون كذلك واما الولدان فلا يكونون الا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لان سبب خروج الرجال والنساء من جملة اهل الوعيد انما هو

كونهم عاجزين فاذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم
ضرورة هذا اذا اريد بالولدان الاطفال ويجوز ان يراد المراهقون منهم الذين عقلوا
ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف وان اريد العبيد والاماء والبالغون
فلا سؤال قلت الجملة التي هي لا يستطيعون ما موقعها قلت هي صفة للمستضعفين
او للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف
التعريف فليس لشيء بعينه كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني قلت لم قيل عسى
الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع قلت للايذان بان ترك الهجرة امر مضيق لا توسعة
فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عني فكيف بغيره
مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم والرغم الذل
والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو
يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدي كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم
والمذهب وقرئ مرغما ثم يدركه الموت بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقيل
رفع الكاف منقول من الهاء كانه اراد ان يقف عليها ثم نقل حركة الهاء الى الكاف كقوله
من عنزي سبني لم اضربه وقرئ يدركه بالنصب على اضمار ان كقوله ولحق بالحجاز فاستريحا
فقد وقع اجره على الله فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فاذا
وجبت جنوبها ووجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه
روي في قصة جندب بن ضمرة انه لما ادركه الموت اخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال
اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب
رسول الله فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما ادرك هذا
ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او فرار الى بلد يزداد
فيه طاعة او قناعة وزهدا في الدنيا او ابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله
وان ادركه الموت في طريقه فاجره واقع على الله واذا ضربتم في الارض سافرتم وادنى
مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند ابي حنيفة رحمه الله مسيرة ثلثة ايام ولياليهن بسير
الابل ومشي الاقدام على القصد ولا اعتبار بابطاء الضارب واسراعه فلو سار مسيرة
ثلثة ايام ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلثة ايام لم يقصر وعند الشافعي رحمه الله

سورة النساء

باب قصر الصلوة

اذ فعدة السفر اربعة برد مسيرة يومين وقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة
ظاهره التخيير بين القصر والاتمام وان الاتمام افضل والى التخيير ذهب الشافعي وروي عن النبي
صلى الله عليه انه اتم في السفر وعن عايشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله من المدينة
الى مكة حتى اذا قدمت مكة قلت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت
فقال احسنت يا عايشة وما عاب علي وكان عثمان رضي الله عنه يتم ويقصر وعند ابي حنيفة رحمه
الله القصر في السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره وعن عمر رضي الله عنه صلوة
السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عايشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلوة
فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر قلت فما تصنع بقوله
فليس عليكم جناح ان تقصروا قلت كانهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم
ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب انفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه وقرئ
تقصروا من اقصر وجاء في الحديث اقصار الخطبة بمعنى تقصيرها وقرأ الزهري تقصروا
بالتشديد والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة وهو قوله ان خفتم ان يفتنكم
الذين كفروا واما في حال الامن فبالسنة وفي قراءة عبد الله من الصلوة ان يفتنكم ليس فيها
ان خفتم على انه مفعول له بمعنى كراهة ان يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره
واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بظاهره من لا يرى صلوة الخوف بعد رسول الله
صلى الله عليه حيث شرط كونه فيهم وقال من رآها بعده ان الايمة نواب عن رسول الله
صلى الله عليه في كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل امام يكون حاضرا
الجماعة في حال الخوف عليه ان يؤمهم كما امهم رسول الله الجماعات التي كان يحضرها والضمير في
فيهم للخائفين فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك فصل بهم
وليأخذوا اسلحتهم الضمير اما للمصلين واما لغيرهم فان كان للمصلين فقالوا ياخذون
من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر ونحوهما وان كان لغيرهم فلا كلام
فيه فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم يعني غير المصلين من ورائكم يحرسونكم وصفة صلوة الخوف
عند ابي حنيفة رحمه الله ان يصلي الامام باحدى الطائفتين ركعة ان كانت الصلوة ركعتين
والاخرى بازاء العدو ثم تقف هذه بازاء العدو وتاتي الاخرى فيصلي بها ركعة ويتم صلوته
ثم تقف بازاء العدو وتاتي الاولى فتؤدي الركعة بغير قراءة وتتم صلوتها ثم تحرس وتاتي الاخرى

وهو الامام ابو يوسف يقول [illegible]
ونفر من المعتزلة وبعض الفقهاء [illegible]
[illegible]

فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلوتها والسجود على ظاهره عند ابي حنيفة رحمه الله وعند مالك
بمعنى الصلوة لان الامام يصلي عنده بطائفة ركعة ويقف قائما حتى تتم صلوتها وتسلم
وتذهب ثم يصلي بالثانية ركعة ويقف قاعدا حتى تتم صلوتها ويسلم بهم ويعضده ولتأت
طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وقرئ وامتعاتكم قلت كيف جمع بين الاسلحة
وبين الحذر في الاخذ قلت جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي
فلذلك جمع بينه وبين الاسلحة في الاخذ وجعلا ماخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوؤا
الدار والايمان جعل الايمان مستقرا لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار في
التبوء فيميلون عليكم فيشدون عليكم شدة واحدة ورخص لهم في وضع الاسلحة ان ثقل
عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر او يضعفهم من مرض وامرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا
يغفلوا فيهجم عليهم العدو قلت كيف طابق الامر بالحذر قوله ان الله اعد
للكافرين عذابا مهينا قلت الامر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى
عنهم ذلك الايهام باخبارهم ان الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم
وليعلموا ان الامر بالحذر ليس لذلك وانما هو تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
فاذا قضيتم الصلوة فاذا صليتم في حال الخوف والقتال فاذكروا الله فصلوها قياما
مسايفين ومقارعين وقعودا جاثين على الركب مرامين وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح
فاذا اطمأننتم حين تضع الحرب اوزارها وامنتم فاقيموا الصلوة فاقضوا ما صليتم في
تلك الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا
محدودا بالاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها على اي حال كنتم خوف او امن وهذا ظاهر
على مذهب الشافعي في ايجابه الصلوة على المحارب في حال المسايفة والمشي والاضطراب
في المعركة اذا حضر وقتها فاذا اطمأن فعليه القضاء واما عند ابي حنيفة رحمه الله فهو معذور
في تركها الى ان يطمئن وقيل معناه فاذا قضيتم صلوة الخوف فاديموا ذكر الله مهللين
مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتاييد في كافة احوالكم من قيام وقعود واضطجاع فان
ما انتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه واللجاء اليه فاذا اطمأننتم فاذا
امنتم فاقيموا الصلوة فاتموها ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب
الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم الزمهم الحجة بقوله ان تكونوا تألمون اي ليس ما تكابدون

بدل وامتعتكم

سورة النساء

من الالم بالجرح والقتل مختصا بكم انما هو امر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم
ثم انهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى منهم بالصبر
لانكم ترجون من الله ما لا يرجون من اظهار دينكم على ساير الاديان ومن الثواب العظيم في
الآخرة وقرأ الاعرج ان تكونوا تألمون وقوله فانهم يألمون كما تألمون تعليل وقرئ فانهم يئلمون
كما تيلمون وروي ان هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا وكان الله عليما حكيما
لا يكلفكم شيئا ولا يامركم ولا ينهاكم الا لما هو عالم به مما يصلحكم روي ان طعمة بن ابيرق
احد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق
ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع
عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى
الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر
انطلقوا بنا الى رسول الله فسالوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح
وبرئ اليهودي فهم رسول الله ان يفعل وان يعاقب اليهودي وقيل هم ان يقطع يده
فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حايطا بمكة ليسرق اهله فسقط
الحايط عليه فقتله بما اريك الله بما عرفك واوحى به اليك وعن عمر رضي الله عنه لا
يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه ولكن ليجتهد رايه لان
الراي من رسول الله صلى الله عليه كان مصيبا لان الله كان يريه اياه وهو منا الظن
والتكلف ولا تكن للخائنين خصيما ولا تكن لاجل الخائنين مخاصما للبرآء يعني لا تخاصم اليهود
لاجل بني ظفر واستغفر الله مما هممت به من عقاب اليهودي يختانون انفسهم يخونونها
بالمعصية كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم
لانفسهم كما جعلت ظلما لها لان الضرر راجع اليهم قلت لم قيل للخائنين ويختانون
انفسهم وكان السارق طعمة وحده قلت لوجهين احدهما ان بني ظفر شهدوا له
بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له في الاثم والثاني انه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته
فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه قلت لم قيل خوانا اثيما على المبالغة قلت
كان الله عالما من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمة امره لم يشك
في حاله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر رضي الله عنه

[illegible]

الله أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكي وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه
فقال كذبت إن الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة. يستخفون يستترون من الناس حياء
منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم
مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة
الحياء والخشية من ربهم مع علمهم إن كانوا مؤمنين أنهم في حضرته لا سترة ولا غفلة
ولا غيبة وليس إلا الكشف الصريح والافتضاح. يبيتون يدبرون ويزورون وأصله أن يكون
بالليل ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة أن يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه
ويحلف ببراءته. فإن قلت كيف سمى التدبير قولا وإنما هو معنى في النفس قلت لما
حدث بذلك نفسه سمي قولا على المجاز ويجوز أن يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به
بعد أن بيته وتوركه الذنب على اليهودي. ها أنتم هؤلاء ها للتنبيه في أنتم وأولاء وهما
مبتدأ وخبر وجادلتم جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا كما تقول لبعض الأسخياء أنت
حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك ويجوز أن يكون أولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم
صلته والمعنى هبوا أنكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة
إذا أخذهم الله بعذابه وقرأ عبد الله عنه أي عن طعمة. وكيلا حافظا ومحاميا من بأس
الله وانتقامه. ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي
أو يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك
أو يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة مع العلم
بما يكون منه أو لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه. فإنما يكسبه على نفسه أي لا يتعداه
ضرره إلى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء. خطيئة صغيرة أو إثما أو كبيرة ثم
يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا وإثما لأنه بكسب الإثم آثم وبرمي
البريء باهت فهو جامع بين الأمرين وقرأ معاذ بن جبل ومن يكسب بكسر الكاف
والسين المشددة وأصله يكتسب. ولولا فضل الله عليك ورحمته أي عصمته وألطافه
وما أوحي إليك من الاطلاع على سرهم لهمت طائفة منهم من بني ظفر أن يضلوك
عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بأن الجاني هو صاحبهم فقد روي أن
ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة. وما يضلون إلا أنفسهم لأن وباله عليهم وما يضرونك

وما يضرونك من شيء لأنك إنما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك أن الحقيقة على خلاف
ذلك. وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الأمور وضمائر القلوب أو من أمور الدين والشرائع
ويجوز أن يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في منهم إلى الناس وقيل الآية في المنافقين.
لا خير في كثير من نجواهم من تناجي الناس. إلا من أمر بصدقة إلا نجوى من أمر على أنه مجرور بدل
كما تقول لا خير في قيامهم إلا قيام زيد ويجوز أن يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى
ولكن من أمر بصدقة ففي نجواه الخير وقيل المعروف القرض وقيل إغاثة الملهوف وقيل
هو عام في كل جميل ويجوز أن يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على
سبيل التطوع وعن النبي صلى الله عليه كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ما كان من أمر
بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله وسمع سفيان رجلا يقول ما أشد هذا الحديث فقال
ألم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجواهم فهو هذا بعينه أو ما سمعته يقول والعصر إن
الإنسان لفي خسر فهو هذا بعينه وشرط في استيجاب الأجر العظيم أن ينوي فاعل
الخير عبادة الله والتقرب به إليه وأن يبتغي به وجهه خالصا لأن الأعمال بالنيات.
فإن قلت كيف قال إلا من أمر ثم قال ومن يفعل ذلك قلت قد ذكر الأمر بالخير
ليدل به على فاعله لأنه إذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم أدخل ثم
قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالأجر العظيم ويجوز أن يراد ومن
يأمر بذلك فعبر عن الأمر بالفعل كما يعبر به عن سائر الأفعال وقرئ يؤتيه بالياء. ويتبع
غير سبيل المؤمنين وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيم وهو دليل
على أن الإجماع حجة لا يجوز مخالفتها كما لا يجوز مخالفة الكتاب والسنة لأن الله عز وجل
جمع بين اتباع سبيل غير المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد
الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول. نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال
بأن نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وقرئ ونصله بفتح النون من صلاه
وقيل هي في طعمة وارتداده وخروجه إلى مكة. إن الله لا يغفر أن يشرك به تكرير للتأكيد وقيل
كرر لقصة طعمة وروي أنه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب إلى رسول الله صلى الله
عليه فقال إني شيخ منهمك في الذنوب إلا أني لم أشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به
ولم أتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصي جرأة على الله ولا مكابرة له وما توهمت

طرفة عين أني أعجز الله هربا وإني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت
وهذا الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه. إلا إناثا هي اللات والعزى
ومناة وعن الحسن لم تكن حي من أحياء العرب إلا ولهم صنم يعبدونه يسمونه أنثى بني فلان
وقيل كانوا يقولون في أصنامهم هن بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات
الله وقرئ أنثى جمع أنيث أو إناث ووثنا وأثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك أسد
وأسد وأسد وقلب الواو ألفا نحو أجوه في وجوه وقرأت عائشة رضي الله عنها أوثانا
وإن يدعون وإن يعبدون بعبادة الأصنام إلا شيطانا لأنه هو الذي أغراهم على عبادتها
فأطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة. لعنه الله وقال لأتخذن صفتان بمعنى شيطانا مريدا
جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع. نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا فرضته لنفسي من
قولهم فرض له في العطاء وفرض للجند رزقه قال الحسن من كل ألف تسعمائة وتسعين
إلى النار. ولأمنينهم الأماني الباطلة من طول الأعمار وبلوغ الآمال ورحمة الله للمجرمين
من غير توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة وغيرها. وبتكهم الآذان فعلهم بالبحائر
كانوا يشقون أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم
الانتفاع بها. وتغييرهم خلق الله فقء عين الحامي وإعفاؤه عن الركوب وقيل الخصاء وهو
في قول عامة العلماء مباح في البهائم وأما في بني آدم فمحظور وعند أبي حنيفة يكره شرى
الخصيان وإمساكهم واستخدامهم لأن الرغبة فيهم تدعو إلى خصائهم وقيل فطرة الله
التي هي دين الإسلام وقيل للحسن إن عكرمة يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو
دين الله وعن ابن مسعود هو الوشم وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات
والمستوشمات المغيرات خلق الله وقيل التخنث. وعد الله حقا مصدران الأول مؤكد
لنفسه والثاني مؤكد لغيره. ومن أصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ. فإن قلت
ما فائدة هذه التوكيدات قلت معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وأمانيه
الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه ترغيبا للعباد في إيثار ما يستحقون
به تنجز وعد الله على ما يتجرعون في عاقبته غصص إخلاف مواعيد الشيطان.
في ليس ضمير وعد الله أي ليس ينال ما وعد الله من الثواب بأمانيكم ولا بأماني أهل
الكتاب والخطاب للمسلمين لأنه لا يتمنى وعد الله إلا من آمن به ولذلك ذكر أهل

أهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الإيمان بوعد الله وعن مسروق والسدي هي في
المسلمين وعن الحسن ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل إن
قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله
وكذبوا لو أحسنوا الظن به لأحسنوا العمل وقيل إن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا
فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن أولى منكم نبينا خاتم
النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت ويحتمل أن يكون الخطاب
للمشركين لقولهم إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم وأحسن حالا وأوتين مالا وولدا
إن لي عنده للحسنى وكان أهل الكتاب يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه لن تمسنا النار
إلا أياما معدودة ويعضده تقدم ذكر أهل الشرك قبله وعن مجاهد إن الخطاب للمشركين
قوله من يعمل سوءا يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات بعد ذكر تمني أهل الكتاب
نحو من قوله بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات
عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة وإذا أبطل الله الأماني وأثبت
أن الأمر كله معقود بالعمل وأن من أصلح عمله فهو الفائز ومن أساء عمله فهو الهالك
تبين الأمر ووضح ووجب قطع الأماني وحسم المطامع والإقبال على العمل الصالح ولكنه
نصح لا تعيه الآذان ولا تلقى إليه الأذهان. فإن قلت ما الفرق بين من الأولى والثانية
قلت الأولى للتبعيض أراد ومن يعمل بعض الصالحات لأن كلا لا يتمكن من كل
الصالحات لاختلاف الأحوال وإنما يعمل منها ما هو تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف
لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة وتسقط عنه الصلاة في بعض الأحوال والثانية لتبيين
الإبهام في ومن يعمل. فإن قلت كيف خص الصالحون بأنهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم
في ذلك قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون الراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال
الصالحات جميعا والثاني أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر لأن كلا
الفريقين مجزيون بأعمالهم لا تفاوت بينهم ولأن ظلم المسيء أن يزاد في عقابه وأرحم
الراحمين معلوم أنه لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه وأما المحسن
فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز أن ينقص من الفضل
لأنه ليس بواجب فكان نفي الظلم دلالة على أنه لا يقع نقصان في الفضل. أسلم وجهه

أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا ومعبودا سواه وهو محسن وهو عامل
للحسنات تارك للسيئات حنيفا حال من المتبع أو من إبراهيم كقوله بل ملة إبراهيم حنيفا
وما كان من المشركين وهو الذي تحنف أي مال عن الأديان كلها إلى دين الإسلام واتخذ
الله إبراهيم خليلا مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله
والخليل هو الذي يخالك أي يوافقك في خلالك أو يسايرك في طريقك من الخل
وهو الطريق في الرمل أو يسد خللك كما تسد خلله أو يداخلك خلال منازلك وحجبك
فإن قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب
كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم والحوادث جمة فائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته لأن
من بلغ من الزلفى عند الله أن اتخذه خليلا كان جديرا بأن تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها
معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى وقيل إن إبراهيم عليه السلام بعث إلى خليل له بمصر في
أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان إبراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت
ولكنه يريدها للأضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر حياء من الناس فلما
أخبروا إبراهيم ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته إلى غرارة منها فأخرجت حوارى
واختبزت واستنبه إبراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم فقالت امرأته من
خليلك المصري فقال بل من خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما في السموات
وما في الأرض متصل بذكر العمال الصالحين والطالحين ومعناه أن له ملك أهل السموات
والأرض فطاعته واجبة عليهم وكان الله بكل شيء محيطا فكان عالما بأعمالهم فمجازيهم
على خيرها وشرها فعليهم أن يختاروا لأنفسهم ما هو أصلح لها ما يتلى في محل الرفع
أي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى يعني قوله وإن خفتم أن لا تقسطوا
في اليتامى وهو من قولك أعجبني زيد وكرمه ويجوز أن يكون وما يتلى عليكم مبتدأ في الكتاب
خبره على أنها جملة معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليكم
وأن العدل والنصفة في حقوق اليتامى من عظائم الأمور المرفوعة الدرجات عند الله
التي تجب مراعاتها والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه في
تعظيم القرآن وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز أن يكون مجرورا على القسم
كأنه قيل قل الله يفتيكم فيهن وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم أيضا لمعنى التعظيم
وليس

وهو إذا كان المضاف في المضاف إليه
بمنزلة شيء واحد يجوز الحال منه بعينه
الفاعل أو المفعول

فحملته عيناه كناية عن النوم
كأن عين النائم تحمله

إنما قلنا لأن العطف على [illegible] المجرور
بدون إعادة [illegible]
العطف [illegible] النساء [illegible]
[illegible]

وليس بسديد أن يعطف على المجرور في فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى فإن قلت
بم تعلق قوله في يتامى النساء قلت في الوجه الأول هو صلة يتلى أي يتلى عليكم في معناهن
ويجوز أن يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن وأما في الوجهين الآخرين فبدل لا غير
فإن قلت الإضافة في يتامى النساء ما هي قلت إضافة بمعنى من كقولك عندي
سحق عمامة وقرئ في ييامى النساء بيائين على قلب همزة أيامى ياء لا تؤتونهن ما كتب لهن
وقرئ ما كتب الله لهن أي ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة إلى نفسه
وما لها فإن كانت جميلة تزوجها وأكل المال وإن كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى
تموت فيرثها وترغبون أن تنكحوهن يحتمل في أن تنكحوهن لجمالهن وعن أن تنكحوهن
لدمامتهن وروي أن عمر بن الخطاب كان إذا جاءه ولي اليتيمة نظر فإن كانت جميلة
غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك وإن كانت دميمة ولا مال لها قال
تزوجها فأنت أحق بها والمستضعفين مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا
في الجاهلية إنما يورثون الرجال القوام بالأمور دون الأطفال والنساء ويجوز أن يكون
خطابا للأوصياء كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب وأن تقوموا مجرور كالمستضعفين
بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي أن تقوموا ويجوز أن يكون منصوبا
بمعنى ويأمركم أن تقوموا وهو خطاب للأئمة في أن ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم
ولا يخلوا أحدا يهتضمهم خافت من بعلها توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله
وأماراته والنشوز أن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي
بين الرجل والمرأة وأن يؤذيها بسب أو ضرب والإعراض أن يعرض عنها بأن يقل
محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض الأسباب من طعن في سن أو دمامة أو شيء
في خلق أو خلق أو ملال أو طموح عين إلى أخرى أو غير ذلك فلا بأس بهما في أن يصلحا
بينهما وقرئ يصالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو أصلح أصبر في اصطبر
صلحا في معنى مصدر كل واحد من الأفعال الثلاثة ومعنى الصلح أن يتصالحا على
أن تطيب له نفسا عن القسمة أو عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت
أن يفارقها رسول الله وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها وكما روي
أن امرأة أراد أن يطلقها زوجها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني

أي صرف جهة حجر إيجاد الفعل كما في قوله
[illegible]

ويقرأ يصلحا ويصالحا ويصلحا أي يتصالحا
إصلاحا أو تصالحا واصطلاحا

ودعني أقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال إن كان هذا يصلح فهو أحب إلي
فأقرها أو تهب له بعض المهر أو كله أو النفقة فإن لم تفعل فليس له إلا أن يمسكها بإحسان
أو يسرحها والصلح خير من الفرقة أو من النشوز والإعراض وسوء العشرة أو هو خير
من الخصومة في كل شيء أو والصلح خير من الخيور كما أن الخصومة شر من الشرور وهذه
الجملة اعتراض وكذلك قوله وأحضرت الأنفس الشح ومعنى إحضار الأنفس الشح أن الشح
جعل حاضرا لها لا يغيب عنها أبدا ولا ينفك عنه يعني أنها مطبوعة عليه والغرض أن
المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بأن يقسم لها
وأن يمسكها إذا رغب عنها وأحب غيرها وإن تحسنوا بالإقامة على نسائكم وإن
كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة وتتقوا النشوز
والإعراض وما يؤدي إلى الأذى والخصومة فإن الله كان بما تعملون من الإحسان والتقوى
خبيرا وهو يثيبكم عليه وكان عمران بن حطان الخارجي من أدم بني آدم وامرأته من أجملهم
فأجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال ما لك قالت حمدت الله على أني
وإياك من أهل الجنة قال كيف قالت لأنك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت
وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين ولن تستطيعوا ومحال أن تستطيعوا
العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب
لهن فرفع الله ذلك عنكم تمام العدل وغايته وما كلفتم منه إلا ما تستطيعون بشرط أن تبذلوا
فيه وسعكم وطاقتكم لأن تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك
بظلام للعبيد وقيل معناه أن تعدلوا في المحبة وعن النبي صلى الله عليه أنه كان
يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما أملك فلا تأخذني فيما تملك ولا
أملك يعني المحبة لأن عائشة رضي الله عنها كانت أحب إليه وقيل إن العدل بينهن
أمر صعب بالغ من الصعوبة حدا يوهم أنه غير مستطاع لأنه يجب أن يسوى بينهن
في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والإقبال والممالحة والمفاكهة والمؤانسة
وغيرها مما لا يكاد الحصر يأتي من ورائه فهو كالخارج من حد الاستطاعة هذا إذا
كن محبوبات كلهن فكيف إذا مال القلب مع بعضهن فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا
على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضا منها يعني أن اجتناب كل

كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه إن وقع منكم التفريط في العدل كله
وفيه ضرب من التوبيخ فتذروها كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة قالت
هل هي إلا حظة أو تطليق أو صلف أو بين ذاك تعليق وفي قراءة أبي فتذروها كالمسجونة
وفي الحديث من كانت له امرأتان يميل مع إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل وروي
أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث إلى أزواج رسول الله صلى الله عليه بمال فقالت عائشة
أإلى كل أزواج رسول الله بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث إلى القرشيات بمثل هذا وإلى
غيرهن بغيره فقالت ارفع رأسك فإن رسول الله صلى الله عليه كان يعدل بيننا في القسمة
بماله ونفسه فرجع الرسول فأخبره فأتم لهن جميعا وكان لمعاذ امرأتان فإذا كان عند إحداهما
لم يتوضأ في بيت الأخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد وإن تصلحوا ما مضى
من ميلكم وتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل غفر الله لكم وقرئ وإن يتفارقا يعني
وإن يفارق كل واحد منهما صاحبه يغن الله كلا يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا
أهنأ من عيشه والسعة الغنى والقدرة والواسع الغني المقتدر من قبلكم متعلق
بوصينا أي وصيناهم وإياكم عطف على الذين أوتوا والكتاب اسم للجنس يتناول الكتب
السماوية أن اتقوا بأن اتقوا أو تكون أن المفسرة لأن التوصية في معنى القول وقوله
وإن تكفروا فإن لله عطف على اتقوا لأن المعنى أمرناهم وأمرناكم بالتقوى وقلنا لهم
ولكم إن تكفروا فإن لله والمعنى أن لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم
بأصناف النعم كلها فحقه أن يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون عقابه ويرجون
ثوابه ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من الأمم السالفة ووصيناكم أن اتقوا الله
يعني أنها وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده لستم بها مخصوصين لأنهم بالتقوى
يسعدون عنده وبها ينالون النجاة في العاقبة وقلنا لهم ولكم إن تكفروا فإن لله في سمواته
وأرضه من الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا
عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا لأن يحمد لكثرة نعمه وإن لم يحمده أحد منهم
وتكرير قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الأرض تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه
فيطيعوه ولا يعصوه لأن الخشية والتقوى أصل الخير كله إن يشأ يذهبكم يفنكم ويعدمكم
كما أوجدكم وأنشأكم ويأت بآخرين ويوجد إنسا آخرين مكانكم أو خلقا آخرين غير الإنس

قال ع
الصلف زنكه او را شوى
دوست ندارد حدب

يغن الله كلا بالسلو عن صاحبه أو بالمال
أو الزوج بزوجة والزوجة بزوج

وكان الله على ذلك من الإعدام والإيجاد قديرا بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا
غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله صلى
الله عليه من العرب أي إن يشأ يهلككم ويأت بناس آخرين يوالونه ويروى أنها لما نزلت
ضرب رسول الله صلى الله عليه بيده على ظهر سلمان وقال إنهم قوم هذا يريد أبناء فارس
من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة
فما له يطلب أحدهما دون الآخر والأخس منهما لأن من جاهد لله خالصا لم تخطئه
الغنيمة وله من ثواب الآخرة ما الغنيمة إلى جنبه كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب الدنيا
والآخرة له إن أراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط قوامين بالقسط مجتهدين في إقامة العدل
حتى لا تجوروا شهداء لله تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما أمرتم بإقامتها ولو على أنفسكم
ولو كانت الشهادة على أنفسكم أو آبائكم أو أقاربكم قال الشهادة على الوالدين والأقربين
أن يقول أشهد أن لفلان علي وعلى والدي كذا أو على أقاربي وما معنى الشهادة على نفسه
هي الإقرار على نفسه لأنه في معنى الشهادة عليها بإلزام الحق لها ويجوز أن يكون المعنى وإن
كانت الشهادة وبالا على أنفسكم أو على آبائكم وأقاربكم وذلك أن يشهد على من يتوقع
ضرره من سلطان ظالم أو غيره إن يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه
طلبا للرضاء أو فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه فالله أولى بهما بالغني والفقير أي أنظر لهما
وإرادة مصلحتهما ولولا أن الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لأنه أنظر لعباده
من كل ناظر قال لم ثني الضمير في أولى بهما وكان حقه أن يوحد لأن قوله إن يكن غنيا
أو فقيرا في معنى إن يكن أحد هذين قلت قد رجع الضمير إلى ما دل عليه قوله إن يكن
غنيا أو فقيرا لا إلى المذكور فلذلك ثني ولم يفرد وهو جنس الغني وجنس الفقير كأنه قيل
فالله أولى بجنسي الغني والفقير أي بالأغنياء والفقراء وفي قراءة أبي فالله أولى بهم وهي
شاهدة على ذلك وقرأ عبد الله إن يكن غني أو فقير على كان التامة أن تعدلوا
يحتمل العدل والعدول كأنه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة أن تعدلوا بين الناس أو
إرادة أن تعدلوا عن الحق وإن تلووا أو تعرضوا وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق
أو حكومة العدل أو تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها وقرئ وإن تلوا أو تعرضوا
بمعنى وإن وليتم إقامة الشهادة أو أعرضتم عن إقامتها فإن الله كان بما تعملون خبيرا و

ويجازيكم عليه يا أيها الذين آمنوا خطاب للمسلمين ومعنى آمنوا اثبتوا على الإيمان وداوموا عليه
وازدادوه والكتاب الذي أنزل من قبل المراد به جنس ما أنزل على الأنبياء قبله من الكتب
والدليل عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه على إرادة الجنس وقرئ نزل وأنزل على البناء للفاعل
وقيل الخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروي أنه
لعبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن أخت عبد الله
بن سلام وسلمة ابن أخيه ويامين بن يامين أتوا رسول الله وقالوا يا رسول الله إنا نؤمن
بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام
بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل
فنزلت فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين كأنه قيل يا أيها الذين آمنوا نفاقا آمنوا
إخلاصا قال كيف قيل لأهل الكتاب والكتاب الذي أنزل من قبل وكانوا
مؤمنين بالتوراة والإنجيل قلت كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين
بكل ما أنزل من الكتب فأمروا أن يؤمنوا بالجنس كله ولأن إيمانهم ببعض الكتب
لا يصح إيمانا به لأن طريق الإيمان به هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون
بعض فلو كان إيمانهم بما آمنوا به لأجل المعجزة لآمنوا به كله فحين آمنوا ببعضه علم
أنهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن إيمانهم إيمانا وهذا الذي أراد عز وجل في قوله
ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك
هم الكافرون حقا قال لم قيل نزل على رسوله وأنزل من قبل قلت لأن القرآن
نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومعنى قوله ومن يكفر بالله
الآية ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل لأن الكفر ببعضه كفر بكله ألا ترى كيف قدم
الأمر بالإيمان به جميعا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا نفي للغفران والهداية
وهي اللطف على سبيل المبالغة التي تعطيها اللام والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو
الإيمان الخالص الثابت والمعنى أن الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر
والإصرار عليه يستبعد منهم أن يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف
من إيمان صحيح ثابت يرضاه الله لأن قلوب أولئك الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضربت
بالكفر ومرنت على الردة وكان الإيمان أهون شيء عندهم وأدونه حيث يبدو لهم فيه

كرة بعد أخرى وليس المعنى أنهم لو أخلصوا الإيمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم
لم تقبل منهم ولم يغفر لهم لأن ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه
استبعاد له واستغراب وأنه أمر لا يكاد يكون وهكذا الفاسق الذي يتوب ثم يرجع
ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب أنه يموت على شر حال وأسمج
صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالإنجيل وبعيسى ثم ازدادوا
كفرا بمحمد صلى الله عليه بشر المنافقين وضع بشر مكان أخبر تهكما بهم والذين
نصب على الذم أو رفع بمعنى أريد الذين أو هم الذين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم
ويقول بعضهم لبعض لا يتم أمر محمد فتولوا اليهود فإن العزة لله جميعا يريد لأوليائه
الذين كتب لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
أن إذا سمعتم هي أن المخففة من الثقيلة والمعنى أنه إذا سمعتم أي نزل عليكم
أن الشأن كذا والشأن ما أفادته الجملة بشرطها وجزائها وأن مع ما في حيزها
في موضع الرفع بنزل أو في موضع النصب بنزل فيمن قرأ به والمنزل عليهم
في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا
فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك أن المشركين كانوا يخوضون
في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزئون به فنهى المسلمون عن القعود معهم
ما داموا خائضين فيه وكان أحبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين
فنهوا أن يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون
الخائضين في القرآن من الأحبار هم المنافقون فقيل لهم إنكم إذا مثل الأحبار
في الكفر إن الله جامع المنافقين والكافرين يعني القاعدين والمقعود معهم
قال الضمير في قوله فلا تقعدوا معهم إلى من يرجع قلت إلى ما دل عليه
يكفر بها ويستهزأ بها كأنه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها المستهزئين بها
قال لم يكونون مثلهم بالمجالسة إليهم في وقت الخوض قلت لأنهم إذا
لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي بالكفر كافر قال فهلا كان المسلمون
بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين قلت لأنهم
كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الإنكار لرضاهم

الذين يتربصون إما بدل من الذين يتخذون وإما صفة للمنافقين أو نصب على الذم
منهم يتربصون بكم أي ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر أو إخفاق ألم نكن معكم مظاهرين
فأسهموا لنا في الغنيمة ألم نستحوذ عليكم ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم
ونمنعكم من المسلمين بأن ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم وتوانوا في
قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما أصبتم وقرئ ونمنعكم بالنصب
بإضمار أن قال الحطيئة ألم أك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والإخاء قال
لم سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما لشأن المسلمين
وتخسيسا لحظ الكافرين لأن ظفر المسلمين أمر عظيم تفتح له أبواب السماء حتى ينزل
على أوليائه وأما ظفر الكافرين فما هو إلا حظ دنيء ولمظة من الدنيا يصيبونها
يخادعون الله يفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطان الكفر وهو خادعهم
وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والأموال في الدنيا
وأعد لهم الدرك الأسفل من النار في الآخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة وإحلال
بأس ونقمة ورعب دائم والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته إذا غلبته وكنت أخدع
منه وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم
ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم كسالى قرئ بضم الكاف وفتحها
جمع كسلان كسكارى في سكران أي يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من
يفعل شيئا على كره لا عن طيبة نفس ورغبة يراءون الناس يقصدون بصلاتهم
الرياء والسمعة ولا يذكرون الله إلا قليلا ولا يصلون إلا قليلا لأنهم لا يصلون قط
غائبين عن عيون الناس إلا ما يجاهرون به وما يجاهرون به قليل أيضا لأنهم ما وجدوا
مندوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه أو ولا يذكرون الله بالتسبيح
والتهليل إلا ذكرا قليلا في الندرة وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالإسلام
لو صحبته الأيام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث
الدنيا يستغرق به أوقاته لا يفتر عنه ويجوز أن يراد بالقلة العدم قال
ما معنى المراآة وهي مفاعلة من الرؤية قلت فيها وجهان أحدهما أن
المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني أن يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل

فيقال راءى الناس حتى رآهم كقولك نعّمه وناعمه وفنّقه وفانقه وعيش مفانق ذكره
ابو زيد رأّت المرأة المرآة الرجل اذا امسكتها له ليرى وجهه ويدل عليه قراءة ابن ابي اسحق
يُرَؤّنهم بهمزة مشددة مثل يُرعّونهم اي يبصّرونهم اعمالهم ويراؤنهم كذلك مذبذبين
اما حال نحو قوله ولا يذكرون عن واو يراؤن اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين او منصوب
على الذم ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددين
بينهما متحيرين وحقيقة المذبذب الذي يُذبّ عن كلا الجانبين اي يُذاد ويدفع فلا يقرّ
في جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرجوان الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب
كأن المعنى كلما مال الى جانب ذُبّ عنه وقرأ ابن عباس مذبذِبين بكسر الذال الثانية يعني
يذبذبون قلوبهم او دينهم او رأيهم او بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل بمعنى
وفي مصحف عبد الله متذبذبين وعن ابي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة وكأن المعنى
اخذ بهم تارة في دبّة وتارة في دبّة فليسوا بماضين على دبّة واحدة والدبّة
الطريقة ومنها دبّة قريش وذلك اشارة الى الكفر والايمان لا الى هؤلاء لا منسوبين
الى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ولا منسوبين الى هؤلاء فيسمّوا مشركين لا تتخذوا الكافرين
اولياء لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء
سلطانا حجة بيّنة يعني ان موالاة الكافرين بيّنة على النفاق وعن صعصعة بن
صوحان انه قال لابن اخ له خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فان الفاجر يرضى
عنك بالخلق الحسن وانه يحق عليك ان تخالص المؤمن الدرك الاسفل الطبق الذي
في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق
بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم ادراك جهنم قوله لم كان المنافق
اشد عذابا من الكافر قلت لانه مثله في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام
واهله وخداعهم واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا
بالله ووثقوا به كما يثق المؤمن الخلص واخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعاتهم الا
وجهه فاولئك مع المؤمنين فهم اصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين وسوف
يؤتي الله المؤمنين اجرا عظيما فيشاركونهم فيه ويساهمونهم قوله فان قلت من المنافق
قلت سوى الشريعة من اظهر الايمان وابطن الكفر واما التسمية من ان يكتب ما

ما ينتسب به المنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنه قوله عليه السلام
ثلاث من كنّ فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدّث كذب واذا
وعد اخلف واذا ائتمن خان وقيل لحذيفة رضي الله عنه من المنافق فقال الذي يصف الاسلام
ولا يعمل به وقيل لابن عمر ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال
كنا نعدّه من النفاق وعن الحسن اتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه فاصبح قد عُمّم
وقلّد واعطى سيفا يعني الحجاج ما يفعل الله بعذابكم اتشفّى به من الغيظ ام يدرك به الثار
ام يستجلب به نفعا او يستدفع به ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي لا يجوز عليه
شيء من ذلك وانما هو امر اوجبته الحكمة ان يعاقب المسيء فان قمتم بشكر نعمته وآمنتم
فقد ابعدتم عن انفسكم استحقاق العذاب وكان الله شاكرا عليما مثيبا موفيا اجوركم عليما بحق شكركم
وايمانكم قوله فان قلت لم قدّم الشكر على الايمان قلت لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة
العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به
ثم شكر شكرا مفصّلا فكان الشكر متقدّما على الايمان وكانه اصل التكليف ومداره الا من ظلم
الا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره
بما فيه من السوء وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل ضاف
رجل قوما فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء
للفاعل للانقطاع اي ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز ان يكون من ظلم مرفوعا
كأنه قيل لا يحب الجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد الا عمرو بمعنى ما جاءني الا عمرو
ومنه لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله ثم حثّ على العفو وان لا يجهر احد لاحد
بسوء وان كان على وجه الانتصار بعدما اطلق الجهر به وجعله محبوبا حثّا على الاحب والافضل
عنده والادخل في الكرم والتخشع والعبودية وذكر ابداء الخير واخفاءه تشبيبا للعفو ثم عطفه
عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وان له مكانا في باب الخير وسيطا والدليل على ان العفو
هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يعفو عن الجانين
مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله
او آمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله ورسله جميعا لما ذكرنا من العلة
ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا ان يتخذوا دينا وسطا بين الايمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلاتك

ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا اي طريقا وسطا في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد
اخطأوا فانه لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك اولئك هم الكافرون حقا اي هم الكاملون
في الكفر وحقّا تاكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا اي حقّ ذلك حقا وهو كونهم كاملين
في الكفر او هو صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه قوله فان قلت
كيف جاز دخول بين على احد وهو يقتضي شيئين فصاعدا قلت ان احدا عام في الواحد
المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رأيت احدا فتقصد العموم الا تراك تقول الا بني فلان
والا بنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم او بين جماعة ومنه قوله تعالى لستن كاحد
من النساء سوف نؤتيهم اجورهم معناه ان ايتاءها كائن لا محالة وان تأخر فالغرض به
توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متأخرا روي ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء
وغيرهما قالوا لرسول الله عليه السلام ان كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما
اتى به موسى فنزلت وقيل كتابا الى فلان وكتابا الى فلان بانك رسول الله وقيل كتابا نعاينه
حين ينزل وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لاعطاهم
وفيما آتاهم كفاية فقد سألوا موسى جواب شرط مقدر معناه ان استكبرت ما سألوه منك فقد
سألوا موسى اكبر من ذلك وانما اسند السؤال اليهم وانما وجد من آبائهم في ايام موسى
وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في
التعنت جهرة عيانا بمعنى ارناه نره جهرة بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا امرا
جائزا لما سموا ظالمين ولما اخذتهم الصاعقة كما سأل ابرهيم صلى الله عليه ان يريه احياء
الموتى فلم يسمّه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة ورميا بالصواعق وآتينا موسى
سلطانا مبينا تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم حتى تاب
عليهم فاطاعوه واحتبوا بافنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيا لك من سلطان مبين
بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه وقلنا لهم والطور مظلّ عليهم ادخلوا الباب
سجّدا ولا تعدوا في السبت وقد اخذ منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا واطعنا
ومعاهدتهم على ان يتموا عليه ثم نقضوه بعد وقرئ لا تعدّوا ولا تعتدوا بادغام التاء في
الدال فبما نقضهم فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد قوله فان قلت بم تعلقت الباء وما معنى
التوكيد قلت اما ان يتعلق بمحذوف كأنه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا

واما ان يتعلق بقوله حرمنا عليهم على ان قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم
ميثاقهم واما التوكيد فمعناه تحقيق ان العقاب او تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد
وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء وغير ذلك قوله فان قلت هلا زعمت ان المحذوف الذي
تعلقت به الباء ما دلّ عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله
على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم قلت لم يصح هذا التقدير لان قوله بل طبع الله
عليها بكفرهم ردّ وانكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك انهم ارادوا بقولهم
قلوبنا غلف ان الله خلق قلوبنا غلفا اي في اكنة لا يتوصل اليها شيء من الذكر والموعظة
كما حكى الله عن المشركين وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وكمذهب المجبرة اخوانهم فالله
فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الالطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا ان
تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله قوله فان قلت علام عطف قوله وبكفرهم قلت
الوجه ان يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله
وقولهم قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم قوله فان قلت
ما معنى المجيء بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الاضراب
او على ما بعده وهو قوله وكفرهم بآيات الله وقوله بكفرهم قلت قد تكرر منهم الكفر لانهم
كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليه فعطف بعض كفرهم على بعض او عطف
مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر
بآيات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم
بقتل عيسى عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا البهتان
العظيم هو التزنية قوله فان قلت كانوا كافرين بعيسى عليه السلام اعداء له عامدين لقتله
يسمونه الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا انا قتلنا المسيح عيسى بن
مريم رسول الله قلت قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون ويجوز ان يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا
لعيسى عليه السلام عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما ارادوا بمثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز
العليم الذي جعل لكم الارض مهدا روي ان رهطا من اليهود سبّوه وسبّوا امه فدعا
عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبّني وسبّ والدتي فمسخ الله

من بيتهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره
من صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام
رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى فلما ارادوا قتله
قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى والقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون
انه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم انه اله لا يصح قتله وقال بعضهم انه قد قتل وصلب وقال بعضهم
ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى وقال بعضهم رفع الى السماء
وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا فان قلت شبه مسند الى ماذا
ان جعلته مسندا الى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه وان اسندته الى المقتول فالمقتول
لم يجر له ذكر قلت هو مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كانه قيل ولكن
وقع لهم التشبيه ويجوز ان يسند الى ضمير المقتول لان قوله انا قتلنا يدل عليه كانه قيل
ولكن شبه لهم من قتلوه الا اتباع الظن استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس
العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن فان قلت قد وصفوا بالشك والشك ان لا يترجح احد
الجانبين ثم وصفوا بالظن والظن ان يترجح احدهما فكيف يكونون شاكين ظانين
قلت اريد انهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك
وما قتلوه يقينا وما قتلوه قتلا يقينا او ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم انا قتلنا
المسيح او يجعل يقينا تاكيدا لقوله وما قتلوه كقولك وما قتلوه حقا اي حق انتفاء قتله
حقا وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم
لانهم اذا نفي عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق ثم قيل وما علموه علم يقين واحاطة
لم يكن الا تهكما بهم ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره
وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم وان منكم
الا واردها والمعنى وما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبانه
عبد الله ورسوله يعني اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع
وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج اية ما قراتها الا تخالج في نفسي
شيء منها يعني هذه الاية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب
عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة

دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك موسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي
وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله
حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي
ابن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها قال
الكلبي فقلت له ما اردت الى ان تقول حدثني محمد بن علي ابن الحنفية قال اردت ان اغيظه
يعني بزيادة اسم علي لانه مشهور بابن الحنفية وعن ابن عباس انه فسره كذلك فقال له
عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال وان خر
من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به
ويدل عليه قراءة ابي الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وان منهم احد الا سيؤمنون
به قبل موتهم لان احدا يصلح للجمع فان قلت ما فائدة الاخبار بايمانهم بعيسى قبل موتهم قلت
فائدته الوعيد وليكون علمهم بانهم لا بد لهم من الايمان به عن قريب عند المعاينة وان ذلك
لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معاجلة الايمان به في اوان الانتفاع به وليكون الزاما
للحجة لهم وكذلك قوله ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى
النصارى بانهم دعوه ابن الله وقيل الضميران لعيسى بمعنى وان منهم احد الا ليؤمنن بعيسى
قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء
في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة
الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل
والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض
اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز ان يراد انه لا يبقى
احد من جميع اهل الكتاب الا ليؤمنن به على ان الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان
ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به يرجع
الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه فبظلم من الذين هادوا فباي ظلم منهم والمعنى
ما حرمنا عليهم الطيبات الا بظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر
العظيمة والطيبات التي حرمت عليهم ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي
ظفر وحرمت عليهم الالبان وكلما اذنبوا ذنبا صغيرا او كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات

من المطاعم وغيرها وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا بالباطل بالرشوة
التي كانوا ياخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب لكن الراسخون يريد من آمن منهم كعبد الله
بن سلام واضرابه والراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون والمؤمنون يعني
المؤمنين منهم او المؤمنين من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتداء ويؤمنون
خبره والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلوة وهو باب واسع قد كسره سيبويه على امثلة
وشواهد ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر
في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي
عليه ان السابقين الاولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كانوا ابعد همة
في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها
من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على بما انزل اليك اي يؤمنون بالكتاب
وبالمقيمين الصلوة وهم الانبياء وفي مصحف عبد الله والمقيمون بالواو وهي قراءة مالك بن
دينار والجحدري وعيسى الثقفي انا اوحينا اليك جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول
الله ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شانه في الوحي اليه كشان سائر الانبياء
الذين سلفوا وقرئ زبورا بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب ورسلا نصب بمضمر في معنى اوحينا
اليك وهو ارسلنا ونبانا وما اشبه ذلك او بما فسره قصصناهم وفي قراءة ابي ورسل
قد قصصناهم عليك من قبل ورسل وعن ابراهيم ويحيى بن وثاب انهما قرا وكلم الله
بالنصب ومن بدع التفاسير انه من الكلم وان معناه وجرح الله موسى باظفار المحن
ومخالب الفتن رسلا مبشرين ومنذرين الاوجه ان ينتصب على المدح ويجوز انتصابه
على التكرير فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون
بما نصبه الله من الادلة التي النظر فيها موصل الى المعرفة والرسل في انفسهم لم يتوصلوا
الى المعرفة الا بالنظر في تلك الادلة ولا عرف انهم رسل الله الا بالنظر فيها قلت
الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء اهل العدل والتوحيد
مع تبليغ ما حملوه من تفصيل امور الدين وبيان احوال التكليف وتعليم الشرائع فكان
ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا
من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له قراءة السلمي لكن الله يشهد بالتشديد

فان قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو في قوله لكن الله يشهد قلت
لما سال اهل الكتاب انزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك
قال لكن الله يشهد بمعنى انهم لا يشهدون لكن الله يشهد وقيل لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما
نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات
كما تثبت الدعاوى بالبينات وشهادة الملائكة شهادتهم بانه حق وصدق فان قلت
بم يجابون لو قالوا بم يعلم ان الملائكة يشهدون بذلك قلت يجابون بانه يعلم بشهادة
الله لانه لما علم باظهار المعجزات انه شاهد بصحته علم ان الملائكة يشهدون بصحة ما شهد
بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته فان قلت ما معنى قوله انزله بعلمه وما موقعه
من الجملة التي قبله قلت معناه انزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو
تاليفه على نظم واسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة
لانه بيان للشهادة وان شهادته بصحته انه انزله بالنظم المعجز الفائت للقدر وقيل انزله
وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين
برصد من الملائكة والملائكة يشهدون بذلك كما قال في آخر سورة الجن الا ترى الى قوله واحاط
بما لديهم والاحاطة بمعنى العلم وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجزة
هو الشهادة حقا قل اي شيء اكبر شهادة قل الله كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر والمعاصي
او كان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين اصحاب كبائر لانه لا فرق بين الفريقين في
انه لا يغفر لهما الا بالتوبة ولا ليهديهم طريقا لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل الى
جهنم او لا يهديهم يوم القيامة الا طريقها يسيرا اي لا صارف له عنه فآمنوا خيرا لكم وكذلك
انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث
علم انه يحملهم على امر فقال خيرا لكم اي اقصدوا او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من
الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد لا تغلوا في دينكم غلت اليهود في حط المسيح
عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشدة وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث
جعلته الها ولا تقولوا على الله الا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد وقرا جعفر بن
محمد انما المسيح بوزن السكيت وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وامره
لا غير من غير واسطة اب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه لذلك لانه ذو روح وجد

من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الأب الحي وانما اخترع اختراعا من عند الله
وقدرته خالصة ومعنى القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها ثلاثة خبر مبتدأ محذوف
فان صحت الحكاية عنهم انهم يقولون هو جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الأب واقنوم الابن واقنوم
روح القدس وانهم يريدون باقنوم الأب الذات وباقنوم الابن العلم وباقنوم روح القدس الحيوة
فتقديره الله ثلاثة والا فتقديره الآلهة ثلاثة والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بان الله
والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وان المسيح ولد الله من مريم الا ترى الى قوله أأنت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم
انهم يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الأب والأم ويدل عليه قوله انما المسيح عيسى
ابن مريم فاثبت انه ولد لمريم اتصل بها اتصال الأولاد بامهاتها وان اتصاله بالله عز وعلا من حيث
انه رسوله وانه موجود بامره وابتداعه جسدا حيا من غير اب فنفى ان يتصل به اتصال الابناء
بالآباء وقوله سبحانه ان يكون له ولد وحكاية لله او ثق من حكاية غيره ومعنى سبحانه ان يكون له
ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد وقرأ الحسن ان يكون بكسر الهمزة ورفع النون اي
سبحانه ما يكون له ولد على ان الكلام جملتان له ما في السموات وما في الأرض بيان لتنزهه
عما نسب اليه يعني ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزأ منه على ان الجزء
انما يصح في الأجسام وهو متعال عن صفات الأجسام والأعراض وكفى بالله وكيلا تكل
اليه الخلق كلهم امورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء اليه لن يستنكف لن يأنف ولن يذهب
بنفسه عزة من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك ولا الملائكة المقربون وهم
الكل منه قدرا واعظم منه خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبرئيل وميكائيل
واسرافيل ومن في طبقتهم قال البيضاوي من ابن حل قوله ولا الملائكة المقربين
على ان الملك افضل من البشر قلت من حيث ان علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك ان الكلام
انما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة العبودية فوجب ان يقال
لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو ارفع درجة منه كانه قيل لن يستنكف الملائكة
المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم
ارفع الملائكة درجة واعلاهم منزلة ومثاله قول القائل وما مثله ممن يجاود حاتم ولا
البحر ذو الأمواج يلتج زاخره لا شبهة في انه قصد بالبحر ذي الأمواج ما هو فوق حاتم في الجود

ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الآية قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعرف
بالفرق البين وقرأ علي رضي الله عنه عبيد الله على التصغير وروي ان وفد نجران قالوا
لرسول الله لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه
عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت اي لا يستنكف عيسى
ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو اولى بان يستنكف لان العار الحق
به قال البيضاوي عطف على المسيح قلت لا يخلو اما ان يعطف على المسيح
او على اسم يكون او على المستتر في عبدا من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة وقولك
مررت برجل عبد ابوه والعطف على المسيح هو الظاهر لاداء غيره الى ما فيه بعض انحراف عن
الغرض وهو ان المسيح لا يأنف ان يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية او ان يعبد
الله هو ومن فوقه قال البيضاوي فان قلت الملائكة هم جماعة عبد الله في هذا العطف فما
وجهه قلت فيه وجهان احدهما ان يراد ولا كل واحد من الملائكة او ولا الملائكة المقربون
ان يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله ايجازا واما اذا عطفتهم على الضمير في عبدا
فقد طاح هذا السؤال قرئ فسيحشرهم بضم الشين وكسرها والنون قال البيضاوي
قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد
هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل بهو وصحة
ذلك لوجهين احدهما ان يحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما
يدل على ذكر الثاني كما حذف احدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا فاما الذين آمنوا
بالله واعتصموا به والثاني وهو ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة
التنكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا
رأى اجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله البرهان والنور المبين القرآن او اراد
بالبرهان دين الحق او رسول الله وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز
في رحمة منه وفضل في ثواب مستحق وتفضل ويهديهم اليه الى عبادته صراطا مستقيما وهو
طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم روي انه آخر ما نزل من الأحكام كان رسول الله صلى
الله عليه في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله فقال ان لي اختا فكم آخذ
من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه فقال اني كلالة فكيف

الكشاف في معاني قوله ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة
لا النصب على الحال اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز ايقاعه
على الذكر وعلى الانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت الا في مذهب ابن عباس
وبالاخت التي هي لاب وام او لاب دون الأم لان الله فرض لها النصف وجعل اخاها عصبة
وقال للذكر مثل حظ الانثيين واما الاخت للأم فلها السدس في آية المواريث مسوى بينها وبين
اخيها وهو يرثها واخوها يرثها ان قدر الأمر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن
لها ولد اي ابن لان الابن يسقط الأخ دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الأخ
وحده فان الأب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد قلت بين حكم انتفاء
الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله عليه السلام الحقوا الفرائض باهلها
فما بقي فلاولى رجل ذكر والأب اولى من الأخ وليسا باول حكمين بين احدهما بالكتاب والآخر
بالسنة ويجوز ان يدل حكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لان الولد اقرب الى الميت من
الوالد فاذا ورث الأخ عند انتفاء الأقرب فاولى ان يرث عند انتفاء الأبعد ولان الكلالة
تتناول انتفاء الوالد والولد جميعا فكان ذكر انتفاء احدهما دالا على انتفاء الآخر قال البيضاوي
الى من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله فان كانتا اثنتين وان كانوا اخوة قلت اصله فان كان
من يرث بالاخوة ذكورا واناثا وانما قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت امك فكما
ضمير من لمكان تأنيث الخبر كذلك ثني وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية
الخبر وجمعه والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكورة ان تضلوا مفعول له ومعناه
كراهة ان تضلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكانما تصدق
على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الأجر كمن اشترى محررا وبرئ
من الشرك وكان في مشية الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم
يقال وفى بالعهد واوفى به ومنه والموفون بعهدهم والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل
ونحوه قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكرب وهي

وهي عقود الله التي عقدها على عباده والزمها اياهم من مواجب التكليف وقيل هي ما
يتعاقدون بينهم من عقود الأمانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر
انها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب
بالتفصيل وهو قوله احلت لكم وما بعده البهيمة كل ذات اربع في البر والبحر واضافتها
الى الانعام للبيان وهي الاضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الانعام
ما يتلى عليكم الا ما محرم ما يتلى عليكم من القرآن من نحو قوله حرمت عليكم الميتة او الا ما
يتلى عليكم آية تحريمه والانعام الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش
ونحوها كانهم ارادوا ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الانياب
فاضيفت الى الانعام لملابسة الشبه غير محلي الصيد نصب على الحال من الضمير في
لكم اي احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد وعن الاخفش ان انتصابه عن قوله اوفوا بالعقود
وقوله وانتم حرم حال عن محلي الصيد كانه قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم
من الصيد وانتم محرمون لئلا نحرج عليكم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام ويعلم انه حكمة
ومصلحة والحرم جمع حرام وهو المحرم الشعائر جمع شعيرة وهو اسم ما اشعر اي جعل شعارا
وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي
علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر والشهر الحرام شهر
الحج والهدي ما اهدي الى البيت وتقرب به الى الله من النسائك وهو جمع هدية كما يقال
جدي في جمع جدية السرج والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او عروة مزادة
او لحاء شجر او غيره وآمين المسجد الحرام قاصديه وهم الحجاج والعمار واحلال هذه
الاشياء ان يتهاون بحرمة الشعائر وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا
في شهر الحرام ما يصدون به الناس عن الحج وان يتعرض للهدي بالغصب او بالمنع
بلوغ محله واما القلائد ففيها وجهان احدهما ان يراد بها ذوات القلائد من الهدي
وهي البدن ويعطف على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية بها لانها اشرف
الهدي كقوله وجبرئيل وميكائيل كانه قال والقلائد منها خصوصا والثاني ان ينهى
عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي على معنى ولا
تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة

مبالغة في النهي عن ابراز مواقعها ولا آمين ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام يبتغون
فضلا من ربهم ورضوانا ان يثيبهم ويرضى عنهم اي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم
تعظيما لهم واستنكارا ان يتعرض لمثلهم قيل هي محكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم المائدة من
آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة
فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هي منسوخة وعن ابن عباس رضي الله عنه
كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت
بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال
مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم وفسر ابتغاء الفضل
بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يظنون في انفسهم انهم على سداد
من دينهم وان الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم وقرأ عبد الله ولا آمي البيت الحرام
على الاضافة وقرأ حميد بن قيس والاعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين
فاصطادوا اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كانه قيل فاذا حللتم فلا جناح عليكم ان
تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء وقرئ واذا احللتم
يقال حل المحرم واحل جرم يجري مجرى كسب في تعديه الى مفعول واحد والى اثنين يقال
جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه ويقال اجرمته ذنبا على نقل المتعدي
الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبته ذنبا وعليه قراءة عبد الله ولا يجرمنكم
بضم الياء واول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا واول
صدوكم بفتح الهمزة متعلق بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض وقرئ بسكون
النون وهو ايضا مصدر ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه وقرئ ان صدوكم
على انه شرطية وفي قراءة عبد الله ان يصدوكم ومعنى صدهم اياكم عن المسجد الحرام
منع اهل مكة رسول الله والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام
منهم بالحاق مكروه بهم وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ولا تعاونوا
على الاثم والعدوان على الانتقام والتشفي ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى
وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار كان اهل الجاهلية يأكلون هذه
المحرمات البهيمة التي تموت حتف انفها والفصيد وهو الدم في المباعر يشوونها

ويقولون لم يحرم من فزد له وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به وهو قولهم باسم
اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت بسبب والموقوذة
التي اثخنوها ضربا بعصا او حجر حتى ماتت والمتردية التي تردت من جبل او في بئر فماتت
والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح وما اكل السبع بعضه الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته
وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب اوداجه وقرأ عبد الله والمنطوحة وروي
عن ابي عمرو السبع بسكون الباء وقرأ ابن عباس واكيل السبع وما ذبح على النصب
كان لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك
ويتقربون به اليها تسمى الانصاب والنصب واحد قال الاعشى وذا النصب المنصوب
لا تعبدنه وقيل هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد وان تستقسموا
بالازلام وحرم عليكم الاستقسام بالقداح كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة
او نكاحا او امرا من معاظم الامور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها نهاني ربي
وعلى بعضها امرني ربي وبعضها غفل فان خرج الآمر مضى لطيته وان خرج الناهي امسك
وان خرج الغفل اجالها عودا فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم له مما
لم يقسم له بالازلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة ذلكم
فسق اشارة الى الاستقسام او الى تناول ما حرم عليهم لان المعنى حرم عليكم تناول الميتة
وكذا وكذا فان قلت لم كان استقسام المسافر وغيره بالازلام لتعرف الحال
فسقا قلت لانه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوب وقال
لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله واعتقاد ان اليه طريقا والى استنباطه
وقوله امرني ربي ونهاني ربي افتراء على الله وما يدريه انه امره ونهاه والكهنة والمنجمون
بهذه المثابة وان كان اراد بالرب الصنم فقد روي انهم كانوا يجيلونها عند اصنامهم
فامره ظاهر اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه
من الازمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالامس شابا وانت اليوم اشيب فلا تريد
بالامس اليوم الذي قبل يومك ونحوه الآن في قوله الآن لما ابيض مسربتي وعضضت
من نابي على جذم وقيل اريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر
في حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم يئسوا منه ان يبطلوه وان يرجعوا محللين

لهذه الخبائث بعدما حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم ان يغلبوه لان الله عز وجل وفى
بوعده من اظهاره على الدين كله فلا تخشوهم بعد اظهار الدين وزوال الخوف من
الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعدما كانوا غالبين واخشون واخلصوا الخشية
اليوم اكملت لكم دينكم كفيتكم امر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما تقول الملوك اليوم كمل
لنا الملك وكمل لنا ما نريد اذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا الى اغراضهم ومباغيهم او
اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع
وقوانين القياس واصول الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين
وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وان لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان او اتممت
عليكم نعمتي باكمال امر الدين والشرائع كانه قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي
بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام ورضيت لكم الاسلام دينا يعني اخترته لكم من
بين الاديان وآذنتكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا ان هذه
امتكم امة واحدة فان قلت بم اتصل قوله فمن اضطر قلت بذكر
المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض اكد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لان تحريم
هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضا دون
غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها في مخمصة في مجاعة
غير متجانف لاثم غير منحرف اليه كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور لا يؤاخذه بذلك
في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده ماذا احل لهم كانه قيل يقولون لك ماذا احل لهم
وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية لما قالوه لان يسألونك بلفظ الغيبة كما تقول اقسم زيد
ليفعلن ولو قيل لافعلن واحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ واحل لهم خبره كقولك
اي شيء احل لهم ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم
من خبائث المآكل سألوا عما احل لهم منها فقيل احل لكم الطيبات ما ليس بخبيث منها
وهو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب او سنة او قياس مجتهد وما علمتم من الجوارح عطف
على الطيبات اي احل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف او تجعل ما
شرطية وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد
والنمر والعقاب والصقر والبازي والشاهين والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد

لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف واشتقاقه من
الكلب لان التأديب اكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه او لان
السبع يسمى كلبا ومنه قوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد او
من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا به وانتصاب مكلبين
على الحال من علمتم فان قلت ما فائدة هذه الحال وقد استغنى عنها بعلمتم قلت
فائدتها ان يكون من يعلم الجوارح نحريرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب تعلمونهن
حال ثانية او استئناف وفيه فائدة جليلة وهي ان كل آخذ علما ان لا يأخذه الا من اقتل
اهله علما وانحرهم دراية واغوصهم على لطائفه وحقائقه وان احتاج الى ان يضرب اليه
اكباد الابل فكم من آخذ من غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله مما
علمكم الله من علم التكليب لانه الهام من الله ومكتسب بالعقل او مما عرفكم ان تعلموه من
اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه
وان لا يأكل منه وقرئ مكلبين بالتخفيف وافعل وفعل يشتركان كثيرا والامساك على
صاحبه ان لا يأكل منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما امسك على
نفسه وعن علي رضي الله عنه اذا اكل البازي فلا تأكل وفرق العلماء فاشترطوا في
سباع البهائم ترك الاكل لانها تؤدب بالضرب ولم يشترطوا في سباع الطير ومنهم من
لم يعتبر ترك الاكل اصلا ولم يفرق بين امساك الكل والبعض وعن سلمان وسعد بن
ابي وقاص وابي هريرة رضي الله عنهم واذا اكل الكلب ثلثه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه
فكل فان قلت الام رجع الضمير في قوله واذكروا اسم الله عليه قلت
اما ان يرجع الى ما امسكن على معنى وسموا عليه اذا ادركتم ذكاته او الى ما علمتم من الجوارح
اي سموا عليه عند ارساله طعام الذين اوتوا الكتاب قيل هو ذبائحهم وقيل جميع مطاعمهم
ويستوي في ذلك جميع النصارى وعن علي رضي الله عنه انه استثنى نصارى بني تغلب وقال
ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين
وبه اخذ ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عند ابي حنيفة رحمه الله
وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤون كتابا

ويعبدون النجوم فهو كما لو ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة
اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وقد روي عن ابن المسيب
انه قال اذا كان المسلم مريضا فامر المجوسي ان يذكر اسم الله ويذبح فلا باس وقال ابو ثور
وان امره بذلك في الصحة فلا باس وقد اساء وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم
لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم والمحصنات الحرائر
او العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والاماء من المسلمات
يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف منهن واما الاماء الكتابيات
فعند ابي حنيفة رحمه الله هن كالمسلمات وخالفه الشافعي وكان ابن عمر لا يرى نكاح
الكتابيات ويحتج بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول لا اعلم شركا
اعظم من قولها ان ربها عيسى وعن عطاء قد اكثر الله المسلمات وانما
رخص لهم يومئذ محصنين اعفاء ولا متخذي اخدان صدائق والخدن يقع على
الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان بشرائع الاسلام وما احل الله وحرم اذا قمتم الى
الصلوة كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وكقولك اذا ضربت غلامك
فهون عليه في ان المراد اذا اردتم الفعل لم جاز ان يعبر عن ارادة
الفعل بالفعل لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وارادته له وهي
قصده اليه وميله وخلوص داعيه فكما عبر عن القدرة على الفعل بالفعل في
قولهم الانسان لا يطير والاعمى لا يبصر اي لا يقدران على الطيران والابصار ومنه قوله
تعالى نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين يعني انا كنا قادرين على الاعادة كذلك
عبر عن ارادة الفعل بالفعل وذلك لان الفعل مسبب عن القدرة والارادة فاقيم
المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ولايجاز الكلام ونحوه من اقامة المسبب مقام
السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتدأ الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء
الذي هو مسبب عنه وقيل معناه اذا قصدتم الصلوة لان من توجه الى الشيء وقام
اليه كان قاصدا له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام اليه فاغسلوا ظاهر الآية
يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة محدث وغير محدث فما وجهه
قلت يحتمل ان يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وان يكون للندب عن

وعن رسول الله صلى الله عليه والخلفاء بعده انهم كانوا يتوضؤون لكل صلوة وعن النبي عليه السلام
من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وعنه عليه السلام انه كان يتوضأ لكل صلوة فلما
كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر صنعت شيئا
لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز فان قلت هل يجوز ان يكون الامر
شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على وجه الايجاب ولهؤلاء على وجه الندب
قلت لا لان تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الالغاز والتعمية وقيل كان الوضوء
لكل صلوة واجبا اول ما فرض ثم نسخ الى تفيد معنى الغاية مطلقا فاما دخولها في
الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج قوله فنظرة الى ميسرة
لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان
منظرا في كلتا الحالتين معسرا وموسرا وكذلك ثم اتموا الصيام الى الليل لو دخل الليل
لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من اوله الى آخره لان الكلام
مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع
العلم بانه لا يسرى به الى بيت المقدس من غير ان يدخله وقوله الى المرافق والى الكعبين
لا دليل فيه على احد الامرين فاخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل
واخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي صلى الله عليه انه كان يدير الماء
على مرفقيه وامسحوا برؤوسكم المراد الصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه
كلاهما ملصق للمسح برأسه وقد اخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب او اكثره على
اختلاف الرواية واخذ الشافعي باليقين فاوجب اقل ما يقع عليه اسم المسح واخذ ابو حنيفة
رحمه الله ببيان رسول الله عليه السلام وهو ما روي انه مسح على ناصيته وقدر الناصية
بربع الرأس قرأ جماعة وارجلكم بالنصب فدل على ان الارجل مغسولة فان قلت
فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح قلت الارجل من بين الاعضاء الثلاثة
المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على
الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها
وقيل الى الكعبين فجيء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم
تضرب له غاية في الشريعة وعن علي رضي الله عنه انه اشرف على فتية من قريش

فرأى في وضوئهم تجوزا فقال ويل للاعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا و
يدلكونها دلكا وعن ابن عمر رضي الله عنه كنا مع رسول الله صلى الله عليه فتوضأ قوم واعقابهم
بيض تلوح فقال ويل للاعقاب من النار وفي رواية جابر ويل للعراقيب وعن عمر انه رأى رجلا
يتوضأ فترك باطن قدميه فامره ان يعيد الوضوء وذلك للتغليظ عليه وعن عائشة رضي الله عنها
لأن تقطعا احب الي من ان امسح على القدمين بغير خفين وعن عطاء والله ما علمت ان احدا
من اصحاب رسول الله مسح على القدمين وقد ذهب بعض الناس الى ظاهر العطف فاوجب
المسح وعن الحسن انه جمع بين الامرين وعن الشعبي نزل القرآن بالمسح والغسل سنة وقرأ
الحسن وارجلكم بالرفع بمعنى وارجلكم مغسولة او ممسوحة الى الكعبين وقرئ فاطهروا اي فطهروا
ابدانكم وكذلك ليطهركم وفي قراءة عبد الله فأموا صعيدا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج في باب
الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء
وليتم نعمته عليكم وليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته عليكم فيثيبكم واذكروا
نعمة الله عليكم وهي نعمة الاسلام وميثاقه الذي واثقكم به اي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق
الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله عليه السلام على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر
والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا واطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان
ولا يجرمنكم عدي بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كانه قيل ولا يحملنكم ويجوز ان يكون
قوله ان تعتدوا بمعنى على ان تعتدوا فحذف مع ان ونحوه قوله صلى الله عليه من اتبع على
ملي فليتبع لانه بمعنى احيل وقرئ شنان بالسكون ونظيره في المصادر ليان والمعنى لا يحملنكم
بغضكم للمشركين على ان تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بان تنتصروا منهم وتتشفوا بما في قلوبكم
من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة او قذف او قتل اولاد ونساء او نقض عهد او
ما اشبه ذلك اعدلوا هو اقرب للتقوى نهاهم اولا ان تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف
فصرح لهم بالامر بالعدل تأكيدا وتشديدا ثم استأنف فذكر لهم وجه الامر بالعدل وهو قوله هو
اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى وادخل في مناسبتها او اقرب الى التقوى لكونه لطفا فيها
وفيه تنبيه عظيم على ان وجوب العدل مع الكفار الذين هم اعداء الله اذا كان بهذه الصفة
من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم اولياؤه واحباؤه لهم مغفرة واجر عظيم
بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كانه قال قدم لهم وعدا فقيل اي شيء وعده لهم فقيل لهم

مغفرة واجر عظيم او يكون على ارادة القول يعني وعدهم وقال لهم مغفرة او على اجراء وعد مجرى
قال لانه ضرب من القول ويجعل وعد واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على
قوله سلام على نوح كانه قيل وعدهم هذا القول واذا وعدهم من لا يخلف الميعاد
هذا القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والاجر العظيم وهذا القول يتلقون به عند الموت
ويوم القيامة فيسرون به ويستريحون اليه ويهون عليهم السكرات والاهوال قبل الوصول
الى الثواب روي ان المشركين رأوا رسول الله واصحابه قاموا الى صلوة الظهر يصلون معا
وذلك بعسفان في غزوة ذي انمار فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم فقالوا ان لهم
بعدها صلوة هي احب اليهم من آبائهم وابنائهم يعنون صلوة العصر وهموا بان يوقعوا بهم
اذا قاموا لها فنزل جبرئيل عليه السلام بصلوة الخوف وروي ان رسول الله صلى الله عليه
اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن
امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك
فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك
الله يده فنزل جبرئيل فاخبره فخرج وقيل نزل منزلا وتفرق الناس في العضاه يستظلون بها
فعلق رسول الله صلى الله عليه سلاحه بشجرة فجاء اعرابي فسل سيف رسول الله عليه السلام
ثم اقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله قالها ثلاثا فشام الاعرابي السيف فصاح رسول
الله باصحابه فاخبرهم وابى ان يعاقبه يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا
بطش به ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش به
الا ترى الى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى فكف ايديهم عنكم فمنعها ان تمد اليكم
لما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان
يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها
واني ناصركم وامر موسى بان ياخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به
توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار
بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة
فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا
كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وكانا من النقباء

والنقيب الذي ينقب عن احوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لانه يتعرفها اني
معكم اني ناصركم ومعينكم عزرتموهم ونصرتموهم ومنعتموهم من ايدي العدو ومنه التعزير وهو
التنكيل والمنع عن معاودة الفساد وقرئ بالتخفيف يقال عزرت الرجل اذا حطته وكنفته
والتعزير والتأزير من واد واحد ومنه لانصرنك نصرا مؤزرا اي قويا وقيل معناه لئن
اخذنا ميثاقهم بالايمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر ملكا يقيمون فيهم العدل ويامرونهم
بالمعروف وينهونهم عن المنكر واللام في لئن اقمتم موطئة للقسم وفي لاكفرن جواب له وهذا
الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا فمن كفر بعد ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد
العظيم فان قلت من كفر قبل ذلك ايضا فقد ضل سواء السبيل قلت اجل ولكن الضلال
بعده اظهر واعظم لان الكفر انما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فاذا زادت النعمة زاد قبح
الكفر وتمادى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم اخرجناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم وقيل ضربنا عليهم الجزية
وجعلنا قلوبهم قاسية خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى قست قلوبهم او امليناهم
ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست وقرأ عبد الله قسية اي ردية مغشوشة من قولهم
درهم قسي وهو من القسوة لان الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه يبس
وصلابة والقسي والقاسح بالحاء اخوان في الدلالة على اليبس والصلابة وقرئ قسية
بكسر القاف للاتباع يحرفون الكلم بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة اشد من الافتراء على
الله تعالى وتغيير وحيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا مما ذكروا به من
التورية يعني ان تركهم واعراضهم عن التورية اغفال حظ عظيم او قست قلوبهم وفسدت
فحرفوا التورية وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى
بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد
صلى الله عليه وبيان نعته ولا تزال تطلع اي هذه عادتهم وهجيراهم وكان عليها اسلافهم
كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون
بالفتك بك وان يسموك على خائنة على خيانة او فعلة ذات خيانة او على نفس او فرقة
خائنة ويقال رجل خائنة كقولك رجل راوية للشعر للمبالغة قال حدثت نفسك بالوفاء ولم
تكن للغدر خائنة مغل الاصبع وقرئ على خيانة منهم الا قليلا منهم وهم الذين آمنوا منهم
فاعف عنهم بعث على محالفتهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وقيل فاعف عن مؤمنيهم

ولا تواخذهم بما سلف منهم اخذنا ميثاقهم اخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم
موسى اي مثل ميثاقهم بالايمان بالله والرسل وبافعال الخير او اخذنا من النصارى ميثاق انفسهم
بذلك فان قلت فهلا قيل من النصارى قلت لانهم انما سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم
الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله ثم صاروا نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان
فاغرينا فالصقنا والزمنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء
الذي يلصق به بينهم بين فرق النصارى المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود ونحوه وكذلك
نولي بعض الظالمين بعضا او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض يا اهل الكتاب
خطاب لليهود والنصارى مما كنتم تخفون من نحو صفة رسول الله عليه السلم ومن نحو الرجم
ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يبينه اذا لم تضطر اليه مصلحة دينية ولم تكن فيه فائدة الا
افتضاحكم وهتكم مما لا بد من بيانه فكذلك الرجم وما فيه احياء شريعة واماتة بدعة وعن
الحسن ويعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يريد القرآن
لكشفه ظلمات الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا على الناس من الحق او لانه ظاهر
الاعجاز من اتبع رضوانه من آمن منهم سبل السلام طرق السلامة والنجاة من عذاب الله
او سبل الله قولهم ان الله هو المسيح معناه بت القول على ان حقيقة الله هو المسيح لا غير
قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدي اليه حيث
اعتقدوا انه يخلق ويحيي ويميت ويدبر امر العالم فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من
قدرته ومشيته شيئا ان اراد ان يهلك من دعوه الها من المسيح وامه دلالة على
ان المسيح عبد مخلوق كسائر العباد واراد بعطف من في الارض على المسيح وامه انهما
من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية يخلق ما يشاء اي يخلق من ذكر وانثى ويخلق
انثى من غير ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وانثى كما خلق آدم او يخلق ما يشاء كخلق
الطير على يد عيسى معجزة له وكاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان
ينسب اليه ولا ينسب الى البشر المجرى على يده ابناء الله اشياع ابني الله عزير والمسيح
كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبيون وكما كان يقول رهط مسيلمة
نحن ابناء الله ويقول اقرباء الملك وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال مؤمن آل فرعون
لكم الملك اليوم فلم يعذبكم بذنوبكم فان صح انكم ابناء الله واحباؤه فلم تذنبون وتعذبون

ثم اختلفوا

افتضحا

بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار اياما معدودات على زعمكم ولو كنتم ابناء الله لكنتم من جنس
الاب غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم احباءه لما عصيتموه ولما عاقبكم
بل انتم بشر من جملة من خلق من البشر يغفر لمن يشاء وهم اهل الطاعة ويعذب من يشاء
وهم العصاة يبين لكم اما ان يقدر المبين وهو الدين والشرائع وحذفه لظهوره او قدر ما كان
لتبيينه او يقدر ما كنتم تخفون وحذفه لتقدم ذكره او لا يقدر ويكون المعنى يبذل لكم البيان
ومحله النصب على الحال اي مبينا لكم على فترة متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من
ارسال الرسل وانقطاع من الوحي ان تقولوا كراهة ان تقولوا فقد جاءكم متعلق بمحذوف اي
لا تعتذروا فقد جاءكم وقيل كان بين عيسى ومحمد عليهما السلم خمسمائة وستون سنة وقيل
ستمائة وقيل اربعمائة ونيف وستون وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى عليهما السلم
الف وسبعمائة سنة والف نبي وبين عيسى ومحمد عليهما السلم اربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل
وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي والمعنى الامتنان عليهم وان الرسول بعث اليهم
حين انطمست آثار الوحي احوج ما يكونون اليه ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله
وفتح باب الى الرحمة ويلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم من غفلتهم
جعل فيكم انبياء لانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا لانه
ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل
كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن
واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال
وتحمل المشاق ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام
وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الامور العظام وقيل اراد عالمي زمانهم الارض المقدسة
ارض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض
الاردن وقيل سماها الله لابرهيم ميراثا لولده حين رفع على الجبل فقيل له انظر فلك
ما ادرك بصرك وكان بيت المقدس قرار الانبياء ومسكن المؤمنين كتب الله لكم قسمها
لكم وسماها او خط في اللوح انها لكم ولا ترتدوا على ادباركم ولا تنكصوا على اعقابكم
مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا وقيل لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة رفعوا اصواتهم
بالبكاء وقالوا ليتنا متنا بمصر وقالوا تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف بنا الى مصر ويجوز

ان يراد لا ترتدوا على ادباركم في دينكم بمخالفتكم امر ربكم وعصيانكم نبيكم فترجعوا خاسرين
ثواب الدنيا والآخرة جبارين فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر
الناس على ما يريد قال رجلان هما كالب ويوشع من الذين يخافون الله ويخشونه كانه قيل رجلان
من المتقين ويجوز ان يكون الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف تقديره من الذين
يخافهم بنو اسرائيل وهم الجبارون وهما رجلان منهم انعم الله عليهما بالايمان فآمنا قالا
لهم ان العمالقة اجسام لا قلوب فيها فلا تخافوهم وازحفوا اليهم فانكم غالبوهم يشجعانهم
على قتالهم وقراءة من قرأ يخافون بالضم شاهدة له وكذلك انعم الله عليهما كانه قيل من
المخوفين وقيل هو من الاخافة ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة
او يخوفهم وعيد الله بالعذاب فان قلت ما محل انعم الله عليهما قلت ان انتظم
مع قوله من الذين يخافون في حكم الوصف لرجلان فمرفوع وان جعل كلاما معترضا فلا محل له
فان قلت من اين علما انهم غالبون قلت من جهة اخبار موسى بذلك وقوله
كتب الله لكم وقيل من جهة غلبة الظن وما تبينا من عادة الله في نصرة رسله وما عهدا
من صنع الله لموسى في قهر اعدائه وما عرفا من حال الجبابرة والباب باب قريتهم لن ندخلها
نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التأكيد المؤيس ابدا تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول
ما داموا فيها بيان للابد فاذهب انت وربك يحتمل ان لا يقصدوا حقيقة الذهاب
ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني تريد معنى الارادة والقصد للجواب كانهم قالوا اريدا
قتالهم والظاهر انهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء
وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفائهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسألوا
بها رؤية الله جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم ويحكى ان موسى وهرون عليهما
السلم خرا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا برجمهما ولامر ما قرن الله اليهود
بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين
اشركوا لما عصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع
موافق يثق به الا هرون عليه السلم قال رب اني لا املك لنصرة دينك الا نفسي واخي وهذا
من البث والحزن والشكوى الى الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة
وتستنزل النصرة ونحوه قول يعقوب عليه السلم انما اشكو بثي وحزني الى الله وعن علي

فتنفس در

رضي الله عنه انه كان يدعو الناس على منبر الكوفة الى قتال البغاة فما اجابه الا رجلان فتنفس
الصعداء ودعا لهما وقال اين تقعان مما اريد وذكر في اعراب اخي وجوه ان يكون منصوبا عطفا
على نفسي او على الضمير في اني بمعنى لا املك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه ومرفوعا
عطفا على محل ان واسمها كانه قيل انا لا املك الا نفسي وهرون كذلك لا يملك الا نفسه او
على الضمير في لا املك وجاز للفصل ومجرورا عطفا على الضمير في نفسي وهو ضعيف لقبح
العطف على ضمير المجرور الا بتكرير الجار قال اما كان معه الرجلان المذكوران قلت
كانه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن الى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة
من احوال قومه وتلونهم ولم يذكر الا النبي المعصوم الذي لا شبهة في امره ويجوز ان يقول
ذلك لفرط ضجره عندما سمع منهم تقليلا لمن يوافقه ويجوز ان يريد ومن يؤاخيني على ديني
فافرق فافصل بيننا وبينهم بان تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم بما يستحقون وهو في معنى
الدعاء عليهم ولذلك وصل به قوله فانها محرمة عليهم على وجه التسبيب او فباعد بيننا
وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين فانها فان الارض المقدسة
محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها قال كيف يوفق بين هذا وبين قوله التي كتب الله
لكم قلت فيه وجهان احدهما ان يراد كتبها لكم بشرط ان تجاهدوا اهلها فلما ابوا الجهاد
قيل فانها محرمة عليهم والثاني ان يراد فانها محرمة عليهم اربعين سنة فاذا مضت الاربعين
كان ما كتب فقد روي ان موسى عليه السلام سار بعد بمن بقي من بني اسرائيل وكان يوشع على
مقدمته ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل لما مات موسى عليه السلام بعث يوشع
نبيا فاخبرهم بانه نبي الله وان الله تعالى امره بقتال الجبابرة فصدقوه وتابعوه وسار
بهم الى اريحا وقتل الجبابرة واخرجهم وصار الشام كله لبني اسرائيل وقيل لم يدخل الارض
المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها وهلكوا في التيه ونشأت نواشئ من ذرياتهم
فقاتلوا الجبابرة ودخلوها والعامل في الظرف اما محرمة واما يتيهون ومعنى يتيهون في
الارض يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه المفازة التي تاهوا فيها وروي انهم لبثوا
اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى اذا سئموا وامسوا اذا هم
بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء
لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول لهم شعور واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر
يطول

بطوله قال فلم كانوا ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون قلت
كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة ومثل
ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤذيه ليتأدب ويتثقف ولا يقطع عنه معروفه
واحسانه قال هل كان معهم في التيه موسى وهرون قلت اختلف في ذلك فقيل
لم يكونا معهم لانه كان عقابا وقد طلب موسى الى ربه ان يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم الا
انه كان ذلك روحا لهما وسلامة لا عقوبة كالنار لابراهيم وملائكة العذاب وروي ان هرون
مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ومات
النقباء في التيه بغتة الا كالب ويوشع فلا تأس فلا تحزن عليهم لانه ندم على الدعاء
عليهم فقيل انهم احقاء لفسقهم بالعذاب فلا تحزن فلا تندم ابني آدم لصلبه قابيل وهابيل
اوحى الله الى آدم عليه السلام ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل اجمل
واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل
قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان
من بني اسرائيل بالحق تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او اتله نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما
في كتب الاولين او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لان المشركين واهل الكتاب كلهم
كانوا يحسدون رسول الله عليه السلام ويبغون عليه او اتل عليهم وانت محق صادق اذ قربا
نصب بالنبأ اي قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت ويجوز ان يكون بدلا من النبأ اي اتل عليهم
النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف والقربان اسم ما يتقرب به الى الله من نسيكة
او صدقة كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى يقال قرب صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع
قرب قال الاصمعي تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب قال كيف كان
قوله انما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لاقتلنك قلت لما كان الحسد لاخيه على
تقبل قربانه هو الذي حمله على التوعد بالقتل قال له انما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها
من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وما لك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله
التي هي السبب في القبول فاجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه دليل على ان الله
تعالى لا يتقبل طاعة الا من مؤمن متق فما انعاه على اكثر العاملين اعمالهم وعن عامر بن
عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت قال اني اسمع الله يقول

واصل القرف القشر والاستقرف في الورق الذي يقرف في القمع او في الشيء المقيد

كيت م

انما يتقبل الله من المتقين ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك قيل كان اقوى من القاتل واجسم
ولكنه تحرج من قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت
قاله مجاهد وغيره اني اريد ان تبوء باثمي واثمك ان تحتمل اثم قتلي لك لو قتلتك واثم قتلك لي
قال كيف يحتمل اثم قتله له ولا تزر وازرة وزر اخرى قلت المراد بمثل اثمي على
الاتساع في الكلام كما تقول قرأت قراءة فلان وكتبت كتابته تريد المثل وهو اتساع فاش
مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ونحوه قوله عليه السلام المستبان ما قالا فعلى البادئ ما لم
يعتد المظلوم على ان البادي عليه اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه لانه كان سببا فيه الا ان
الاثم محطوط عن صاحبه معفو عنه لانه مكاف دافع عن عرضه الا ترى الى قوله ما لم يعتد المظلوم
لانه اذا خرج عن حد المكافاة واعتدى لم يسلم قال فحين كف هابيل عن قتل اخيه
واستسلم وتحرج عما كان محظورا في شريعته من الدفع فلم الاثم حتى يحمل اخوه مثله فيجتمع عليه
الاثمان قلت هو مقدر فهو يتحمل مثل الاثم المقدر كانه قال اني اريد ان تبوء بمثل اثمي لو بسطت
اليك يدي وقيل باثمي باثم قتلك الذي من اجله لم يتقبل قربانك قال كيف جاز ان يريد شقاوة
اخيه وتعذيبه بالنار قلت كان ظالما وجزاء الظالم حسن جائز ان يراد الا ترى الى
قوله وذلك جزاء الظالمين واذا جاز ان يريده جاز ان يريده العبد لانه لا يريد الا ما هو حسن
والمراد بالاثم وبال القتل وما يجره من استحقاق العقاب قال لم جاء الشرط بلفظ الفعل
والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت ما انا بباسط قلت ليفيد انه لا يفعل ما يكتسب
به هذا الوصف الشنيع ولذلك اكده بالباء المؤكدة للنفي فطوعت له نفسه قتل اخيه فوسعته
له ويسرته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرأ الحسن فطاوعت وفيه وجهان ان يكون مما جاء
فاعل بمعنى فعل وان يراد ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم يمتنع وله
لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله وقيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة
حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض روي انه اول
قتيل على وجه الارض من بني آدم ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع
فحمله في جراب على ظهره سنة حتى اروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل
احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة فقال يا ويلتا اعجزت وروي انه
لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل

قتلته ولذلك اسود جسدك وروي ان آدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر
وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء معصومون من الشعر ليريه
الله او ليريه الغراب اي ليعلمه لانه لما كان سبب تعليمه فكانه قصد تعليمه على سبيل المجاز
سوأة اخيه عورة اخيه وما لا يجوز ان ينكشف من جسده والسوأة الفضيحة لقبحها قال القوم
للسوأة السوآء اي الفضيحة العظيمة فكني بها عنها فاواري بالنصب على جواب الاستفهام وقرئ
بالسكون على فانا اواري او على القطع في موضع النصب للتخفيف من النادمين على قتله
لما تعب من حمله وتحيره في امره وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط
ابيه ولم ينفعه ندم التائبين من اجل ذلك بسبب ذلك وبعلته وقيل اصله من اجل شرا اذا جنى
جناه يا جله ومنه قوله واهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل انا آجله كانه اذا قيل
من اجلك فعلت كذا اردت من ان جنيت فعله واوجبته ويدل عليه قولهم من جراك
فعلته اي من ان جررته بمعنى جنيته وذلك اشارة الى القتل المذكور اي من الجنى ذاك القتل
الكبير وجره كتبنا على بني اسرائيل ومن لابتداء الغاية اي ابتداء الكتب ونشاؤه من اجل ذلك
ويقال فعلت كذا لاجل كذا وقد يقال اجل كذا بحذف الجار وايصال الفعل قال اجل ان الله قد
فضلكم وقرئ من اجل ذلك بحذف الهمزة وفتح النون لالقاء حركتها عليها وقرأ ابو جعفر من اجل
بكسر الهمزة وهي لغة واذا خفف كسر النون ملقيا لكسرة الهمزة عليها بغير نفس بغير قتل نفس لا على وجه
الاقتصاص او فساد في الارض وهو الشرك وقيل قطع الطريق ومن احياها ومن استنقذها
من بعض اسباب الهلكة قتل او غرق او حرق او هدم او غير ذلك قال كيف شبه
الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم قلت لان كل انسان يدلي بما يدلي به الآخر من الكرامة على
الله تعالى وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد اهين ما كرم على الله وهتكت حرمته وعلى العكس
فلا فرق اذا بين الواحد والجميع في ذلك قال فما الفائدة في ذكر ذلك قلت
تعظيم قتل النفس واحيائها في القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا
في المحاماة على حرمتها لان المتعرض لقتل النفس اذا تصورت قتلها بصورة قتل الناس
جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك الذي اراد احياءها وعن مجاهد قاتل النفس جزاؤه
جهنم وغضب الله عليه والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك وعن
الحسن يا ابن آدم ارايت لو قتلت الناس جميعا اكنت تطمع ان يكون لك عمل يوازي ذلك

عطف على نفس بغير او بغير م

فبعض ذلك آية كلا انهم حق لكنه نفسك والشيطان فلذلك اذا قتلت واحدا بعد ذلك بعد
ما كتبنا عليهم وبعد مجيء الرسل بالآيات لمسرفون يعني في القتل لا يبالون بعظمته يحاربون
الله ورسوله يحاربون رسول الله ومحاربة المسلمين في حكم محاربته ويسعون في الارض
فسادا مفسدين او لان سعيهم في الارض لما كان على طريق الفساد نزل منزلة وفسادا
في الارض فانتصب فسادا على المعنى ويجوز ان يكون مفعولا له اي للفساد نزلت في قوم هلال
بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله عهد وقد مر بهم قوم يريدون رسول الله فقطعوا
عليهم وقيل في العرنيين فاوحى اليه ان من جمع بين القتل واخذ المال قتل وصلب
ومن افرد القتل قتل ومن افرد اخذ المال قطعت يده لاخذ المال ورجله لاخافة
السبيل ومن افرد الاخافة نفي من الارض وقيل هذا حكم كل قاطع طريق كافرا كان او مسلما
ومعناه ان يقتلوا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا مع القتل ان جمعوا بين
القتل والاخذ قال ابو حنيفة ومحمد رحمهما الله يصلب حيا ويطعن حتى يموت او تقطع
ايديهم وارجلهم من خلاف ان اخذوا المال او ينفوا من الارض اذا لم يزيدوا على الاخافة
وعن جماعة منهم الحسن والنخعي ان الامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق
من غير تفصيل والنفي الحبس عند ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي النفي من بلد
الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم الى دهلك
وهو بلد في اقصى تهامة وناصع وهو من بلاد الحبشة خزي ذل وفضيحة الا الذين تابوا
استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة واما القتل والجراح واخذ المال فالى
الاولياء ان شاؤوا عفوا وان شاؤوا استوفوا وعن علي رضي الله عنه ان الحارث بن بدر
جاءه تائبا بعدما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة الوسيلة كل ما يتوسل
به اي يتقرب من قرابة او صنيعة او غير ذلك فاستعير لما يتوسل به الى الله من فعل
الطاعات وترك المعاصي وانشد للبيد ارى الناس لا يدرون ما قدر امرهم الا كل
ذي لب الى الله واسل ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم وهذا تمثيل للزوم العذاب
لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه بوجه وعن النبي صلى الله عليه يقال للكافر يوم القيمة
ارأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر
من ذلك ولو مع ما في حيزه خبر ان فان قلت لم وحد الراجع في قوله ليفتدوا به

وقد ذكر شيئان قلت سوى قوله ما في الارض ومثله معه بما لعرفت او على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة
كانه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز ان يكون الواو في ومثله بمعنى مع فيتوحد المرجوع اليه فان قلت
فبم ينصب المفعول معه قلت بما يستتبعه لو من الفعل لان التقدير لو ثبت ان لهم ما في
الارض قرأ ابو واقد ان يخرجوا بضم الياء من اخرج ويشهد لقراءة العامة قوله بخارجين
وما يروى عن عكرمة ان نافع بن الازرق قال لابن عباس يا اعمى البصر اعمى القلب تزعم ان قوما
يخرجون من النار وقد قال الله تعالى وما هم بخارجين منها فقال ويحك اقرأ ما فوقها هذا
للكفار فمما لفقته المجبرة وليس باول تكاذيبهم وفراهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الازرق
ابن عم رسول الله صلى الله عليه وهو بين اظهر اعضاده من قريش وانضاده من بني
عبد المطلب وهو حبر الامة وبحرها بالخطاب الذي لا يجسر على مثله احد من اهل الدنيا
وبرفعه الى عكرمة دليلين ناصعين ان الحديث فرية ما فيها مرية والسارق والسارقة
رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كانه قيل وفيما فرض عليكم السارق
والسارقة اي حكمهما ووجه آخر وهو ان يرتفعا بالابتداء والخبر فاقطعوا ايديهما ودخول
الفاء لتضمنهما معنى الشرط لان المعنى والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا ايديهما والاسم
الموصول يضمن معنى الشرط وقرأ عيسى بن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة
العامة لاجل الامر لان زيدا فاضربه احسن من زيد فاضربه ايديهما يديهما ونحوه فقد صغت
قلوبكما اكتفى بتثنية المضاف اليه عن تثنية المضاف واريد باليدين اليمينان بدليل
قراءة عبد الله والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم والسارق في الشريعة من سرق
من الحرز والمقطع الرسغ وعند الخوارج المنكب والمقدار الذي يجب به القطع عشرة
دراهم عند ابي حنيفة رحمه الله وعند مالك والشافعي ربع دينار وعن الحسن درهم وفي
مواعظه احذر من قطع يدك في درهم جزاء ونكالا مفعول لهما فمن تاب من السراق
من بعد ظلمه من بعد سرقته واصلح امره بالتفصي عن التبعات فان الله يتوب عليه
ويسقط عنه عقاب الآخرة واما القطع فلا يسقطه التوبة عند ابي حنيفة واصحابه
وعند الشافعي في احد قوليه تسقطه من يشاء من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة
له من المصرين والتائبين وقيل يسقط حد الحربي اذا سرق بالتوبة ليكون ادعى
له الى الاسلام وابعد من التنفير عنه ولا يسقطه عن المسلم لان في اقامته الصلاح للمؤمنين

والحيوة ولكم في القصاص حيوة فان قلت لم قدم التعذيب على المغفرة قلت
لانه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة قرئ لا يحزنك بضم الياء ويسرعون والمعنى لا تهتم
ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر اي في اظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام
ومن موالاة المشركين فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال اسرع فيه الشيب واسرع
فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر وقوعهم فيه اسرع شيء اذا
وجدوا فرصة لم يخطئوها وآمنا به متعلق بقالوا وبافواههم متعلق بآمنا ولم تؤمن ومن
الذين هادوا منقطع مما قبله خبر لسماعون اي ومن اليهود قوم سماعون ويجوز ان يعطف
على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم سماعون والضمير للفريقين او للذين هادوا
ومعنى سماعون للكذب قابلون لما يفتريه الاحبار ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف
كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده سماعون لقوم آخرين
لم يأتوك يعني اليهود الذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجافوا
عنه لما افرط فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة اي قابلون من الاحبار ومن اولئك
المفرطين في العداوة الذين لا يقدرون ان ينظروا اليك وقيل سماعون الى رسول الله لاجل
ان يكذبوا عليه بان يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون
من رسول الله لاجل قوم آخرين من اليهود ~~وقيل السماعون بنو قريظة~~ وجهوهم عيونا
ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل السماعون بنو قريظة والقوم الآخرون يهود خيبر يحرفون الكلم
يميلونه ويزيلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد ان كان ذا مواضع
ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به وان لم تؤتوه
وافتاكم محمد بخلافه فاحذروا واياكم واياه فهو الباطل والضلال وروي ان شريفا من خيبر
زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا
منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا
وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال
له جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن
فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض ورضوا به حكما
فقال له رسول الله عليه السلام انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر ورفع فوقكم

الطور

واغرقكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم
على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب
ثم سأل رسول الله عليه السلام عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله
وانك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله بالزانيين فرجما
عند باب مسجده ومن يرد الله فتنته تركه مفتونا وخذلانه فلن تملك له من الله شيئا فلن
تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الطافه ما طهر
به قلوبهم لانهم ليسوا من اهلها لعلمه انها لا تنفع فيهم ولا تنجع ان الذين لا يؤمنون بآيات
الله لا يهديهم الله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم السحت كل ما لا يحل كسبه
وهو من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة كما قال تعالى يمحق الله الربوا والربوا
باب منه وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين على لفظ المصدر
من سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا ياخذون الرشى على الاحكام
وتحليل الحرام وعن الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه
فاراها اياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب وحكي ان
حاكما قدم من عمله فجاءه قومه فقدم اليهم العراضة وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله فقال
اعرابي من القوم نحن كما قال الله تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت وعن النبي صلى
الله عليه انه قال كل لحم انبته السحت فالنار اولى به قيل كان رسول الله عليه السلام مخيرا
اذا تحاكم اليه اهل الكتاب بين ان يحكم بينهم وان لا يحكم وعن عطاء والنخعي والشعبي انهم اذا ارتفعوا
الى حكام المسلمين فان شاؤوا حكموا وان شاؤوا اعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله وان احكم بينهم
بما انزل الله وعند ابي حنيفة رحمه الله ان احتكموا الينا حملوا على حكم دين الاسلام فان زنى
منهم رجل بمسلمة او سرق من مسلم شيئا اقيم عليه الحد واما اهل الحجاز فانهم لا يرون
اقامة الحدود عليهم يذهبون الى انهم قد صولحوا على شركهم وهو اعظم من الحدود
ويقولون ان النبي عليه السلام رجم اليهوديين قبل نزول الجزية فلن يضروك شيئا لانهم كانوا
لا يتحاكمون اليه الا لطلب الايسر والاهون عليهم كالجلد مكان الرجم فاذا اعرض عنهم
وابى الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا اعراضه عنهم وكانوا خلقاء بان يعادوه ويضاروه
فآمنه الله منهم بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم وكيف يحكمونك تعجيب من تحكيمهم

لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع أن الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الإيمان به ثم يتولون
من بعد ذلك ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به وما أولئك
بالمؤمنين بكتابهم كما يدعون أو وما أولئك بالكاملين في الإيمان على سبيل التهكم بهم فإن قلت
فيها حكم الله ما موضعه من الإعراب قلت إما أن ينتصب حالا من التوراة وهي مبتدأ خبره
عندهم وإما أن يرتفع خبرا عنها كقولك وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله وإما أن لا يكون له
محل وتكون جملة مبينة لأن عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد يستشيرك ويشير
عليك بالصواب فما تصنع بغيره فإن قلت لم أنثت التوراة قلت لكونها نظيرة لموماة ودوداة
ونحوهما في كلام العرب فإن قلت علام عطف ثم يتولون قلت على يحكمونك فيها هدى
يهدي للحق والعدل ونور يبين ما استبهم من الأحكام الذين أسلموا صفة أجريت على النبيين
على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة والتوضيح وأريد بإجرائها
التعريض باليهود وأنهم بعداء من ملة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم في القديم
والحادث وأن اليهودية بمعزل عنها وقوله الذين أسلموا للذين هادوا مناد على ذلك والربانيون
والأحبار والزهاد والعلماء من ولد هارون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين
اليهود بما استحفظوا من كتاب الله بما سألهم أنبياؤهم حفظه من التوراة أي بسبب سؤال أنبيائهم
إياهم أن يحفظوه من التغيير والتبديل ومن في من كتاب الله للتبيين وكانوا عليه شهداء
رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم بأحكام التوراة النبيون بين موسى وعيسى وكان بينهما ألف
نبي للذين هادوا يحملونهم على أحكام التوراة لا يتركونهم أن يعدلوا عنها كما فعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم وإرغام أنوفهم وإبائه عليهم ما اشتهوه من
الجلد وكذلك حكم الربانيون والأحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم أنبياؤهم من كتاب الله
والقضاء بأحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء ويجوز أن يكون الضمير في استحفظوا للأنبياء
والربانيين والأحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله أي كلفهم الله حفظه وأن يكونوا عليه
شهداء فلا تخشوا الناس نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وإدهانهم فيها وإمضائها
على خلاف ما أمروا به من العدل لخشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد من القرباء والأصدقاء
ولا تشتروا ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا بآيات الله وأحكامه ثمنا قليلا هو الرشوة
وابتغاء الجاه ورضا الناس كما حرف أحبار اليهود كتاب الله وغيروا أحكامه رغبة في الدنيا

وطلبا للرياسة فهلكوا ومن لم يحكم بما أنزل الله مستهينا به فأولئك هم الكافرون والظالمون
والفاسقون وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة وتمردوا بأن حكموا بغيرها
وعن ابن عباس رضي الله عنه أن الكافرين والظالمين والفاسقين أهل الكتاب وعنه نعم القوم
أنتم ما كان من حلو فلكم وما كان من مر فهو لأهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر
فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذه في أهل الإسلام والظالمون في اليهود والفاسقون في
النصارى وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو عام في اليهود وغيرهم وعن حذيفة أنتم أشبه
الأمم سمتا ببني إسرائيل لتركبن طريقتهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير أني لا أدري أتعبدون
العجل أم لا في مصحف أبي وأنزل الله على بني إسرائيل فيها وفيه وأن الجروح قصاص والمعطوفات
كلها قرئت منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل أن النفس لأن المعنى وكتبنا عليهم
النفس بالنفس إما لإجراء كتبنا مجرى قلنا وإما لأن معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما
يقع عليه الكتب كما تقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة أنزلناها ولذلك قال
الزجاج لو قرئ إن النفس بالكسر لكان صحيحا أو للاستئناف والمعنى فرضنا عليهم فيها أن النفس
مأخوذة بالنفس مقتولة بها إذا قتلتها بغير حق وكذلك العين مفقوءة بالعين والأنف مجدوع
بالأنف والأذن مصلومة بالأذن والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص ذات قصاص
وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص ويعرف المساواة وعن ابن عباس كانوا لا يقتلون
الرجل بالمرأة فنزلت فمن تصدق من أصحاب الحق به بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة له
فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته
وعن عبد الله بن عمرو يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل فهو كفارة للجاني إذا تجاوز عنه
صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة أبي فهو كفارته له يعني فالمتصدق كفارته التي
الكفارة التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله فأجره على الله وقفينا
على آثارهم قفيته مثل عقبته إذا اتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه إلى الثاني
بزيادة الباء فإن قلت فأين المفعول الأول في الآية قلت هو محذوف والظرف الذي هو على
آثارهم كالساد مسده لأنه إذا قفى به على أثره فقد قفى به إياه والضمير في آثارهم للنبيين
في قوله يحكم بها النبيون الذين أسلموا وقرأ الحسن الإنجيل بفتح الهمزة فإن صح عنه فلأنه أعجمي
خرج لعجمته عن أبنية العربية كما خرج هابيل وآجر ومصدقا عطف على محل فيه هدى ومحله النصب

على الحال وهدى وموعظة يجوز أن ينتصبا على الحال كقوله مصدقا وأن ينتصبا مفعولا لهما
لقوله وليحكم كأنه قيل وللهدى والموعظة آتيناه الإنجيل وليحكم بما أنزل الله فيه من الأحكام فإن قلت
فإن نظمت هدى وموعظة في سلك مصدقا فما تصنع بقوله وليحكم قلت أصنع به ما صنعت بهدى
وموعظة حين جعلتهما مفعولا لهما فأقدر وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله آتيناه إياه وقرئ وليحكم
على لفظ الأمر بمعنى وقلنا ليحكم وروي في قراءة أبي وأن ليحكم بزيادة أن مع الأمر على أن أن
موصولة بالأمر كقولك أمرته بأن قم كأنه قيل وآتيناه الإنجيل وأمرناه بأن يحكم أهل الإنجيل
وقيل إن عيسى عليه السلام كان متعبدا بما في التوراة من الأحكام لأن الإنجيل مواعظ وزواجر
والأحكام فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله لكل
جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وإن ساغ لقائل أن يقول معناه وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب
العمل بأحكام التوراة فإن قلت أي فرق بين التعريفين في قوله وأنزلنا إليك الكتاب وقوله
لما بين يديه من الكتاب قلت الأول تعريف العهد لأنه عني به القرآن والثاني تعريف
الجنس لأنه عني جنس الكتب المنزلة ويجوز أن يقال هو للعهد لأنه لم يرد به ما يقع عليه اسم
الكتاب على الإطلاق وإنما أريد به نوع معلوم منه وهو ما أنزل من السماء سوى القرآن ومهيمنا
ورقيبا على سائر الكتب لأنه يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ ومهيمنا عليه بفتح
الميم أي هومن عليه بأن حفظ من التغيير والتبديل كما قال لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه والذي هيمن عليه الله عز وجل أو الحفاظ في كل بلد لو حرف حرف منه أو حركة
أو سكون لتنبه عليه كل أحد ولاشمأزوا رادين ومنكرين عما جاءك من الحق ولا تتبع أهواءهم ولا تنحرف
فلذلك عدي بعن كأنه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم لكل جعلنا منكم أيها
الناس شرعة شريعة وقرأ يحيى بن وثاب شرعة بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا
في الدين تجرون عليه وقيل هذا دليل على أنا غير متعبدين بشرائع من قبلنا لجعلكم
أمة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة أو ذوي أمة واحدة أي دين واحد لا اختلاف فيه
ولكن أراد ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة هل تعملون بها مذعنين معتقدين أنها
مصالح قد اختلفت على حسب الأحوال والأوقات معترفين بأن الله لم يقصد باختلافها
إلا ما اقتضته الحكمة أم تتبعون الشبه وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها
وتسابقوا نحوها إلى الله مرجعكم استئناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات فينبئكم

فينبئكم فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في
العمل فإن قلت وأن احكم بينهم معطوف على ماذا قلت على الكتاب في قوله وأنزلنا
إليك الكتاب كأنه قيل وأنزلنا إليك أن احكم على أن أن وصلت بالأمر لأنه فعل كسائر الأفعال
ويجوز أن يكون معطوفا على بالحق أي أنزلناه بالحق وبأن احكم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل
الله إليك أن يضلوك عنه ويستنزلوك وذلك أن كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا
وشاس بن قيس من أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا إلى محمد نفتنه عن دينه فقالوا يا
محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وإن بيننا وبين
قومنا خصومة فنتحاكم إليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فإن تولوا عن الحكم بما أنزل الله إليك وأرادوا
غيره فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني بذنب التولي عن حكم الله وإرادة
خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك وأراد أن لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد وأن هذا
الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الإبهام لتعظيم التولي واستسرافهم في ارتكابه
ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد أو يرتبط بعض النفوس حمامها أراد نفسه
وإنما قصد تفخيم شأنها بهذا الإبهام كأنه قال نفسا كبيرة ونفسا أي نفس فكما أن التنكير
يعطي معنى التكبير وهو في معنى البعضية فكذلك إذا صرح بالبعض لفاسقون لمتمردون
في الكفر معتدون فيه يعني أن التولي عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء في الكفر أفحكم
الجاهلية يبغون فيه وجهان أحدهما أن قريظة والنضير طلبوا إليه أن يحكم بما كان يحكم به
أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القتلى
بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت والثاني أن يكون تعييرا لليهود
بأنهم أهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل لا تصدر
عن كتاب ولا ترجع إلى وحي من الله وعن الحسن هو عام في كل من يبتغي غير حكم الله
والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم الشيطان وسئل طاوس عن
الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية وقرئ تبغون بالتاء والياء وقرأ
السلمي أفحكم الجاهلية يبغون برفع الحكم على الابتداء وإيقاع يبغون خبرا وإسقاط
الراجع عنه كإسقاطه عن الصلة في أهذا الذي بعث الله رسولا وعن الصفة في الناس

رجلان رجل اهنت ورجل اكرمت وعن الحارث فى مركوب بهلب يضرب زيد وقراه
قتادة أفحكم الجاهلية على ان هذا الحكم الذى يبغونه انما يحكم به افعى نجران او نظيره من
حكام الجاهلية فارادوا بسفههم ان يكون محمد خاتم النبيين حكما كاولئك الحكام اللام فى قوله
لقوم يوقنون للبيان كاللام فى هيت لك اى هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون
فانهم هم الذين يتيقنون ان لا اعدل من الله ولا احسن حكما منه لا تتخذوهم اولياء تنصرونهم
وتستنصرونهم وتواخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهى بقوله
بعضهم اولياء بعض اى انما يوالى بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم فى الكفر والمراد به
خلاف دينهم ولموالاتهم ومن يتولهم منكم فانه من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ
من الله وتشديد فى وجوب مجانبة المخالف فى الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلى
الله عليه لا تراءى ناراهما ومنه قول عمر رضى الله عنه لابى موسى فى كاتبه النصرانى لا تكرموهم
اذ اهانهم الله ولا تأمنوهم اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ اقصاهم الله وروى انه قال له
ابو موسى لا قوام للبصرة الا به فقال مات النصرانى والسلام يعنى هب انه قد مات فما تكون صانعا
حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره ان الله لا يهدى القوم الظالمين يعنى الذين ظلموا
انفسهم بموالاة الكفرة يمنعهم الله ألطافه ويخذلهم مقتا لهم يسارعون فيهم ينكمشون فى موالاتهم
ويرغبون فيها ويعتذرون بانهم لا يأمنون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان اى صرف
من صروفه ودولة من دوله فيحتاجوا اليهم والى معونتهم وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه
انه قال لرسول الله صلى الله عليه ان لى موالى من يهود كثيرا عددهم وانى ابرأ الى الله
ورسوله من ولايتهم واوالى الله ورسوله فقال عبد الله بن ابى انى رجل اخاف الدوائر
لا ابرأ من ولاية موالى وهم يهود بنى قينقاع فعسى الله ان يأتى بالفتح لرسول الله صلى
الله عليه على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شأفة اليهود ويجليهم
عن بلادهم فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به انفسهم وذلك انهم كانوا يشكون
فى امر رسول الله صلى الله عليه ويقولون ما نظن ان يتم له امر وبالحرى ان يكون الدولة
والغلبة لهؤلاء وقيل او امر من عنده لا ان يؤمر النبى عليه السلام باظهار اسرار المنافقين
وقتلهم فيندموا على نفاقهم وقيل او امر من عند الله لا يكون فيه للناس فعل كبنى
النضير الذين طرح الله فى قلوبهم الرعب فاعطوا بايديهم من غير ان يوجف عليهم بخيل

سورة يوسف عليه السلام
الكميش السريع
مهذب
الشأفة قرحة تخرج فى اسفل القدم فتكوى فتذهب واذا قطعت مات صاحبها
وجف اضطراب الوجيف ضرب من سير الابل والخيل

ولا ركاب ويقول الذين آمنوا قرئ بالنصب عطفا على ان يأتى وبالرفع على انه كلام مبتدأ
اى ويقول الذين آمنوا فى ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو وهى فى مصاحف مكة والمدينة
والشام كذلك على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا
اهؤلاء الذين اقسموا فان قلت لمن يقولون هذا القول قلت اما ان يقوله بعضهم لبعض
تعجبا من حالهم واغتباطا بما منّ الله عليهم من التوفيق فى الاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا
لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار واما ان يقولوه لليهود لانهم حلفوا
لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله تعالى عنهم وان قوتلتم لننصرنكم حبطت اعمالهم من جملة
قول المؤمنين اى بطلت اعمالهم التى كانوا يتكلفونها فى رأى اعين الناس وفيه معنى التعجب
كأنه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم او من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الاعمال وتعجيبا
من سوء حالهم وقرئ من يرتدد ومن يرتد وهو فى الامام بدالين وهو من الكائنات التى اخبر
عنها فى القرآن قبل كونها وقيل كان اهل الردة احدى عشرة فرقة ثلاث فى عهد رسول
الله صلى الله عليه بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسى وكان كاهنا تنبأ باليمن
واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله صلى الله عليه فكتب رسول الله الى معاذ بن جبل
والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يدى فيروز الديلمى بيته فقتله واخبر رسول الله
صلى الله عليه بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله من الغد واتى خبره فى آخر
شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه من مسيلمة
رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فاجاب من محمد
رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين فحاربه ابو بكر رضى الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدى وحشى قاتل حمزة
وكان يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس فى الاسلام اراد فى جاهليتى
واسلامى وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه
خالدا فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع فى عهد ابى بكر الصديق
رضى الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيرى وبنو
سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر
المتنبئة التى زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعرى فى كتاب

سورة الحشر
كانت نساء ذى الحمار يجعلن فى عرس دون الحمار

كانت فى عزر واستغفرى امة سجاح ودلاها مسيلمة كذابة فى بنى الدنيا وكذاب وكندة
قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على
يدى ابى بكر رضى الله عنه وفرقة واحدة فى عهد عمر رضى الله عنه غسان قوم جبلة
بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم بعد اسلامه فسوف يأتى الله بقوم قيل لما
نزلت اشار رسول الله صلى الله عليه الى ابى موسى الاشعرى فقال قوم هذا وقيل هم الفان من
النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية
وقيل هم الانصار وقيل سئل رسول الله صلى الله عليه عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال
هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس يحبهم ويحبونه
محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة
الله لعباده ان يثيبهم احسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثنى عليهم ويرضى عنهم واما
ما يعتقده اجهل الناس واعداهم للعلم واهله وامقتهم للشرع واسوؤهم طريقة وان كانت
طريقتهم عند امثالهم من الجهلة والسفهاء شيئا وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من
الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغنى على كراسيهم خربها الله وفى مراقصهم
عطلها الله بابيات الغزل المقولة فى المردان الذين يسمونهم شهداء الله وصعقاتهم التى ابن
عنها صعقة موسى عند دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم كما انه بذاته
يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة الى الذات دون النعوت والصفات ومنها
الحب شرطه ان تلحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة فان قلت
اين الراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط قلت هو محذوف معناه فسوف
يأتى الله بقوم مكانهم او بقوم غيرهم وما اشبه ذلك اذلة جمع ذليل واما ذلول فجمعه
ذلل ومن زعم انه من الذل الذى هو نقيض الصعوبة فقد غبى عنه ان ذلولا لا يجمع
على اذلة فان قلت هلا قيل اذلة للمؤمنين اعزة على الكافرين قلت فيه
وجهان احدهما ان يضمن الذل معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه
التذلل والتواضع والثانى انهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين
خافضون لهم اجنحتهم ونحوه قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وقرئ اذلة واعزة
بالنصب على الحال ولا يخافون لومة لائم يحتمل ان تكون الواو للحال على انهم يجاهدون وحالهم

وسيرته
اشاره

وحالهم فى المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا موالين لليهود لعنت فاذا
خرجوا فى جيش المسلمين خافوا اولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون انه يلحقهم
فيه لوم من جهتهم واما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم وان تكون
للعطف على ان من صفتهم المجاهدة فى سبيل الله وانهم صلاب فى دينهم اذا
شرعوا فى امر من امور الدين انكار منكر او امر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يرهبهم
قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدهم فى انكارهم وصلابتهم فى
امرهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفى التنكير مبالغتان كانه قيل لا يخافون شيئا قط
من لوم احد من اللوام وذلك اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة
وانتفاء خوف اللومة يؤتيه يوفق له من يشاء ممن يعلم ان له لطفا واسع كثير الفواضل
والالطاف عليم بمن هو من اهلها عقب النهى عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب
موالاتهم بقوله انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ومعنى انما وجوب اختصاصهم بالموالاة
فان قلت قد ذكرت جماعة فهلا قيل انما اولياؤكم قلت اصل الكلام انما وليكم
الله فجعلت الولاية لله على طريق الاصالة ثم نظم فى سلك اثباتها له اثباتها لرسول
الله وللمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل انما اولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن فى
الكلام اصل وتبع وفى قراءة عبد الله انما مولاكم فان قلت الذين يقيمون ما محله قلت
الرفع على البدل من الذين آمنوا او على هم الذين يقيمون او النصب على المدح وفيه
تمييز للخلص من الذين آمنوا نفاقا او واطأت قلوبهم السنتهم الا انهم مفرطون فى العمل
وهم راكعون الواو فيه للحال اى يعملون ذلك فى حال الركوع وهو الخشوع والاخبات والتواضع
لله اذا صلوا واذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون الزكاة بمعنى يؤتونها فى حال ركوعهم فى الصلاة
وانها نزلت فى على رضى الله عنه حين ساله سائل وهو راكع فى صلاته فطرح له خاتمه كأنه
كان مرجا فى خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته فان قلت كيف صح ان يكون
لعلى رضى الله عنه واللفظ لفظ جماعة قلت جىء به على لفظ الجمع وان كان السبب فيه
رجلا واحدا ليرغب الناس فى مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على ان سجية المؤمنين
يجب ان تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان وتفقد الفقراء حتى
ان لزهم امر لا يقبل التأخير وهم فى الصلاة لم يؤخروه الى الفراغ منها فان حزب الله

من إقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه فإنهم هم الغالبون ولكنهم بذلك جعلوا أعلاما
لكونهم حزب الله وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبهم ويحتمل أن يريد بحزب الله الرسول
والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب روي أن
رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين
يوادونهما فنزلت يعني أن اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح أن يقابل باتخاذكم إياهم أولياء
بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار
وإن كان أهل الكتاب من الكفار إطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه
قراءة عبد الله ومن الذين أشركوا وقرئ والكفار بالنصب والجر ويعضد قراءة الجر قراءة أبي
ومن الكفار واتقوا الله في موالاة الكفار وغيرهم إن كنتم مؤمنين حقا لأن الإيمان
حقا يأبى موالاة أعداء الدين اتخذوها الضمير للصلاة أو للمناداة قيل كان رجل من
النصارى بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال حرق الكاذب
فدخلت خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت
واحترق هو وأهله وقيل فيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده لا يعقلون
لأن لعبهم وهزؤهم من أفعال السفهاء والجهلة فكأنه لا عقل لهم قرأ الحسن هل تنقمون
بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون منا إلا الإيمان بالكتب المنزلة كلها وأن
أكثركم فاسقون فإن قلت علام عطف قوله وأن أكثركم فاسقون قلت فيه وجوه منها أن
يعطف على أن آمنا بمعنى وما تنقمون منا إلا الجمع بين إيماننا وبين تمردكم وخروجكم عن
الإيمان كأنه قيل وما تنكرون منا إلا أنا مسلمون حيث دخلنا في دين الإسلام وأنتم خارجون
منه ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف أي واعتقاد أنكم فاسقون ومنها أن
يعطف على المجرور أي وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وبما أنزل وبأن أكثركم فاسقون
ويجوز أن يكون الواو بمعنى مع أي وما تنقمون منا إلا الإيمان مع أنكم فاسقون ويجوز أن
يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف كأنه قيل وما تنقمون منا إلا الإيمان لقلة إنصافكم
وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه تفسير الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا وروي
أنه أتى رسول الله صلى الله عليه نفر من اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال
أومن بالله وما أنزل إلينا إلى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى ما نعلم

أهل دين أخطأ في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت وعن نعيم بن ميسرة وإن
أكثركم بالكسر ويحتمل أن ينتصب وأن أكثركم بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون أي ولا تنقمون
أن أكثركم فاسقون أو يرتفع على الابتداء والخبر محذوف أي و[illegible]
وفسقكم ثابت معلوم عندكم لأنكم علمتم أنا على الحق وأنكم على الباطل إلا أن حب الرياسة
وكسب المال لا يدعكم فتنصفوا ذلك إشارة إلى المنقوم ولا بد من حذف مضاف قبله أو قبل
من تقديره بشر من أهل ذلك أو دين من لعنه الله ومن لعنه الله في محل الرفع على قولك
هو من لعنه الله كقوله قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار أو في محل الجر على البدل من شر
وقرئ مثوبة ومثابة ومثوبة ومثوبة فإن قلت المثوبة مختصة بالإحسان فكيف
جاءت في الإساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله تحية بينهم
ضرب وجيع ومنه فبشرهم بعذاب أليم فإن قلت المعاقبون من الفريقين هم اليهود
فلم شورك بينهم في العقوبة قلت كان اليهود لعنوا يزعمون أن المسلمين ضالون
مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من أهل
الإسلام في زعمكم ودعواكم وعبد الطاغوت عطف على صلة من كأنه قيل ومن
عبد الطاغوت وفي قراءة أبي وعبدوا الطاغوت على المعنى وقرأ ابن مسعود ومن
عبدوا وقرئ وعابد الطاغوت عطفا على القردة وعابدي وعباد وعبدة وعبد
ومعناه الغلو في العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة قال
أبني لبينى إن أمكم أمة وإن أباكم عبد وعبد بوزن حطم وعبيد وعبد بضمتين جمع
عبيد وعبدة بوزن كفرة وعبد وأصله عبدة فحذفت التاء للإضافة أو هو جمع
كخدم في جمع خادم وعبد وعباد وأعبد وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف
الراجع بمعنى وعبد الطاغوت فيهم أو بينهم وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت
معبودا من دون الله كقولك أمر إذا صار أميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا على
لعنه الله فإن قلت كيف جاز أن يجعل الله منهم عباد الطاغوت قلت فيه وجهان
أحدهما أنه خذلهم حتى عبدوها والثاني أنه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا وقيل الطاغوت العجل لأنه معبود من دون
الله ولأن عبادتهم العجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان

وهو الطاغوت وعن ابن عباس رضي الله عنه أطاعوا الكهنة وكل من أطاع أحدا في معصية
الله فقد عبده وقرأ الحسن الطواغيت وقيل وجعل منهم القردة أصحاب السبت والخنازير
كفار أهل مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين من أصحاب السبت فشبانهم مسخوا
قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وروي أنها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا إخوة القردة
والخنازير فينكسون رؤوسهم أولئك شر وأضل لدخوله في باب الكناية التي هي أخت المجاز نزلت
في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه يظهرون له الإيمان نفاقا
فأخبره الله بشأنهم وأنهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك
بآيات الله ومواعظك وقوله بالكفر وبه حالان أي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره
ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي
من الحال والمعنى آخر وهو أن أمارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان رسول الله صلى الله
عليه متوقعا لإظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا آمنا أي قالوا
ذلك وهذه حالهم الإثم الكذب بدليل قوله عن قولهم الإثم والعدوان الظلم وقيل الإثم
كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل الإثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى إلى غيرهم والمسارعة
في الشيء الشروع فيه بسرعة لبئس ما كانوا يصنعون كأنهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير
لأن كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب إليه
وكأن المعنى في ذلك أن مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه إليها وتحمله على ارتكابها
وأما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره فإذا فرط في الإنكار كان أشد حالا من المواقع
ولعمري إن هذه الآية مما يقذ السامع وينعى على العلماء توانيهم وعن ابن عباس رضي الله عنه
هي أشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية أخوف عندي منها غل اليد
وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها
كل البسط ولا يقصد من يتكلم به إثبات يد ولا غل ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام
وبين ما وقع مجازا عنه لأنهما كلامان معتقبان على حقيقة واحدة حتى أنه يستعمل في ملك
لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه إلا بإشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها ولو أعطى
الأقطع إلى المنكب عطاء جزلا لقالوا ما أبسط يده بالنوال لأن بسط اليد وقبضها عبارتان
وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوهما حيث لا تصح اليد كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل

نسخه ۴
أولئك هم الملعونون شر
مكانا جعلت الشرارة للمكان
وهي لأهله وفيه مبالغة ليست
في قولك ۴

الحمى مفعول جاد وهو موضع وفاعله
بسط اليدين وبسط اليمين
جمع باسط عبارة عن السحاب
[illegible]

[illegible] الأرض

وقد [illegible] عليه [illegible]
البحر يوم الغيم [illegible]
۳

بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ولقد جعل لبيد للشمال يدا في قوله إذ أصبحت بيد الشمال
زمامها ويقال بسط اليأس كفيه في صدري فجعلت لليأس الذي هو من المعاني لا من
الأعيان كفان ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تأويل أمثال
هذه الآية ولم يتخلص من يد الطاعن إذا عبثت به فإن قلت قد صح أن قوله يد الله
مغلولة عبارة عن البخل فما تصنع بقوله غلت أيديهم ومن حقه أن يطابق ما تقدمه وإلا
تنافر الكلام وزل عن سننه قلت يجوز أن يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد
ومن ثم كانوا أبخل خلق الله وأنكدهم ونحوه بيت الأشتر بقيت وفري وانحرفت عن العلى
ولقيت أضيافي بوجه عبوس ويجوز أن يكون دعاء عليهم بغل الأيدي حقيقة يغلون في
الدنيا أسارى وفي الآخرة معذبين بأغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة
أصل المجاز كما تقول سبني سب الله دابره أي قطعه لأن السب أصله القطع فإن قلت
كيف جاز أن يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد قلت المراد به الدعاء بالخذلان
الذي تقسو به قلوبهم فيزيدون بخلا إلى بخلهم ونكدا إلى نكدهم أو بما هو مسبب عن البخل والنكد
من لصوق العار بهم وسوء الأحدوثة التي تخزيهم وتمزق أعراضهم فإن قلت لم ثنيت اليد في
بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة قلت ليكون رد قولهم وإنكاره أبلغ
وأدل على إثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وذلك أن غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه
أن يعطيه بيديه جميعا فبني المجاز على ذلك وقرئ ولعنوا بسكون العين وفي مصحف عبد الله
بل يداه بسطان يقال يده بسط بالمعروف ونحوه مشية سجح وناقة سرح ينفق كيف
يشاء تأكيد للوصف بالسخاء ودلالة على أنه لا ينفق إلا على مقتضى الحكمة والمصلحة وروي
أن الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا فلما عصوا الله في محمد صلى
الله عليه وكذبوه كف الله تعالى ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء
يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فأشركوا فيه وليزيدن أي يزدادون عند نزول القرآن
لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بآيات الله وألقينا بينهم العداوة فكلهم أبدا مختلفون وقلوبهم
شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد كلما أوقدوا نارا كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا
لم يقم لهم نصر من الله على أحد قط وقد أتاهم الإسلام وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا حكم
التوراة فبعث الله عليهم بخت نصر ثم أفسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي ثم أفسدوا

البكد ناكس [illegible]

سلط الله عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله
نصر عليهم ومن قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس وانتعسون ويجتهدون
في الكيد للاسلام ومحو ذكر رسول الله صلى الله عليه من كتبهم ولو ان اهل الكتاب ثم اعددنا ما
من سيئاتهم آمنوا برسول الله وبما جاء به وقرنوا ايمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالايمان
لكفرنا عنهم تلك السيئات ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم مع المسلمين الجنة وفيه اعلام باعظم
معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة رحمة الله وفتحه باب التوبة على
كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى وان الايمان لا ينجي
ولا يسعد الا مشفوعا بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود فاين الاطناب ولو انهم اقاموا التورية
والانجيل اقاموا احكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وما انزل
اليهم من سائر كتب الله لانهم مكلفون بالايمان بجميعها فكانها انزلت اليهم وقيل هو القرآن
لوسع الله عليهم الرزق وكان قوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم عبارة
عن التوسعة وفيه ثلاثة اوجه ان يفيض عليهم بركات السماء وبركات الارض وان يكثر الاشجار
المثمرة والزروع المغلة وان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤس الشجر
ويلتقطون ما تساقط على الارض من تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة طائفة حالها امم
في عداوة رسول الله صلى الله عليه وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام واصحابه
وثمانية واربعون من النصارى وساء ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم ما اسوء
عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه والروم بلغ ما انزل اليك جميع ما انزل اليك واي
انزل اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائف ان ينالك مكروه وان لم تفعل وان لم تبلغ
جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته وقرئ رسالاته فلم تبلغ اذا ما كلفت من اداء الرسالات
ولم تؤد منها شيئا قط وذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك
اغفلت اداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما
يدليه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به
غير مؤمن به وعن ابن عباس رضي الله عنه ان كتمت آية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول
الله صلى الله عليه بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي
عذبتك وضمن لي العصمة فقويت فان قلت وقوع قوله فما بلغت رسالاته

لا تلقى

جزاء للشرط ما وجه صحته قلت فيه وجهان احدهما انه اذا لم يمتثل امر الله في
تبليغ الرسالات وكتمها كلها كانه لم يبعث رسولا كان امرا شنيعا لا خفاء بشناعته فقيل
ان لم تبلغ منها ادنى شيء وان كلمة واحدة فانت كمن ركب الامر الشنيع الذي هو كتمانها كلها كما
عظم قتل النفس بقوله فكانما قتل الناس جميعا والثاني ان يراد وان لم تفعل ذلك فلك ما يوجبه
كتمان الوحي كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله صلى الله عليه
فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك والله يعصمك عدة من الله بالحفظ والكلاءة
والمعنى والله يضمن لك العصمة من اعدائك فما عذرك في مراقبتهم فان قلت
اين ضمان العصمة وقد شج في وجهه يوم احد وكسرت رباعيته قلت المراد انه
يعصمه من القتل وفيه ان عليه ان يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله فما اشد تكليف الانبياء
عليهم السلام وقيل نزلت بعد يوم احد والناس الكفار بدليل قوله ان الله لا يهدي القوم
الكافرين ومعناه انه لا يمكنهم مما يريدون انزاله بك من الهلاك وعن انس كان رسول
الله صلى الله عليه يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني
الله من الناس لستم على شيء اي على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لفساده وبطلانه كما تقول
هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شانه وفي امثالهم اقل من لا شيء فلا تأس فلا تتأسف
عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فان ضرر ذلك راجع اليهم لا اليك وفي المؤمنين غنى عنهم
والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز ان من اسمها
وخبرها كانه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك
وانشد سيبويه شاهدا له والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق اي فاعلموا انا
وانتم كذلك فان قلت هلا زعمت ان ارتفاعه للعطف على محل ان واسمها قلت
لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان فان قلت لم لا يصح
والنية به التأخير فكانك قلت ان زيدا منطلق وعمرو قلت لاني اذا رفعته رفعته
عطفا على محل ان واسمها والعامل في محلهما هو الابتداء فيجب ان يكون هو العامل في الخبر
لان الابتداء ينتظم الجزئين في عمله كما ينتظمهما ان في عملها فلو رفعت الصابئون المنوي
به التأخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بان لاعملت فيهما رافعين مختلفين فان قلت
فقوله والصابئون معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو قلت هو مع خبره المحذوف

جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين آمنوا الى آخره ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها
فان قلت ما التقديم والتأخير الا لفائدة فما فائدة هذا التقديم قلت فائدته التنبيه
على ان الصابئين يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك
ان الصابئين ابين هؤلاء المعدودين ضلالا واشدهم غيا وما سموا صابئين الا لانهم صبأوا
عن الاديان كلها اي خرجوا كما ان الشاعر قدم قوله وانتم تنبيها على ان المخاطبين اوغل
في الوصف بالبغاة من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه في
البغي قبلهم مع كونهم اوغل فيه منهم واثبت قدما فان قلت فلو قيل والصابئين واياكم
لكان التقديم حاصلا قلت لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لانه لا ازالة فيه
عن موضعه وانما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض
في الكلام فان قلت كيف قيل الذين آمنوا ثم قيل من آمن قلت فيه وجهان ان يراد
بالذين آمنوا الذين آمنوا بالسنتهم وهم المنافقون وان يراد بمن آمن من ثبت على
الايمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه فان قلت فما محل من آمن قلت اما الرفع
على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما هي
خبر ان واما النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه او من المعطوف عليه فان قلت
فاين الراجع الى اسم ان قلت محذوف تقديره من آمن منهم كما جاء في موضع آخر
وقرئ والصابيون بياء صريحة وهو من تخفيف الهمزة كقراءة من قرأ يستهزيون والصابون
وهو من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ادلة العقل
والسمع وفي قراءة ابي والصابئين بالنصب وبها قرأ ابن كثير وقراءة عبد الله يا ايها
الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وارسلنا اليهم
رسلا ليقفوهم على ما يأتون ويذرون في دينهم كلما جاءهم رسول جملة شرطية
وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف اي رسول منهم بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم
ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع فان قلت اين جواب الشرط فان
قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ناب عن الجواب لان الرسول الواحد لا يكون فريقين
ولانه لا يحسن ان تقول ان اكرمت اخي اخاك اكرمت قلت هو محذوف يدل عليه
قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كانه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا

في سورة ص في قصة ايوب عليه السلام

كذبوا جواب نشأت لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم فان قلت لم جيء باحد الفعلين
ماضيا وبالآخر مضارعا قلت جيء يقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعا
للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجيب منها وحسبوا ان لا تكون قرئ ان لا يكون بالنصب على الظاهر وبالرفع
على ان ان هي المخففة من الثقيلة اصله انه لا يكون فخففت ان وحذف ضمير الشان
فان قلت كيف دخل فعل الحسبان على ان التي هي للتحقيق قلت نزل حسبانهم
لقوته في صدورهم منزلة العلم فان قلت فاين مفعولا حسب قلت سد ما يشتمل عليه صلة
ان وان من المسند والمسند اليه مسد المفعولين والمعنى وحسب بنو اسرائيل انهم لا يصيبهم
من الله فتنة اي بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة فعموا عن الدين وصموا حين عبدوا
العجل ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة ثانية بطلبهم المحال
غير المعقول في صفات الله وهو الرؤية وقرئ عموا وصموا على تقدير عماهم الله وصمهم
اي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته اذا ضربته بركبتك
وكثير منهم بدل من الضمير او على قولهم اكلوني البراغيث او هو خبر مبتدا محذوف اي اولئك
كثير منهم لم يفرق عيسى صلوات الله عليه بينه وبينهم في انه عبد مربوب كمثلهم وهو
احتجاج على النصارى انه من يشرك بالله في عبادته او فيما هو مختص به من صفاته
او افعاله فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين اي حرمه دخولها ومنعه منه
كما يمنع المحرم من المحرم عليه وما للظالمين من انصار من كلام الله على انهم ظلموا وعدلوا
عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره
وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره او من قول عيسى على معنى ولا ينصركم
احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول او ولا ينصركم ناصر
في الآخرة من عذاب الله من في قوله وما من اله الا اله واحد للاستغراق وهي المقدرة
مع لا التي لنفي الجنس في قولك لا اله الا الله والمعنى وما اله قط في الوجود الا اله موصوف
بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له ومن في قوله ليمسن الذين كفروا منهم
للبيان كالتي في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فان قلت فهلا قيل ليمسنهم
عذاب اليم قلت في اقامة الظاهر مقام المضمر فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم
بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة اخرى وهي الاعلام في تفسير الذين كفروا منهم

انهم بكانوا من الكفر والجملة ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة عذاب أليم اى نوع شديد
الالم من العذاب كما تقول اعطنى عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من
الاجناس التى يجوز ان يتناولها عشرون ويجوز ان يكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين
بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا من النصرانية أفلا يتوبون الى الله بعد هذه
الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا التشديد تمام عليه وفيه تعجيب من اصرارهم والله
غفور رحيم يغفر لهم ان تابوا ولغيرهم قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول اى ما هو الا
رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما اتوا بامثالها ان ابرأ
الله الاكمه والابرص واحيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى وفلق البحر وطمس على
يد موسى عليه السلم وان خلقه من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وامه
صديقة اى وما امه ايضا الا كبعض النساء المصدقات للانبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما
الا منزلة بشرين احدهما نبى والآخر صحابى فمن اين اشتبه عليكم امرهما حتى وصفتموهما
بما لم يوصف به سائر الانبياء وصحابتهم مع انه لا تميز ولا تفاوت بينها وبينهم بوجه
من الوجوه ثم صرح ببعدهما عما نسب اليهما فى قوله كانا يأكلان الطعام لان من احتاج
الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن الا جسما مركبا من لحم وعظم
وعروق واعصاب واخلاط وامزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع
مؤلف مدبر كغيره من الاجسام كيف نبين لهم الآيات اى الاعلام من الادلة القاطعة
على بطلان قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله فان قلت
ما معنى التراخى فى قوله ثم انظر قلت معناه ما بين العجبين يعنى انه بين لهم الآيات
بيانا عجيبا وان اعراضهم عنها اعجب منه ما لا يملك هو عيسى اى شيئا لا يستطيع ان يضركم
بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب فى الانفس والاموال ولا ان ينفعكم بمثل ما
ينفعكم به من صحة الابدان والسعة والخصب ولان كل ما يستطيعه البشر من المضار
والمنافع فباقدار الله وتمكينه فكأنه لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على ان امره مناف
للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب ان يكون قادرا على كل شئ لا يخرج
مقدور عن قدرته والله هو السميع العليم متعلق بأتعبدون اى اتشركون بالله ولا تخشونه
وهو الذى يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون او اتعبدون العاجز والله هو السميع العليم

الذى يصح منه ان يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولن يكون كذلك الا وهو حى قادر غير الحق
صفة للمصدر اى لا تغلوا فى دينكم غلوا غير الحق اى غلوا باطلا لان الغلو فى الدين غلوان حق
وهو ان يفحص عن حقائقه ويفتش عن اباعد معانيه ويجتهد فى تحصيل حججه كما يفعل
المتكلمون من اهل العدل والتوحيد وغلو باطل وهو ان يتجاوزوا الحق ويتخطاه بالاعراض
عن الادلة واتباع الشبه كما يفعل اهل الاهواء والبدع قد ضلوا من قبل هم ائمتهم فى النصرانية
كانوا على الضلال قبل مبعث النبى عليه السلم واضلوا كثيرا ممن شايعهم على التثليث وضلوا
لما بعث رسول الله صلى الله عليه عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه
نزل الله لعنهم فى الزبور على لسان داود وفى الانجيل على لسان عيسى وقيل ان اهل
ايلة لما اعتدوا فى السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر
اصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعدما اكل من المائدة عذابا لم تعذبه
احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل
ما فيهم امرأة ولا صبى ذلك بما عصوا اى لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذى كان سببا لمسخهم الا لاجل
المعصية والاعتداء لا لشئ آخر ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون اى لا ينهى
بعضهم بعضا عن منكر فعلوه ثم قال لبئس ما كانوا يفعلون للتعجيب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك
بالقسم فيا حسرة على المسلمين فى اعراضهم عن باب التناهى عن المناكير وقلة عبئهم
به كأنه ليس من ملة الاسلام فى شئ مع ما يتلون من كتاب الله وما فيه من المبالغات فى هذا الباب
فان قلت كيف وقع ترك التناهى عن المنكر تفسيرا للمعصية والاعتداء قلت
من قبل ان الله عز وجل امر بالتناهى فكان الاخلال به معصية وهو اعتداء لان فى التناهى
حسما للفساد فكان تركه على عكسه فان قلت ما معنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون
النهى بعد الفعل قلت معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه
او عن منكر ارادوا فعله كما ترى امارات الخوض فى الفسق وآلاته تسوى وتهيأ فتنكر ويجوز
ان يراد لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون على فعله يقال
تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع عنه وتركه ترى كثيرا منهم هم منافقوا اهل الكتاب
كانوا يوالون المشركين ويصافونهم ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كأنه
قيل لبئس زادهم الى الآخرة سخط الله عليهم والمعنى موجب سخط الله ولو كانوا يؤمنون بالله

خالصا غير نفاق ما اتخذوا المشركين اولياء يعنى ان موالاة المشركين كفى بها دليلا على نفاقهم وان
ايمانهم ليس بايمان ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون فى كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا
يؤمنون بالله وموسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين اولياء كما لم يوالهم المسلمون وصف الله
شدة شكيمة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم
الى الاسلام وجعل اليهود قرناء المشركين فى شدة العداوة للمؤمنين بل نبه على تقدم
قدمهم فيها بتقديمهم على الذين اشركوا وكذلك فعل فى قوله ولتجدنهم احرص الناس على حياة
ومن الذين اشركوا ولعمرى انهم لكذلك واشد وعن النبى صلى الله عليه ما خلا يهوديان بمسلم
الا هما بقتله وعلل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بان منهم قسيسين
ورهبانا اى علماء وعبادا وانهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف
ذلك وفيه دليل بين على ان العلم انفع شئ واهداه الى الخير وادله على الفوز حتى علم
القسيسين وكذلك علم الآخرة والتحدث بالعاقبة وان كان فى راهب والبراءة من الكبر وان
كانت فى نصرانى ووصفهم برقة القلوب وانهم يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو ما
يحكى عن النجاشى انه قال لجعفر بن ابى طالب رضى الله عنه حين اجتمع فى مجلسه المهاجرون الى الحبشة
والمشركون وهم يغرونه عليهم ويتطلبون عنتهم عنده هل فى كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة
تنسب اليها فقرأها الى قوله ذلك عيسى بن مريم وقرأ سورة طه الى قوله وهل اتيك حديث
موسى فبكى النجاشى وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله وهم سبعون رجلا حين قرأ
عليهم رسول الله صلى الله عليه سورة يس فبكوا فان قلت بم تعلقت اللام فى قوله
للذين آمنوا قلت بعداوة ومودة على ان عداوة اليهود التى اختصت المؤمنين اشد
العداوات واظهرها وان مودة النصارى التى اختصت المؤمنين اقرب المودات وادناها
وجودا واسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت
ثم وصف العداوة والمودة بالاشد والاقرب فان قلت ما معنى قوله تفيض من الدمع قلت
معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلئ الاناء او غيره حتى يطلع ما فيه
من جوانبه فوضع الفيض الذى هو من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من اقامة المسبب مقام السبب
او قصدت المبالغة فى وصفهم بالبكاء فجعلت اعينهم كأنها تفيض بانفسها اى تسيل من الدمع
من اجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا فان قلت اى فرق بين من ومن فى قوله

مما عرفوا من الحق قلت الاولى لابتداء الغاية على ان فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة
الحق وكان من اجله وبسببه والثانية لتبيين الموصول الذى هو ما عرفوا ويحتمل معنى التبعيض
على انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فبلغ منهم فكيف اذا عرفوه كله وقرأوا القرآن واحاطوا
بالسنة وقرئ ترى اعينهم على البناء للمفعول ربنا آمنا المراد به انشاء الايمان والدخول فيه
فاكتبنا مع الشاهدين مع امة محمد الذين هم شهداء على سائر الامم يوم القيامة لتكونوا شهداء
على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم فى الانجيل كذلك وما لنا لا نؤمن بالله
واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع فى انعام الله عليهم بصحبة الصالحين
وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك وارادوا وما لنا لا نؤمن بالله وحده
لانهم كانوا مثلثين وذلك ليس بايمان بالله ومحل لا نؤمن النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين
كقولك ما لك قائما والواو فى ونطمع واو الحال فان قلت ما العامل فى الحال الاولى والثانية
قلت العامل فى الاولى ما فى اللام من معنى الفعل كأنه قيل اى شئ حصل لنا غير مؤمنين وفى
الثانية معنى هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو ازلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن
كلاما ويجوز ان يكون ونطمع حالا من لا نؤمن على انهم انكروا على انفسهم انهم لا يوحدون الله
ويطمعون مع ذلك ان يصحبوا الصالحين وان يكون معطوفا على لا نؤمن على معنى وما لنا
نجمع بين التثليث وبين الطمع فى صحبة الصالحين او على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول
فى الاسلام لان الكافر ما ينبغى له ان يطمع فى صحبة الصالحين وقرأ الحسن فآتاهم الله
بما قالوا بما تكلموا به عن اعتقاد واخلاص من قولك هذا قول فلان اى اعتقاده وما يذهب اليه
طيبات ما احل الله لكم ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم
او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم فى العزم على تركها تزهدا منكم
وتقشفا وروى ان رسول الله صلى الله عليه وصف القيامة لاصحابه يوما فبالغ واشبع
الكلام فى الانذار فرقوا واجتمعوا فى بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا
صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء
ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا فى الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ رسول الله
صلى الله عليه فقال لهم انى لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا
وناموا فانى اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى

فنزلت وروى ان رسول الله صلى الله عليه كان يأكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء
والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود ان رجلا قال له اني حرمت
الفراش فتلا هذه الآية وقال نم على فراشك وكفر عن يمينك وعن الحسن انه دعي الى
طعام ومعه فرقد السبخي واصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الالوان من الدجاج المسمن
والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فقال الحسن اصائم انت قال لا ولكن اكره هذه الالوان
فاقبل الحسن عليه وقال يا فريقد اترى لعاب النحل بلباب البر مع خالص السمن يعيبه مسلم
انه قيل له فلان لا يأكل الفالوذ ويقول لا اؤدي شكره قال افيشرب الماء البارد قال نعم قال
انه جاهل ان نعمة الله تعالى عليه في الماء البارد اكثر من نعمته عليه في الفالوذ وعن الله
تعالى اذ دعا عباده فاحسن ادبهم قال لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله تعالى قوما وسع
عليهم الدنيا فتنعموا واطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه ولا تعتدوا ولا تتعدوا حدود
ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء
فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده على عقبه او اراد
ولا تعتدوا بذلك وكلوا مما رزقكم اي من الوجوه الطيبة التي تسمى رزقا حلالا حال مما رزقكم الله
واتقوا الله توكيد للتوصية بما امر به وزاد تأكيدا بقوله الذي انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب
التقوى في الانتهاء الى ما امر به وعما نهى عنه اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم
واختلف فيه وعن عائشة رضي الله عنها انها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى
والله وهو مذهب الشافعي وعن مجاهد هو الرجل يحلف على الشيء يرى انه كذلك وليس كما
ظن وهو قول ابي حنيفة رحمه الله بما عقدتم الايمان بتعقيدكم الايمان وهو توثيقها بالقصد
والنية وروى ان الحسن سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق فقال يا ابا سعيد دعني
اجب عنك فقال ولست بمأخوذ بلغو تقوله اذا لم تعمد عاقدات العزائم وقرئ عقدتم بالتخفيف
وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف المضاف فكفارته فكفارة نكثه
والكفارة الفعلة التي من شأنها ان تكفر الخطيئة اي تسترها من اوسط ما تطعمون من
اقصده لان منهم من يسرف في اطعام اهله ومنهم من يقتر وهو عند ابي حنيفة رحمه الله نصف
صاع من بر او صاع من غيره لكل مسكين او يغديهم ويعشيهم وعند الشافعي مد لكل
مسكين وقرأ جعفر بن محمد اهاليكم بسكون الياء والاهالي اسم جمع اهل كالليالي في جمع ليلة

والاراضي في جمع ارض وقولهم اهلون كقولهم ارضون بسكون الراء فاما تسكين الياء في حال النصب
فللتخفيف كما قالوا رأيت معدي كرب تشبيها للياء بالالف او كسوتهم عطف على محل من اوسط
وقرئ بضم الكاف وهو لغة نحو قدوة في قدوة واسوة في اسوة والكسوة ثوب يغطي العورة وعن ابن
عباس كانت العباءة تجزئ يومئذ وعن ابن عمر ازار وقميص او رداء او كساء وعن مجاهد
ثوب جامع وعن الحسن ثوبان ابيضان وقرأ سعيد بن المسيب واليماني او كاسوتهم
بمعنى او مثل ما تطعمون اهليكم اسرافا كان او تقتيرا لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم ولكن
تواسون بينهم وبينهم فان قلت ما محل الكاف قلت الرفع تقديره او طعامهم كاسوتهم
بمعنى كمثل طعامهم ان لم تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة شرط الشافعي الايمان قياسا على كفارة
القتل فان قلت ما معنى او قلت التخيير وايجاب احدى الكفارات الثلاث على الاطلاق
بأيتها اخذ المكفر فقد اصاب فمن لم يجد احديها فصيام ثلاثة ايام متتابعات عند ابي حنيفة
رحمه الله تمسكا بقراءة ابي وابن مسعود رضي الله عنهما فصيام ثلاثة ايام متتابعات وعند
كل صوم متتابع الا قضاء رمضان ويخير في كفارة اليمين ذلك المذكور كفارة ايمانكم ولو قيل
تلك كفارة ايمانكم لكان صحيحا بمعنى تلك الاشياء او لتأنيث الكفارة والمعنى اذا حلفتم وحنثتم
فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة انما تجب في الحلف لا بنفس الحلف والتكفير قبل
الحنث لا يجوز عندنا وبه يجوز عند الشافعي بالمال اذا لم يعص بالحانث واحفظوا ايمانكم فبروا
فيها ولا تحنثوا اراد الايمان التي الحنث فيها معصية لان الايمان اسم جنس يجوز الاطلاق على بعض
الجنس وعلى كله وقيل احفظوها بان تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا
بها كذلك مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته اعلام شريعته واحكامه لعلكم تشكرون نعمته فيما
يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه اكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التأكيد منها تصدير الجملة
بانما ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام ومنه قوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن ومنها
انه جعلهما رجسا كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان ومنها انه جعلهما من عمل الشيطان
والشيطان لا يأتي منه الا الشر البحت ومنها انه امر بالاجتناب ومنها انه جعل الاجتناب
من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة ومنها انه ذكر ما ينتج
منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض بين اصحاب الخمر والقمر وما يؤديان
اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة اوقات الصلوة وقوله فهل انتم منتهون

من ابلغ ما ينهى به كانه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم مع هذه
الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا فان قلت الام
يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه قلت الى المضاف المحذوف كأنه قيل انما شأن الخمر والميسر
او تعاطيهما او ما اشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان فان قلت لم جمع الخمر والميسر
مع الانصاب والازلام اولا ثم افردهما آخرا قلت لان الخطاب مع المؤمنين وانما نهاهم
عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتأكيد تحريم
الخمر والميسر واظهار ان ذلك جميعا من اعمال الجاهلية واهل الشرك فوجب اجتنابه باسره
فكأنه لا مباينة بين من عبد صنما واشرك بالله في علم الغيب وبين من شرب خمرا او
قامر ثم افردهما بالذكر ليرى ان المقصود بالذكر الخمر والميسر وقوله وعن الصلوة اختصاص
للصلوة من بين الذكر كانه قيل وعن الصلوة خصوصا واحذروا وكونوا حذرين خاشين
لانهم اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة ويكون انه احذروا ما
عليكم في الخمر والميسر وفي ترك طاعة الله ورسوله فان توليتم فاعلموا انكم لن تضروا بتوليكم
الرسول لان الرسول ما كلف الا البلاغ المبين بالآيات وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم
عما كلفتم رفع الجناح عن المؤمنين في اي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها
اذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها وآمنوا وثبتوا على الايمان والعمل الصالح وازدادوه ثم
اتقوا وآمنوا ثم ثبتوا على التقوى والايمان ثم اتقوا واحسنوا ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي
واحسنوا اعمالهم او احسنوا الى الناس وآسوهم بما رزقهم الله من الطيبات وقيل
لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة رضوان الله عليهم يا رسول الله فكيف باخواننا الذين
ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر فنزلت يعني ان المؤمنين لا جناح
عليهم في اي شيء طعموه من المباحات اذا اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا
على معنى ان اولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لاحوالهم في الايمان
والتقوى والاحسان ومثاله ان يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح فتقول وقد علمت ان ذلك
امر مباح ليس على احد جناح في المباح اذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا تريد ان
زيدا تقي مؤمن محسن وانه غير مؤاخذ بما فعل نزلت عام الحديبية
ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون

من صيده اخذا بايديهم وطعنا برماحهم ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز من يخاف عقاب
الله وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه فمن اعتدى بعد
ذلك الابتلاء فالوعيد لاحق به فان قلت ما معنى التقليل والتصغير في قوله بشيء من الصيد
قلت قلل وصغر ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض عندها اقدام
الثابتين كالابتلاء ببذل الارواح والاموال وانما هو شبيه بما ابتلي به اهل ايلة من صيد
السمك وانهم اذا لم يثبتوا عنده فكيف يثبتون عندما هو اشد منه وقرأ ابراهيم يناله بالياء
حرم محرمون جمع حرام كردح في جمع رداح والتعمد ان يقتله وهو ذاكر لاحرامه او عالم ان ما
يقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او رمى صيدا وهو يظن انه ليس بصيد
فاذا هو صيد او قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فاصاب صيدا فهو مخطئ
فان قلت محظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطأ فما بال التعمد مشروطا في الآية
قلت لان مورد الآية فيمن تعمد فقد روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش
فحمل عليه ابو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وانت محرم فنزلت ولان
الاصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله ليذوق وبال امره ومن عاد
فينتقم الله منه وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن
جبير لا ارى في الخطأ شيئا اخذا باشتراط العمد في الآية وعن الحسن روايتان فجزاء
مثل ما قتل برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء مماثل ما قتل من الصيد وهو عند ابي
حنيفة رحمه الله قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان
يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين
نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما فان فضل
ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما او تصدق به وعند محمد والشافعي مثله نظيره
من النعم فان لم يوجد له نظير من النعم عدل الى قول ابي حنيفة رحمه الله فان قلت
ما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو تفسير للمثل وبقوله هديا بالغ الكعبة
قلت قد خير من اوجب القيمة بين ان يشتري بها هديا او طعاما او يصوم كما خير
الله تعالى في الآية فكان قوله من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة في احد وجوه
التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم

على ان التخيير الذي في الآية بين ان يجزي بالهدي او يكفر بالاطعام او الصوم انما يستقيم
استقامة ظاهرة بغير تعسف اذا نظر من يقوم بعد ونظر بعد التقويم اي الثلاثة
يختار فاما اذا عمد الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيئا لا نظير له
قوم حينئذ ثم يتخير بين الاطعام والصوم ففيه نبو عما في الآية الا ترى الى قوله او كفارة
طعام مساكين او عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشياء الثلاثة ولا سبيل الى ذلك
الا بالتقويم وقرأ عبد الله فجزاؤه مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الاضافة واصله
فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من
ضرب زيد اي من ان ضرب زيدا وقرأ السلمي على الاصل وقرأ محمد بن مقاتل فجزاء
مثل ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز جزاء مثل ما قتل وقرأ الحسن من النعم بسكون العين استثقل
الحركة على حرف الحلق فسكنه يحكم به بمثل ما قتل ذوا عدل منكم حكمان عادلان من المسلمين
قالوا وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء
المشاهدة وعن قبيصة انه اصاب ظبيا وهو محرم فسأل عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف
ثم امره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم امير المؤمنين حتى سأل غيره فاقبل عليه
ضربا بالدرة وقال اتغمص الفتيا وتقتل الصيد وانت محرم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم
فانا عمر وهذا عبد الرحمن وقرأ محمد بن جعفر ذو عدل منكم اراد يحكم به من يعدل منكم ولم
يرد الوحدة وقيل اراد الامام هديا حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل لان الصفة خصصته
فقربته من المعرفة او بدل عن مثل فيمن نصبه او عن محله فيمن جره ويجوز ان ينتصب حالا
عن الضمير في به ووصف هديا ببالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة
ان يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث شئت عند ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله
في الحرم او كفارة ثم يرفع كفارة من ينصب جزاء عطف بجعلها خبر مبتدأ محذوف
كأنه قيل او الواجب عليه كفارة او يقدر فعليه ان يجزي جزاء او كفارة فيعطفها على ان يجزي
وقرئ او كفارة طعام مساكين على الاضافة وهذه الاضافة مبينة كأنه قيل او كفارة
من طعام مساكين كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة وقرأ الاعرج او كفارة طعام
مسكين وانما وحده لانه واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال على الجنس وقرئ او عدل ذلك
بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله

ما عدل به في المقدار ومنه عدلا الحمل لان كل واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا كأن المفتوح
تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح ونحوهما الحمل والحمل وذلك اشارة الى
الطعام وصياما تمييز للعدل كقولك لي مثله رطلا والخيار في ذلك الى قاتل الصيد عند ابي حنيفة
وابي يوسف رحمهما الله وعند محمد رحمه الله الى الحكمين ليذوق متعلق بقوله فجزاء اي فعليه
ان يجازي او يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه والضرر الذي يناله في
العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا والطعام الوبيل الذي
يثقل على المعدة فلا يستمرأ عفا الله عما سلف لكم من الصيد في حال الاحرام قبل ان تراجعوا رسول
الله عليه السلام وتسألوه عن جوازه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منه لانهم كانوا متعبدين
بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما ومن عاد الى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي فينتقم
الله منه ينتقم خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء
ونحوه فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا يعني ينتقم منه في الآخرة واختلف في وجوب الكفارة
على العائد فعن عطاء وابرهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها وعليه عامة العلماء
وعن ابن عباس وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر وانه لم يذكر الكفارة احل لكم صيد البحر
مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل وطعامه وما يطعم من صيده والمعنى احل لكم الانتفاع بجميع
ما يصاد في البحر واحل لكم اكل المأكول منه وهو السمك وحده عند ابي حنيفة رحمه الله وعند ابن
ابي ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسير الآية عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه متاعا
لكم مفعول له اي احل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب
نافلة في باب الحال لان قوله متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة حال مختصة
بيعقوب يعني احل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم ياكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود
موسى عليه السلام الحوت في مسيره الى الخضر وقرئ وطعمه وصيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه
وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء عند ابي حنيفة رحمه الله واختلف فيه
فمنهم من حرم على المحرم كل شيء يقع عليه اسم الصيد وهو قول عمر وابن عباس وعن ابي
هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير انهم اجازوا للمحرم اكل ما صاده الحلال وان صاده
لاجله اذا لم يدل عليه ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وعند مالك
والشافعي واحمد لا يباح له ما صيد لاجله قلنا احتج ابو حنيفة رحمه الله بعموم قوله صيد البر

فيه اثنا عشر الف الف الف ... البحر والبحر ... ما السمك

فقد احتج ابو حنيفة رحمه الله بالمفهوم من قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما لان ظاهره انه
صيد المحرمين دون صيد غيرهم لانهم هم المخاطبون فكأنه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه
مصيد غيرهم ومصيدهم حين كانوا غير محرمين ويدل عليه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا
تقتلوا الصيد وانتم حرم وقرأ ابن عباس وحرم عليكم صيد البر اي الله عز وجل وقرئ ما دمتم
بكسر الدال فيمن يقول دام يدام البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجيء
الصفة كذلك قياما للناس انتعاشا لهم في امر دينهم ودنياهم ونهوضا الى اغراضهم ومقاصدهم
في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من امر حجهم وعمرتهم وتجاراتهم وانواع منافعهم وعن عطاء بن
ابي رباح لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا والشهر الحرام والشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو
الحجة لان اختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شأنا قد عرفه الله وقيل عني به جنس
الاشهر الحرم والهدي والقلائد والمقلد منه خصوصا وهو البدن لان الثواب فيه اكثر وبهاء الحج
معه اظهر ذلك اشارة الى جعل الكعبة قياما للناس او الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك
الصيد وغيره لتعلموا ان الله يعلم كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وينعشكم مما امركم به وكلفكم شديد
العقاب لمن انتهك محارمه غفور رحيم لمن حافظ عليها ما على الرسول الا البلاغ تشديد
في ايجاب القيام بما امر به وان الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم
الطاعة فلا عذر لكم في التفريط لا يستوي الخبيث والطيب بعيد عند الله وان كان قريبا
عندكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على الطيب القليل فان ما تتوهمونه في
الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبث وفوات الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه
وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديهم فاتقوا الله واثروا الطيب
وان قل على الخبيث وان كثر ومن حق هذه الآية ان تكفح بها وجوه المجبرة اذا افتخروا
بالكثرة كاثر بسعد ان سعدا كثيرة ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا وكقوله لا يدهمنك من دهمائهم عدد
فان جلهم بل كلهم بقر وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين اراد المسلمون ان يوقعوا بهم
فنهوا عن الايقاع بهم وان كانوا مشركين الجملة الشرطية والمعطوفة عليها اعني قوله ان
تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم صفة لاشياء والمعنى لا تكثروا
مسألة رسول الله حتى تسألوا عن تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها غمتكم
وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها وذلك نحو ما روي ان سراقة بن مالك او عكاشة بن محصن قال

يعني القلايد المذكور ... الحرم

يقال كلمته كفاحا حين كفم
باوروبارو
مهذب

قال يا رسول الله الحج علينا كل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه حتى سأله ثلاث مرات
فقال صلى الله عليه ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم
ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على
انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وان تسألوا
عنها حين ينزل القرآن وان تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول
بين اظهركم يوحى اليه تبد لكم تلك التكاليف التي تسؤكم وتؤمروا بتحملها فتعرضون انفسكم لغضب
الله بالتفريط فيها عفا الله عنها عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور
حليم لا يعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته فان قلت كيف قال لا تسألوا عن اشياء ثم قال قد
سألها ولم يقل قد سأل عنها قلت الضمير في سألها ليس براجع الى اشياء حتى يجب تعديته
بعن وانما هو راجع الى المسألة التي دل عليها لا تسألوا يعني قد سأل هذه المسألة قوم من قبلكم
ثم اصبحوا بها اي بمرجوعها او بسببها كافرين وذلك ان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم
عن اشياء فاذا امروا بها تركوها فهلكوا كان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن
آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واذا لقيها المعيي
لم يركبها واسمها البحيرة وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي
سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة
فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم
وان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم واذا نتجت
من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى
ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا امر بالتبحير والتسييب وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم ما حرموا
يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون فلا ينسبون التحريم الى الله حتى يفتروا ولكنهم
يقلدون في تحريمها كبارهم الواو في قوله اولو كان اباؤهم واو الحال قد دخلت عليها همزة
الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون والمعنى ان
الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدي وانما يعرف اهتداؤه بالحجة كان المؤمنون تذهب انفسهم
حسرة على اهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم في الاسلام فقيل لهم عليكم
انفسكم وما كلفتم من اصلاحها والمشي بها في طرق الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم

لاني بعثت للتبليغ فلا حاجة
الا السوال ابو طلق

اذا كنتم مهتدين كما قال عز وجل لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكذا لكم من عاشرتم على
ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال الرجل يعاتبهم ومنا كبرهم فهو محاطبه به وليس المراد
ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان من تركهما مع القدرة عليهما فليس مهتديا وانما هو
بعض الضلال الذين فصلت الاية بينهم وبينه وعن ابن مسعود رضي الله عنه انها قرئت عنده فقال
ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكن يوشك ان يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ
عليكم انفسكم فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره وعنه ليس هذا
زمان تأويلها قيل فمتى قال اذا جعل دونها السيف والسوط والسجن وعن ابي ثعلبة الخشني
انه سئل عن ذلك فقال للسائل لقد سألت عنها خبيرا سألت رسول الله صلى الله عليه عنها
فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا ما رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا
مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع امر العوام وان من ورائكم اياما الصبر فيهن
كقبض على الجمر للعامل منهم مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل اذا
اسلم قالوا له سفهت اباك ولاموه فنزلت عليكم من اسماء الفعل بمعنى الزموا اصلاح انفسكم
ولذلك جزم جوابه وعن نافع عليكم انفسكم بالرفع وقرئ لا يضركم وفيه وجهان ان يكون خبرا
مرفوعا وينصره قراءة ابي حيوة لا يضيركم وان يكون جوابا للامر مجزوما وانما ضمت الراء اتباعا
لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة والاصل لا يضرركم ويجوز ان يكون نهيا ولا يضركم
بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره اثنان اشارة على انه خبر للمبتدأ الذي
هو شهادة بينكم على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين او على انه فاعل شهادة بينكم على
معنى فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان وقرأ الشعبي شهادة بينكم بالتنوين وقرأ الحسن
شهادة بالنصب والتنوين على ليقم شهادة اثنان واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية
بدل منه وفي ابداله منه دليل على وجوب الوصية وانها من الامور اللازمة التي ما ينبغي
ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته وظهور امارات بلوغ الاجل
منكم من اقاربكم من غيركم من الاجانب ان انتم ضربتم في الارض يعني ان وقع الموت في
السفر ولم يكن معكم احد من عشيرتكم فاستشهدوا اجنبيين على الوصية وجعل الاقارب
اولى لانهم اعلم باحوال الميت وبما هو اصلح وهم له انصح وقيل منكم من المسلمين ومن
غيركم من اهل الذمة وقيل هو منسوخ لا يجوز شهادة الذمي على المسلم وانما جاز في اول
الاسلام

لعلة المستأمنين وتعذر وجودهم في حال السفر وعن مكحول نسخها قوله واشهدوا ذوي عدل
منكم وروي انه خرج بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدي بن بداء
وتميم بن اوس وكانا نصرانيين تجارا الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه في
متاعه ولم يخبر به صاحبيه واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا
اناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما
بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله عليه السلام فنزلت تحبسونهما توقفونهما وتصبرونهما للحلف
من بعد الصلوة من بعد صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن بعد العصر او
الظهر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي حديث بديل انها لما نزلت صلى
النبي صلى الله عليه صلوة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء
بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي وقيل هي صلوة اهل الذمة وهم يعظمون صلوة العصر
ان ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى ان ارتبتم في شأنهما واتهمتموهما
فحلفوهما وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان اريد الوصيان
فليس بمنسوخ تحليفهما وعن علي رضي الله عنه انه كان يحلف الشاهد والراوي اذا اتهمهما
والضمير في به للقسم ولو كان المقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله غرضا من الدنيا
اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا على معنى ان هذه عادتهم
في صدقهم وامانتهم ابدا وانهم داخلون تحت قوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء
لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين شهادة الله اي الشهادة التي امر الله بحفظها
وتعظيمها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ الله بالمد على طرح حرف القسم وتعويض
حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على ما ذكر سيبويه ان منهم من يحذف حرف
القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا وقرئ لملاثمين
بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام نون من فيها كقوله عادا لولى فان قلت
ما موقع تحبسونهما قلت هو استيناف كلام كانه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف
نعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما فان قلت كيف فسرت الصلوة بصلوة العصر وهي
مطلقة قلت لما كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها اغنى ذلك عن التقييد
كما لو قلت في بعض ائمة الفقه اذا صلى احدث في الركوع علم انها صلوة الفجر ويجوز

ان يكون اللام للجنس وان يقصد بالتحليف على اثر الصلوة ان يكون الصلوة لطفا في
النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فان
عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما واستوجبا ان يقال انهما لمن
الاثمين فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم اي من الذين
استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته وفي قصة
بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما وان شهادتهما
احق من شهادتهما والاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على
هما الاوليان كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان وقيل هما بدل من الضمير في يقومان او من
آخران ويجوز ان يرتفعا باستحق اي من الذين استحق عليهم انتداب الاوليين منهم
للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال وقرئ الاولين على انه وصف للذين استحق
عليهم مجرور او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة
لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرأ الحسن
الاولان ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي وابو حنيفة واصحابه لا يرون ذلك
فوجهه عندهم ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين انهما اختانا فحلفا فلما ظهر
كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما فانكر الورثة فكانت اليمين على الورثة لانكارهم الشراء
فان قلت فما وجه قراءة من قرأ استحق عليهم الاوليان على البناء
للفاعل وهو علي وابي وابن عباس رضي الله عنهم قلت معناه من الورثة الذين
استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا
بهما كذب الكاذبين ذلك الذي تقدم من بيان الحكم ادنى ان يأتوا بالشهادة على نحو
تلك الحادثة بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان اي تكرر ايمان شهود آخرين
بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل واسمعوا سمع اجابة يوم
يجمع بدل من المنصوب في قوله تعالى واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كانه قيل
واتقوا الله يوم جمعه او ظرف لقوله لا يهدي اي لا يهديهم الله طريق الجنة يومئذ كما
يفعل بغيرهم او ينصب باضمار اذكر او يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت وماذا
منتصب باجبتم انتصاب مصدره على معنى اي اجابة اجبتم ولو اريد الجواب لقيل

بماذا اجبتم فان قلت ما معنى سؤالهم قلت توبيخ قومهم كما كان
سؤال الموؤدة توبيخا للوائد فان قلت فكيف يقولون لا علم لنا وقد علموا
قلت يعلمون ان الغرض بالسؤال توبيخ اعدائهم فيكلون الامر الى علمه و
احاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء اجابتهم اظهارا للتشكي واللجاء الى ربهم في
الانتقام منهم وذلك اعظم على الكفرة وافت في اعضادهم واجلب لحسرتهم وسقوطهم
في ايديهم اذا اجتمع توبيخ الله وتشكي انبيائه عليهم ومثاله ان ينكب بعض
الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على
كنهها وعزم على الانتصار له منه فيجمع بينهما ويقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو
عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول له انت اعلم بما فعل بي تفويضا للامر الى علم سلطانه
واتكالا عليه واظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه وقيل من هول ذلك اليوم يفزعون
ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما تثوب اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم
وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به لانك علام الغيوب ومن علم الخفيات
لم تخف عليه الظواهر التي منها اجابة الامم لرسلهم فكانه لا علم لنا الى جنب
علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وانما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم امرهم وقد
رأوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين وقرئ علام الغيوب بالنصب على
ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف باوصافك المعروفة من العلم
وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص او على النداء او صفة لاسم ان
اذ قال الله بدل من يوم يجمع والمعنى انه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل
عن اجابتهم وبتعديد ما اظهر على ايديهم من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم
سحرة او جاوزوا حد التصديق الى ان اتخذوهم الهة كما قال بعض بني اسرائيل فيما
اظهر على يد عيسى من البينات هذا سحر مبين واتخذه بعضهم وامه الهين اذ ايدتك
قويتك وقرئ آيدتك على افعلتك بروح القدس بالكلام الذي يحيى به الدين واضافه
الى القدس لانه سبب الطهر من اوضار الآثام والدليل عليه قوله تكلم الناس
في المهد في موضع الحال لان المعنى تكلمهم طفلا وكهلا الا ان في المهد فيه دليل على
حد من الطفولية وقيل بروح القدس جبريل عليه السلام ايد به لتثبيت الحجة فان قلت

هذا الكلام رد لقيل

ما معنى قوله في المهد وكهلا قلت معناه يكلمهم في هاتين الحالتين من غير ان يتفاوت
كلامه في حين الطفولية وحين الكهولة التي هو وقت كمال العقل وبلوغ الاشد والحد الذي
يستنبأ فيه الانبياء والتورية والانجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لان المراد
بهما جنس الكتاب والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب كهيئة الطير
هيئة مثل هيئة الطير باذني فتنفخ فيها الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التي كان
يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه ولا نفخه في شيء
وكذلك الضمير في فيكون واذ تخرج الموتى تخرجهم من القبور وتبعثهم قيل اخرج سام بن نوح ورجلين
وامرأة وجارية واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله وقيل لما قال
الله تعالى لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر وياكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول مع كل
يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت ايما امسى بات اوحيت الى الحواريين امرتهم
على السنة الرسل مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله عيسى في محل النصب على اتباع
حركته حركة الابن كقولك يا زيد بن عمرو وهي اللغة الفاشية ويجوز ان يكون مضموما كقولك
يا زيد بن عمرو والدليل عليه قوله احار بن عمرو كأني خمر لان الترخيم لا يكون الا في المضموم
فان قلت كيف قالوا هل يستطيع ربك بعدما آمنوا واخلصوا قلت ما وصفهم
الله بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعاءهم لهما ثم اتبعه قوله اذ قالوا فآذن ان دعواهم
كانت باطلة وانهم كانوا شاكين وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمنين
معظمين لربهم وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته
ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها ان كنتم
مؤمنين ان كانت دعواكم للايمان صحيحة وقرئ هل تستطيع ربك اي هل تستطيع سؤال ربك
والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله والمائدة الخوان اذا كان
عليه الطعام من ماده اذا اعطاه ورفده كانها تميد من تقدم اليه ونكون عليها
من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل او نكون من الشاهدين
لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على ان عليها في موضع الحال وكانت دعواهم لارادة
ما ذكروا كدعواهم للايمان والاخلاص وانما سأل عيسى واجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل
عليهم العذاب اذا خالفوا وقرئ ونعلم بالياء على البناء للمفعول وتعلم وتكون بالتاء والضمير للقلوب

اللهم اصله يا الله فحذف حرف النداء وعوضت منه الميم وربنا نداء ثان تكون لنا عيدا
اي تكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور
العائد ولذلك يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرأ عبد الله تكن على جواب
الامر ونظيره يرثني ويرث لاولنا وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا
من اهل ديننا ولمن ياتي بعدنا وقيل ياكل منها آخر الناس كما ياكل اولهم ويجوز للمقدم منا
والاتباع وفي قراءة زيد لاولانا واخرانا والتانيث بمعنى الامة والجماعة عذابا بمعنى تعذيبا
والضمير في لا اعذبه للمصدر ولو اريد العذاب بما يعذب به لم يكن بد من الباء وروي ان
عيسى عليه السلام لما اراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم انزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين
غمامتين غمامة فوقها واخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى
عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة
وقال لهم ليقم احسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها وياكل منها فقال شمعون راس الحواريين
انت اولى بذلك فقام عيسى فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين
فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها
من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني
عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن
طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا
ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه
الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية
ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروي انهم لما سمعوا بالشرط
من كفر بعد منكم قالوا لا نريد فلم تنزل وعن الحسن والله ما نزلت
ولو نزلت لكانت عيدا الى يوم القيامة لقوله وآخرنا والصحيح انها نزلت سبحانك من ان
يكون لك شريك ما يكون لي ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك
تعلم معلومي ولا اعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام
وبينه فقيل في نفسك لقوله في نفسي انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين معا لان
ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولان ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم احد

ان في قوله ان اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر والمفسر اما فعل القول
واما فعل الامر وكلاهما لا وجه له اما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير ان يتوسط بينهما حرف
التفسير لا تقول ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم الا اعبدوا الله واما فعل
الامر فمسند الى ضمير الله عز وجل فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لان الله
تعالى لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها موصولة بالفعل لم يخل من ان يكون
بدلا من ما امرتني به او من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم لان البدل هو الذي يقوم مقام
المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله بمعنى ما قلت الا عبادته لان العبادة
لا تقال وكذلك اذا جعلته بدلا من الهاء لانك لو اقمت ان اعبدوا الله مقام الهاء فقلت الا
ما امرتني بان اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول بغير راجع اليه من صلته فان قلت
فكيف يصنع قلت يحمل فعل القول على معناه لان معنى ما قلت لهم الا ما امرتني
به ما امرتهم الا ما امرتني به حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز ان تكون
ان موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا وكنت عليهم شهيدا رقيبا كالشاهد على المشهود
عليه امنعهم من ان يقولوا ذلك ويتدينوا به فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم
تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الادلة وانزلت عليهم من البينات وارسلت اليهم
من الرسل ان تعذبهم فانهم عبادك الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك
مكذبين لانبيائك وان تغفر لهم فانك انت العزيز القوي القادر على الثواب والعقاب
الحكيم الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان قلت المغفرة
لا تكون للكفار فكيف قال وان تغفر لهم قلت ما قال انك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام
على ان قال ان عذبتهم عدلت لانهم احقاء بالعذاب وان غفرت لهم مع كفرهم لم
تعدم في المغفرة وجه حكمة لان المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول بل متى كان المجرم
اعظم جرما كان العفو عنه احسن قرئ هذا يوم ينفع بالرفع والاضافة وبالنصب
اما على انه ظرف لقال واما على ان هذا مبتدأ والظرف خبر ومعناه هذا الذي
ذكرنا من كلام عيسى واقع يوم ينفع ولا يجوز ان يكون فتحا كقوله يوم لا تملك لانه مضاف
الى متمكن وقرأ الاعمش يوم ينفع بالتنوين كقوله واتقوا يوما لا تجزي فان قلت
ما معنى قوله ينفع الصادقين صدقهم ان اريد صدقهم في الآخرة فليست الآخرة بدار

بدار عمل وان اريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه لانه في معنى الشهادة
لعيسى بالصدق فيما يجيب به يوم القيمة قلت معناه الصدق المستمر بالصادقين
في دنياهم وآخرتهم وعن قتادة متكلمان تكلما يوم القيامة اما ابليس فقال ان الله
وعدكم وعد الحق فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه واما عيسى
فكان صادقا في الحيوة وبعد الممات فنفعه صدقه فان قلت في السموات والارض
العقلاء وغيرهم فهلا غلب العقلاء فقيل ومن فيهن قلت ما يتناول الاجناس
كلها تناولا عاما الا تراك تقول اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو قبل ان تعرف اعاقل
هو ام غيره فكان اولى بارادة العموم عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة
المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات
بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا ... تم الدفتر الاول من الكشاف

وقع الفراغ من انتساخه للعبد الضعيف ابي المحامد محمد بن
المدعو شمس المرعشي مولدا السماكي محتدا وقت الظهر
يوم الخميس من صفر اعز الله بتيسر منه من شهور سنة الرحمن
وسبعماية حامدا لله تعالى ومصليا على
سائلا من الله ... التوفيق
الباقي الله
الباقي

[illegible]

[illegible]

نقلیست که حضرت بایزید بسطامی علیه الرحمه گفت روزی [illegible]

بیرون آمدم گفت چون میلی راه برفتم شخصی مرا پیش آمد تیغ در دست

بانگ بر من زد گفت بایزید باز گرد که دگر باین تیغ ببرم سرت این بار

گفتم لبرکت الله بسطام فقصدت بیت الحرام یعنی رضای خدای

[illegible] در بسطام گذاشتی قصد خانهٔ کعبه کردی روان شدم قرب [illegible]

بازگشتم چون بدروازه رسیدم درویشی را دیدم که بر سر کوچه

نشسته چون مرا بدید گفت ای بایزید کجا میرفتی گفتم آری گفت آن